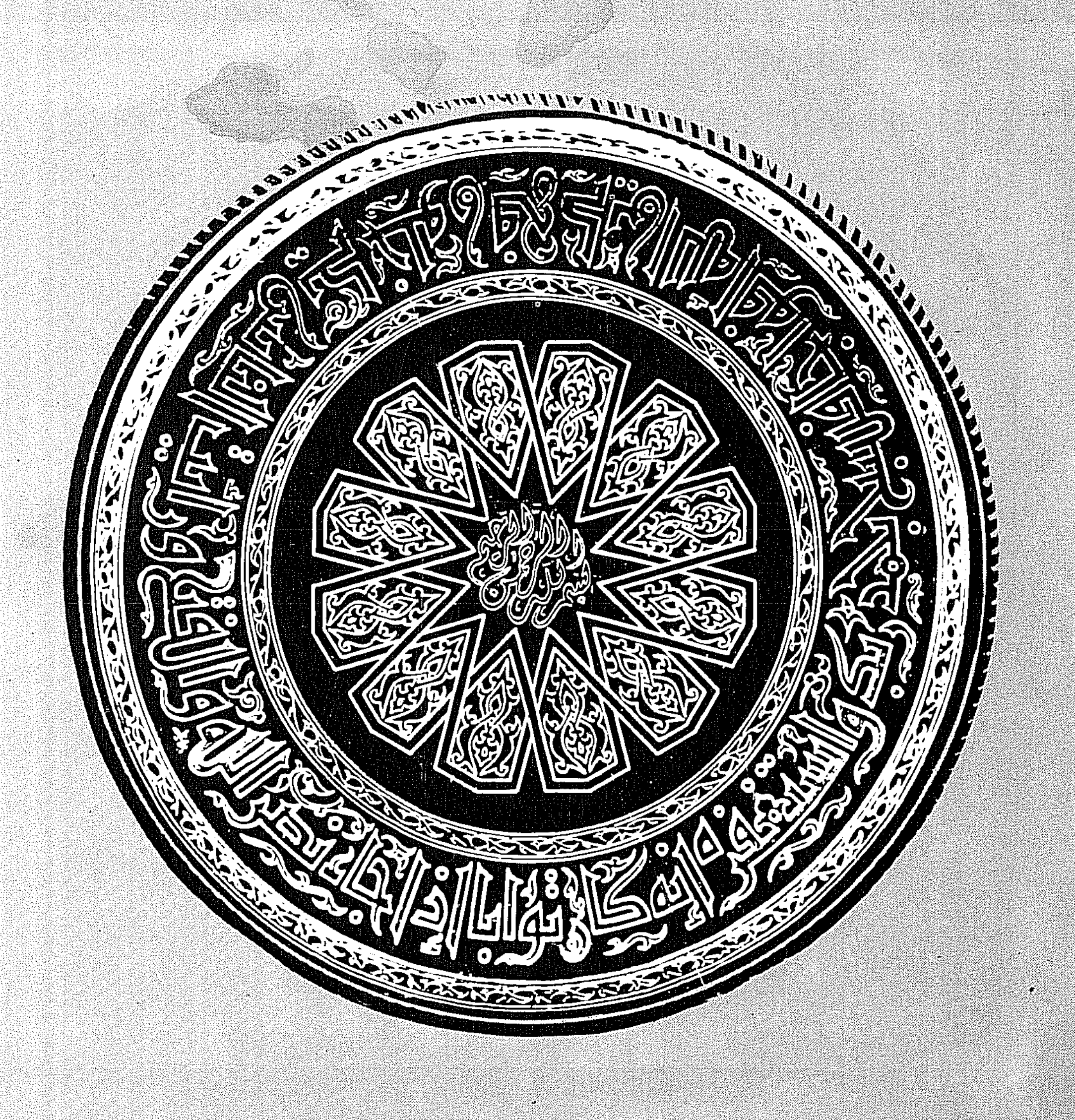
الوعي الإسلامي

العدد ٢٢٧ ذو القعدة ١٤٠٣ هـ اغسطس ١٩٨٣ م

هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان





AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٧ ذو العقدة ١٤٠٣ هـ اغسطس ١٩٨٣ م

مدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

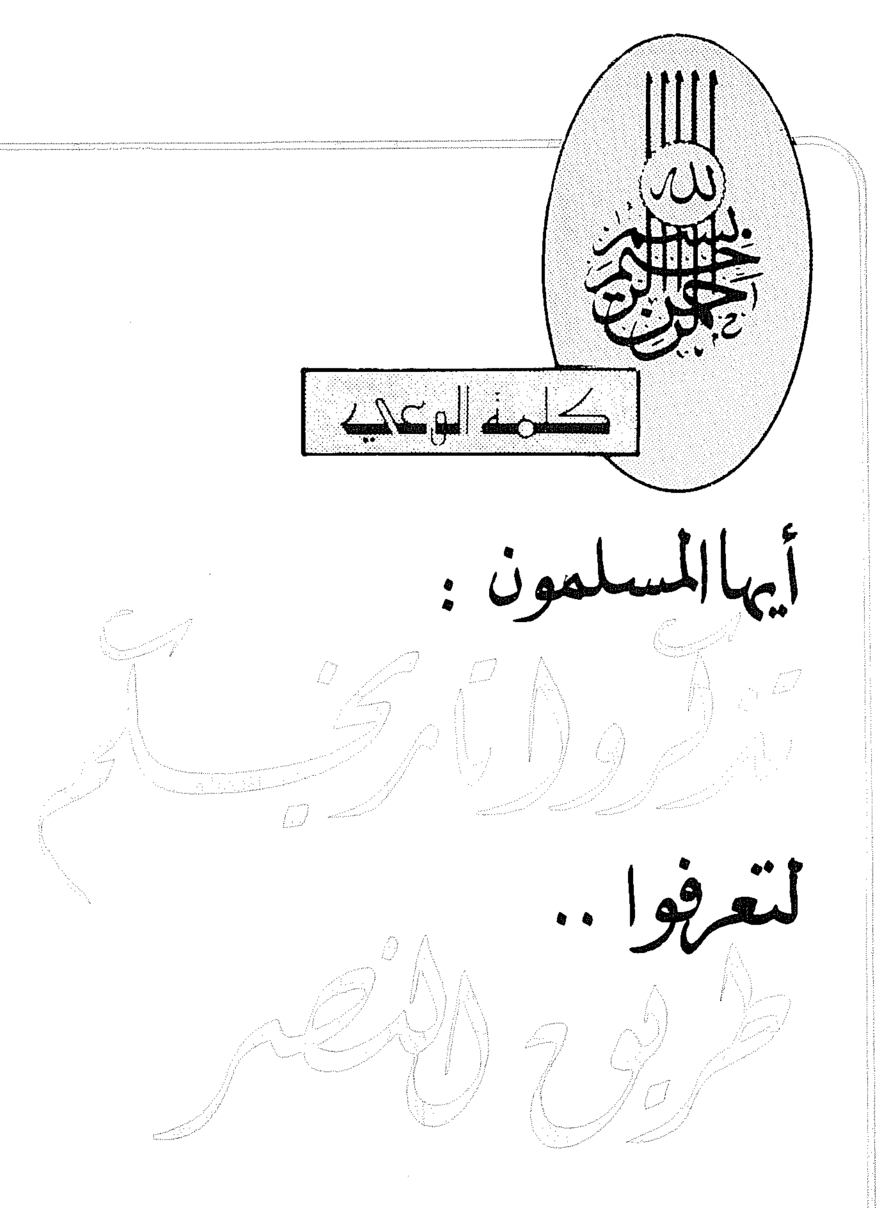
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص. ب. ٤٢٢٨، بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



أيها المسلمون : تذكروا تاريخكم لتعرفوا .. طريق النصر

من الوثائق التاريخية الاسلامية رسالة من الخليفة الأول ـ ابي بكر رضي الله عنه ـ الى ابي عبيدة بن الجراح قائد جيش المسلمين في الشام يقول فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله بن ابي قحافة الى ابي عبيدة ابن الجراح . سلام الله عليك .. أما بعد فقد وليت خالدا قتال العدو في الشام . فلا تخالفه واسمع وأطع . فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه ، ولكن ظننت ان له فطنة في الحرب ليست لك . أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد) .

وقبل واقعة اليرموك بعشرين ليلة مات الخليفة الأول ابو بكر رضي الله عنه ، وتولى الخلافة عمر بن الخطاب ، وبينما واقعة اليرموك قائمة على قدم وساق وصل الى ابي عبيدة كتاب من عمر رضي الله عنه يقول فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح . أُوصيك بتقوى الله ، الله يبقى ولا يبقى سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأُخرجنا من الظلمات الى النور .. وقد استخلفتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم . وبحقي الذي عليك لا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم مكانا قبل ان تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه ، وإياك والقاء المسلمين في التهلكة ، وقد ابتلاك الله بي وابتلاني بك ، فغض بصرك عن الدنيا وألْهِ قلبك عنها . إياك أن تهلكك كما اهلكت من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم) .

هذه الوثائق تضعنا أمام خليفتين للمسلمين ، من الخلفاء الراشدين وقائدين من اكفأ قادتهم .. الجميع تحكم المصلحة العامة أعمالهم ، فبدافع المصلحة العامة يرى كل خليفة رأيه في قيادة جيش المسلمين بالشام .

ابو بكر رضي الله عنه يعزل ابا عبيدة عن القيادة ويولي خالد بن الوليد ، وعمر رضي الله عنه يعزل خالد بن الوليد ويولي أبا عبيدة .

أما أبو بكر فيولي خالداً لما يرى فيه من الدربة العسكرية والخبرة الحربية مع الإشادة بفضل أبي عبيدة إذ يقول له في خطاب تولية خالد : « فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك » .

وأما عمر فلم يعزل خالدا لريبة إنما عزله كما قال في كتابه الى الأمصار : (إني لم أعزل خالدا عن سخطة أو خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فخفت ان يوكلوا اليه ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع . وقد قدر عمر ابن الخطاب خالد بن الوليد بعد ذلك تقديرا عظيما فإنه لما فتح خالد (قنسرين) تحت قيادة أبي عبيدة وانتهى الخبر الى عمر قال : (أمر خالد نفسه ، رحم الله أبا بكر كان أعلم بالرجال مني) .

وبدافع المصلحة العامة ضرب القائدان العظيمان ابو عبيدة وخالد المثل العالي على نبالة القصد ، وسلامة الهدف ، وسموّ الخلق ، وصفاء النفس .

فخالد بن الوليد حين وصله كتاب أبي بكر بتولية قيادة جيش المسلمين في الشام كتب الى أبي عبيدة يقول له : (بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد ابن الوليد الى أبي عبيدة بن الجراح . سلام الله عليك (أما بعد) فقد أتاني كتاب خليفة رسول الله يأمرني بالسير الى الشام ، والقيام على جندها ، والتولي لأمرها ، والله ما طلبت ذلك قط ولا أردته إذ وليته . فأنت على حالك

الذي كنت عليه ، لا نعصيك ولا نخالفك ، ولا نقطع دونك أمراً ، فأنت سيد المسلمين ، لا ننكر فضلك ، ولا نستغنى عن رأيك) .

وقدم خالد على أبي عبيدة ، ولقى كل منهما أخاه ولا شيء في نفسه سوى الإخلاص والود وحب الخير للاسلام والمسلمين ، وتولى كل واحد أمره ونفسه راضية بما هيء له .

وأبو عبيدة حين تسلم كتاب عمر بتوليته وعزل خالد كانت معركة (اليرموك) على أشدها ، فرأى بحكمته الرشيدة وبعد نظره وإخلاصه لدينه ان يرجىء تسليم ذلك الكتاب الى خالد حتى تنتهي المعركة لأن تغيير القيادة في اثنائها ليس في مصلحة المسلمين .

ولنستمع الى حديث الود والصفاء والوفاء الذي دار بين خالد وبين ابي عبيدة عندما وقف خالد على جلية الأمر بعد عشرين يوما من وصول ذلك الكتاب .. دخل خالد على أبي عبيدة فقال : « يغفر الله لك جاءك كتاب أمير المؤمنين فلم تُعْلِمْنِي وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك . فقال أبو عبيدة : « يغفر الله لك ما سلطان الدنيا أريد ، وما للدنيا أعمل ، وان ما ترى سيصير الى زوال وانقطاع ، وإنما نحن أخوان وما يضير الرجل في دينه ولا دنياه ان يلي عليه اخوه ، بل يعلم الوالي أنه يكون أدناهما الى الفتنة إلا من عصم الله عزّ وجلّ وقليل ما هم » .

أيها العرب المسلمون . هذا واقع مشرق من تاريخ الاسلام يرينا كيف محق الاسلام أخلاق الجاهلية وأحل محلها أخلاقا تمثل الإخاء والمحبة وصفاء النفس والإخلاص لله رب العالمين ، وكيف صانت هذه الأخلاق النبيلة وحدة الصف ، وكيف صنعت للجيش الاسلامي حلة النصر .. وانها لصفحة مجيدة من تاريخ الاسلام تصور كيف يصوغ الإيمان بالله نفسية الرجال ، وكيف يسدد أعمال الأبطال ، وكيف يقودهم الى النصر والفلاح .

لقد عمل أبو عبيدة بنفس راضية جنديا تحت قيادة خالد تنفيذا لأمر الخليفة ابي بكر رضي الله عنه . مع أسبقيته في الإيمان وأقدميته في الجهاد .. وعمل خالد بن الوليد جنديا تحت إمرة أبي عبيدة ، وهو راضي القلب مسرور الفؤاد ، لم يعلق بنفس أي منهما زهو القيادة ، ولا كبرياء الرئاسة ، ولم تضعف نفس أي منهما عن العمل لنصرة المسلمين حين أنزلته الأوامر من قائد الى مقود ، ومن آمر الى مأمور . بل كان كل منهما في كلتا الحالتين مغواراً جسوراً شجاعاً ، يقاتل الأعداء بلا هوادة ، ويحمل في نفسه الصافية ، وقلبه الكبير كل معاني الخير للاسلام وأهله .

ومن الصفحات المشرقة في تاريخ المسلمين هزيمةالصليبيين بعد ان صالوا وجالوا في البلاد اكثر من مائتي عام ، على يد القائد المسلم (صلاح الدين الأيوبي) وهزيمة التتار ـ الذين وطدوا أقدامهم في بلاد الشام وتطلعوا لاحتلال مصر ـ !! على يد القائد المسلم (سيف الدين قطز) .

إننا نقدم لولاة المسلمين وقادتهم تلك النماذج المشرقة من تاريخ المسلمين عسى أن يسيروا على الدرب (ومن سار على الدرب وصل) .

فيتماسكوا على الحق الذي اخرجهم الله به من الظلمات الى النور ، امتثالا لقول الله تعالى :

(فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم.وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) الزخرف/٤٣ .

ويتآخوا على الايمان والعمل الصالح . اتباعا لقول الله جل شأنه : **(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)** الحجرات/١٠ . وقول الرسول الكريم : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » رواه البخاري عن ابي هريرة .

ويتركوا التنازع والشقاق اهتداء بقول العلي الكبير **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)** آل عمران/١٠٣ . وقوله سبحانه **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)** الأنفال/٤٦ .

ان اعداء الاسلام ـ بعد هزيمة الصليبيين والتتار ـ عولوا على ان يتخذوا طريقا آخر للسيطرة على المسلمين ، فكان الاستعمار الذي دحرته الروح الاسلامية في النهاية وطردته من البلاد بتضحيات كبيرة بالأنفس والأموال .

ولكن الاستعمار خرج من البلاد بعد ان ترك تخطيطا لحكمها مصنوعا من أعرافه وتقاليده .. وذلك التخطيط يبعد المسلمين عن الحكم بالاسلام ليعيشوا مع تقنينات المستعمرين في الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة ، وعلى أعرافهم في الجنايات والجرائم ، وعلى تقاليدهم في الملاهي والمفاتن ، وفي العلاقات بين الرجال والنساء .. وعلى هذا التخطيط الذي يحرص عليه ذوو المصالح الخاصة تسير اكثر الدول الاسلامية الى الآن . وبسببه نزل بنا

ما نزل من أحداث !!

سلبت فلسطين وشرد أهلها ، واحتل ما حولها من ارض مصر وسوريا ، واحتلت لبنان ، وفتك بالآلاف من ابناء فلسطين ولبنان ، وغزيت افغانستان ويفتك بأهلها بجميع وسائل الدمار ، ونكل بالمواطنين المسلمين في الدول غير الاسلامية ، واستشرى استبداد المنافقين ، وتعاظمت جرائمهم وتفاقمت مؤامراتهم .

وهذه صفحة بالغة الأسى ، حالكة السواد في تاريخ المسلمين ! تحتاج من الولاة والقادة والشعوب ان يتأملوها ويتأملوا ما سبقها من انتصارات ليعرفوا كيف كانوا في ماضيهم المشرق ، وكيف اصبحوا في حاضرهم المحزن ، لعلهم يرجعون الى ما كانوا فيه من هدى ونور .

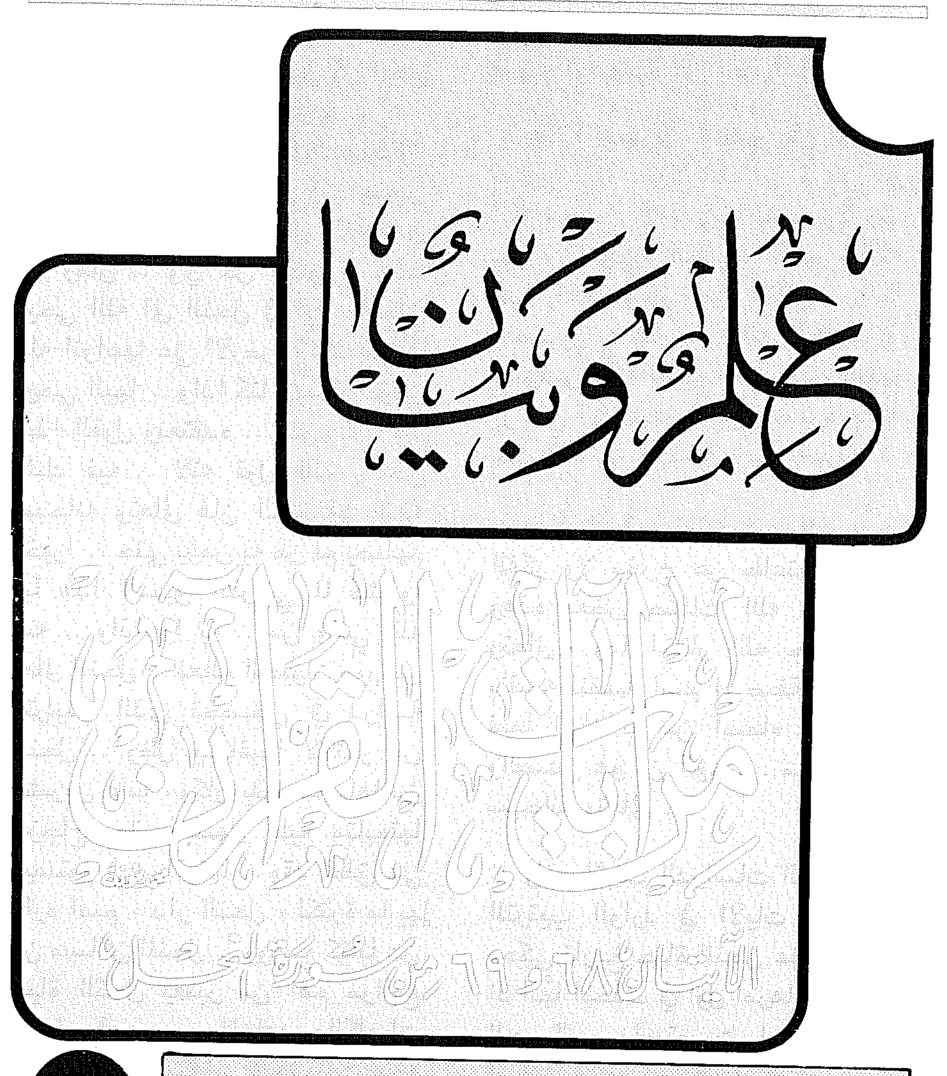
ان بعدنا عن الاسلام في شؤون حياتنا أوجد بيننا القطيعة والتنازع والشقاق ، وتلك من اقوى أسباب الفشل والهزيمة .. كما حرمنا من الأخوة الإيمانية ، والوحدة في ظلال عبادة الله وتقواه والتعاون على البر والتقوى . ومن فقد تلك المقومات فقد أهم أسباب النصر ، وأصبح لا يهتم الأعداء بأمره .

ومن حقنا على أنفسنا ان نتذاكر ـ دون إبطاء ـ تاريخ أسلافنا المجيد لنرى فيه نور الإيمان الذي أدى بهم الى الظفر بأعدائهم .. ونتذاكر واقعنا المحزن لنغيّر هذا الواقع بالعودة الى الإسلام حكما وتطبيقا وسلوكا وجهادا ، حتى نسترد ما ضاع منا ، ونقيم حياتنا على العزّة والكرامة ، ونتبع الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الانعام/١٥٣** .

ولنا وعد الله إذا حققنا شرطه (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم**) التغابن/١١ ووعد رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) اذا اتبعنا هديه (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم عن أبي هريرة .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للاستاذ / عبدالرزاق نوفل

(واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل/٦٨ و٦٩ .

والقول ما يقوله ربنا الحليم .. فالصدق كل الصدق والحق كل الحق هو ما جاء به القرآن الكريم ..

ان الله اوحى الى النحل .. واطلاق لفظ النحل .. انما ليشمل كل اجناس وانواع واصناف وفصائل النحل في كل زمان .. وفي كل مكان .. وكما اوحى الله الى النحل في اول ما خلق الله انواعها على الأرض ، فانه مازال يوحي اليها .. واذا كنا لابد ان نؤمن بهذا القول ونعتقده .. نلتزم به ، ولا نشك فيه .. لأنه قول الله الحق سبحانه وتعالى فان العلم قد اثبته اخيرا .. حتى يؤمن به من لم يصلهم نبأ هذا السبق القرآني لما كشفوا عنه .. واذاعوا به .. من وحي الله تعالى للنحل .. فعالم الحيوان موريس مترلينك الذي تخصص في دراسة النحل .. وظل يراقبها لاكثر من عشرين عاما ، وكان يقيم خلاياها من الزجاج حتى يسهل عليه متابعتها ويستمر في مراقبتها .. وقد اطلق على داره اسم « دار النحل » لكثرة ما بها من مساكن للنحل .. ووضع كتابا عن حياة النحل يعتبر من اهم مراجع النحل في جميع المعاهد والكليات الدراسية التي تعنى بالحشرات عامة وخاصة النحل يقول في كتابه :

« وتعمل الطبيعة عملها فتوحى الى النحل ببناء مسكنه على اساس مكين تتجلى فيه روعة الفن وجمال الذوق وابداع الهندسة . وتملى عليه تحديد نقطة البداية ونقطة النهاية في عمله .. وان تكون له خطة مرسومة فيقيم عيون اليرقات مثلا في مكانها الطبيعي بحيث لا تكون عالية او منخفضة او قريبة او بعيدة عن باب الخلية » .

هكذا يعترف العلم بأن النحل يوحى اليها .. ولا شك ان الموحي هو الله وحده . لا شريك له .. ولا رب سواه .. ولفظ الطبيعة الذي يطلقه هذا العالم وغيره من الناس .. انما يقصدون به الله .. ولا اله الا هو .. اذ يعترفون بأن الطبيعة التي يقصدونها إن هي الا مجموعة قوى مدبرة عاقلة حكيمة عالية تحكم الوجود بقدرتها ..

وتمسك العالم بارادتها .. لا يحدها الفكر ولا يخرج عن طاعتها شيء ، وهذه بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، وما اختار الله جل شأنه بنفسه لنفسه اسم او صفة الطبيعة فيما انزله له من اسماء .. فالحق والصدق هو ان الوحي . من الله .. سبحانه وتعالى ..

ولقد اثبتت الدراسات العلمية ان الترتيب الوارد في الآيات الشريفة يحكى تاريخ حياة النحل على الأرض اذ انها اتخذت في اول امرها بيوتها في الجبال ، واستمرت اجيالا من الزمان .. حتى نزلت الى الشجر تقيم فيه بيوتها .. ثم استأنسها الانسان ، واقام لها الاعراش عندما توصل الى معرفة انتاجها من العسل واتخاذه مادة غذائية له .. وكأن الله جل شأنه اراد ان يستمر الدليل قائما بين ايدي الناس على هذا التسلسل الزمني لحياة النحل .. فشاء سبحانه وتعالى ان تظل بعض اجناس النحل تتخذ من

الجبال بيوتا .. وغيرها تتخذ من الشجر بيوتا .. علاوة على ما تقيم فيه معظم انواع النحل في الخلايا التي يصنعها لها الانسان .. وهكذا يقرر عالم التاريخ الحشري ان القرآن الكريم قد سبقه بايراد هذه الحقيقة العلمية في تاريخ حياة النحل .

اما وحي الله سبحانه وتعالى للنحل .. بالبيت الذي تقيمه لها .. فان مجرد نظر الانسان بهذا البيت يتأكد به ومنه .. انه لا شك ، وحى الله . فانه مما يعجز اي قدرة بشرية أن تقيم مثل هذا البناء .. لذلك يقول أحد العلماء .. لو أن أحداً من عالم اخر هبط الى الأرض وسأل عن اكمل ما ابدعه منطق الحياة لما وسعنا الا أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع .. فان النحل عندما يريد ان يتخذ له بيتا .. فان حشدا هائلا منه يحط على المكان الذي وقع عليه الاختيار .. وينقسم هذا الحشد الى جماعات عديدة ومتعددة .. الجزء الاكبر منها ، يقوم بكنس الأرض وازالة القش وذرات الرمل او الورق الزاوي من الاشجار ، وذلك عن طريق تحريك اجنحة النحل بحركات سريعة ومستمرة ومتجهة الى كل جهات البيت ، فان النحل نظيف الى درجة الشطط .. يحرص عليه الى حد الهوس ، لذلك لا تجد اطلاقا اي اثر لتراب او مواد شائبة في العسل وهو في الخلية .. ويظل النحل يعمل في تسوية كل سطوح البيت وسد أيَّة منافذ بها .. ومعالجة اي تشقق فيه ، واثناء ذلك تكون جماعة من النحل قد تلاصقت وتماسكت بحيث تكون شكل مثلث كثيف اشبه بمخروط مقلوب رأسه عند قبة البيت .. ويظل هذا المخروط العجيب ساعات طويلة .. وهو ينتظر امرا .. ويتوقع شيئا .. لقد ارتفعت درجة حرارة البيت ارتفاعا كبيرا وشديدا حتى ليحس الانسان وكأن نارا موقدة داخل البيت .. ثم تظهر طبقات بيضاء شفافة عند فتحة الجيوب الاربعة الصغيرة التي تقع تحت معدة كل نحلة .. وفجأة نجد إحدى الشغالات كأنما ألهمت في التو واللحظة ، اذ تنفصل عن باقي النحل .. وتصعد الى اعلى موضع في قبة البيت ثم تنزع بفمها وارجلها احدى طبقات الشمع المتدلية من بطنها وتدحوها وتنشرها وتثنيها بمهارة فائقة وعجيبة .. وبسرعة قد لا يستطيع بصر الانسان ان يلاحقها .. واذ بها تلصقها بأعلى نقطة في القبة .. وبهذا تكون قد وضعت حجر الزاوية في مدينة النحل الجديدة .. وكما يقول العلماء ، نكون بذلك أمام مدينة مقلوبة تتدلى من السماء .. ويرقب باقي النحل هذه النحلة المهندسة .. وهي تحدد موقع الغرفة الأولى والتي لابد ان تتصل بها وتلحق ايضا بها باقي الغرف ، كل غرفة مع غيرها ، ان هذا النحل هو من طبقة العمال المثالية او النحاتين فهي لا تنتج شمعا ، انما هي تقوم بالحساب الرياضي لانشاء وتحديد مكان وعدد الغرف المختلفة ، والتي منها الغرف الملكية ثم الغرف الكبيرة المخصصة لتربية الذكور وخزن الطعام ، ثم الغرف الصغيرة

وهي مهد للعمال والمخازن العادية ، وهي تشمل اربعة اخماس البيت .. ثم يقيم النحل ما يمكن ان يسمى بغرف الانتقال للوصل بين الغرف الكبيرة والصغيرة .. وان الممرات والمماشي في الخلية .. تحقق كل اهداف الطرق .. باختصار في الطول .. والفتح في كل اتجاه .. الا أنها تحول دون اختلاط درجات الحرارة المختلفة الموجودة في كل قطاع من الغرف .. ويقوم النحل بالعمل .. ليقدم لنا الغرف المسدسة الاضلاع المنتظمة الشكل .. وهي اصلح الاشكال قطعا لانشاء الغرف التي لا يتخلف عنها مساحات لا فائدة منها ويجعل ارض الغرفة مؤلفة من ثلاثة سطوح تلتقي في نقطة فيتيسر له الاقتصاد في المادة والجهد .. ويقول العلماء ان النحل بما تبنيه من بيوت هي اسبق من الانسان بمبادىء هندسة الفراغ لأنها اسبق في الخلق وفي انشاء البيت من الانسان فلقد دلت الابحاث الحفرية على وجود النحل في عصر الترشياري اي من ٥٦ مليون سنة قبل الانسان .

لقد اتفقت كل دراسات العالم . والتقت كل تقارير العلماء على ان بيوت النحل هي اكمل واجمل وادق وارق ما يمكن مشاهدته من عمل يقوم به كائن حي .. في الحياة الدنيا .. وان النحل فيما تقوم به بداية من اختيار مكان بيتها حتى الانتهاء من تأسيسه والعيش فيه انما تستجيب لوحي الله اليها ، وتطيع إلهامه لها .

ومن اعجاز آيات قرآن ربنا العظيم .. ما نجده واضحا في قصة الحكيم .. اذ بعد ان اورد النص تاريخ حياة النحل على الأرض ، واقامة بيوتها بوحي الله لها .. يذكر ان وحي الله لها يأمرها بأن تأكل من كل الثمرات .. فتسلك سبل ربها لتحقيق رزقها .. ميسرة مذللة .. ويفيض العلم في وصف ما اجمله قرآن ربنا الكريم في بضعة الفاظ قصيرة جميلة جليلة ، فيضع الموسوعات والمراجع ، وكأنها كلها تشرح هذه الالفاظ القليلة وتثبت إعجاز القرآن الكريم العلمي والبلاغي معا .. ففي الصباح الباكر .. لكل يوم .. وكل يوم هو يوم عمل بالنسبة للنحل ، تخرج من الخلية نحلة هي الكاشفة او المستكشفة لتدرس المكان حول الخلية بحثا عن اقرب تجمع زهري للخلية ، بشرط ان تضم نوعا واحدا من الزهور اذ لا يحط النحل على نوعية من الزهر في يوم واحد .. وان تكون كمية الازهار مناسبة لحاجة كل سكان الخلية .. وعلى حالة من الصلاحية بحيث لا تضر النحل ، ولا العسل الذي سينتج منه .. فاذا اهتدت اليه .. حطت عليه .. واخذت من إحدى الزهرات ، الغذاء ، ثم تفرز من اسفل بطنها ومن غدة فيها .. رائحة مميزة خاصة بالخلية فوق المكان وحوله ، وكأنها تحدد المساحة التي خصصتها للنحل في هذا اليوم .. وتترك النحلة بعض الغذاء على جسمها لتتذوقه باقي الشغالات وتتعرف على رائحته .. وتسرع النحلة الى الخلية لتقدم تقريرها بالصورة والصوت والنموذج الحي لمكان وشكل وطعم وكمية

الغذاء .. ويخرج النحل الى المكان المحدد .. متخذا اقرب طريق اليه .. واسرع سبيل يوصل له .. دون ان تصحبه النحلة الكاشفة .. ويحار العلماء في سبب اهتداء النحل الى مكان غذائه .. وقد وضعت عدة تفسيرات شتى .. وقدمت العديد من التبريرات المختلفة ، وكل دراسة تؤكد عدم صحة هذا التفسير .. وذلك التبرير .. واسندوا ذلك الى قياسات واتجاهات تحددها النحلة الكاشفة لباقي النحل .. بالنسبة للشمس .. ولكن كثيرا ما غامت الشمس فيما بين عودة النحلة الكاشفة وخروج النحل .. إلا أن ما اتفقت عليه الأراء هو ان الله ـ سبحانه وتعالى وحده ـ هو الذي يذلل للنحل الطريق لغذائه .. ويوحي اليه بالسبيل الأمثل لذهابه وايابه ـ لا إله إلا هو ـ

وتتضح دقة اللفظ القرآني وإعجازه الكامل ـ وبيانه وبديعه وعلمه الشامل وكل الفاظ القرآن كذلك .. من ذكر النص الكريم انه يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس .

ولقد اعتقد البعض وحتى الى وقت قريب ان هذا الشراب هو العسل .. رغم ان الآية الكريمة لم تذكره بلفظه بينما ذكر العسل في آية اخرى .

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى) محمد/ ١٥ .

وقد توصل العلم الى اكتشاف حقيقة بالنسبة للنحل ، هي انها تخرج من بطونها عدة اشربة مختلفة الألوان والهيئات والاشكال والصفات .. وهي العسل .. وسم النحل .. والغذاء الملكي .. ولبن النحل .. كلها مختلفة الألوان .. كما ان العسل كذلك يختلف في لونه .. باختلاف نوع ولون الزهر الذي تغذى عليه النحل ، من اللون المائي المائل للاصفرار وحتى درجات لون الطيف .. أما ان في هذا الشراب المتعدد الاشكال والهيئات والصفات شفاء للناس ، فهذا دستور طبي وقرار علمي ، اجمعت عليه .. ودعت اليه ، كل المحافل الطبية والمعاهد العلمية ودور الصحة والعلاج والاستشفاء ، في كل دول العالم بلا استثناء واصبح يستخدم هذا الشراب على طبيعته كدواء ، فما لا يفيد فيه العسل ينجح في علاجه سم النحل ، وما يعجز عنه العسل والسم .. يقوم به الغذاء الملكي اما لبن النحل فمازالت التجارب تجرى عليه ولو ان النتائج حتى الآن تشير الى ان له القدرة الكاملة على تعقيم الوسط الذي يوجد فيه تعقيما كاملا وبالاضافة فانه يعيد بناء خلايا الجسم قوية ونشطة ذات حيوية وطاقة وقدرة ، ويراود العلماء الحلم بأن يكون لبن النحل هو ما كان العلم يسعى اليه جاهدا من قديم الزمان في اكتشاف مادة اكسير الحياة التي تطيل العمر وتشفي المرضى وتحافظ على الصحة .

واذا كان كل طبيب مختص في نوع من الأمراض ، قد كتب عن سبل

العلاج والوقاية مما تخصص فيه وذكر عسل النحل وسم النحل بصورة او اخرى ، فان هناك من العلماء والاطباء العالميين من كتبوا عن اشربة النحل بعد دراسات طويلة علمية وعملية .. ليس اولهم .. ولن يكون آخرهم .. الدكتور ن . يويريش الذي صدر كتابه في موسكو عام ١٩٥٩ متضمنا تقارير طبية عن تجارب اجريت على نطاق واسع في الاتحاد السوفييتي في معاهد التغذية والعلاج وباشراف الهيئات الطبية والفنية المختصة ، وكان عنوان الكتاب بالتحديد « العلاج بعسل النحل لامراض الجروح . الزكام . امراض الرئة والقلب . المعدة والامعاء . الكبد والكلى الجهاز العصبي ، الجلد والعيون ، السكر ، اطالة العمر ، ازالة التجاعيد ، الروماتزم ، ضغط الدم » وكان الفصل الرابع من الكتاب بعنوان « الاستشفاء بسم النحل » وقرر انه عن طريق لسع النحل للانسان مباشرة تعالج الحمى الروماتزمية والتهاب الأعصاب وآلامها ، وامراض الجلد ، والملاريا وامراض العيون ، وتضخم الغدة الدرقية المصحوب بجحوظ العينين وضغط الدم .. كما اوضح انه من ضمن طرق العلاج بسم النحل هو استنشاقه كأبخرة .. اما شمع العسل فانه يذكر في اخر صفحات كتابه انه يعالج داء الثعلبة .. وان التذكرة الطبية « الفارماكوبيا » للاتحاد السوفييتي قد نصت على ان جميع اللزق والادهان والكريمات تحضر بشمع العسل .. ويقول الدكتور يويريشي في كتابه عن الغذاء الملكي ان له خاصة عالية في قتل الميكروبات وان به هرمونا ينشط الغدد الجنسية بل وانه يدرس حاليا في بعض معاهد السرطان أثر هذا الغذاء الملكي على نمو الزوائد الخبيثة ، ويقول إن الخواص العلاجية والوقائية للغذاء الملكي في المراحل الأولى وان التجارب المقبلة والملاحظات الاكلينكية ستعين على اظهار اسرار هذا الدواء القوي ، كما تعين الاطباء على الاستفادة منه في صحة الناس .

ومازال العالم يجتهد .. والعلم يكد ويجد .. ليصل الى الجديد في حياة النحل ، والى المزيد من الوقاية والعلاج بما يخرج من بطونها من شراب .. وكلما توصل الى جديد .. اضاف وجها جديدا مشرقا ، لاعجاز آيات قرآن ربنا الكريم ، التي سبقت فقررت أن عمل النحلة كله هو من وحي الله لها ، وان انتاجها كله انما فيه شفاء « اي شفاء للناس » .

حقا .. وصدقا .. لابد لنا من الاستجابة لما يختم الله سبحانه وتعالى به الآيات .. ان نتفكر فيقودنا التفكر الى الحقيقة الأولى المجددة في الحياة ، ألا وهي وجود الله ووحدانيته .. ثم التسليم له .. والايمان برسالة الاسلام ، وبكتابه العظيم .. القرآن الكريم .. اذ يقول الله وهو اصدق القائلين :

(ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل .

صدق الله العظيم

الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي في الاسلام

الدكتور محمد شوقي الفنجري

تمهيد :

١ - **في الاقتصاد الرأسمالي** : الأصل هو حرية الأفراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي ، والاستثناء هو تدخل الدولة وقيامها ببعض أوجه هذا النشاط متى اقتضت الضرورة ذلك .

ولا شك ان تقدير هذه الضرورة من حيث التضييق او التوسيع من تدخل الدولة وقيامها ببعض اوجه النشاط الاقتصادي ، مرده ظروف الزمان والمكان ، ولكن يظل الاقتصاد رأسماليا طالما لم يعد الاستثناء هو القاعدة .

٢ - **وفي الاقتصاد الاشتراكي** : الاصل هو تدخل الدولة وانفرادها بالنشاط الاقتصادي ، والاستثناء هو ترك الأفراد في ممارسة بعض أوجه النشاط الاقتصادي .

وهذا الاستثناء قد يضيق أو يتسع

باختلاف ظروف كل مجتمع ، ولكن يظل الاقتصاد اشتراكيا طالما لم يعد الاستثناء هو القاعدة .

٣ ـ أما في الاقتصاد الاسلامي : فإن الحرية الاقتصادية للأفراد وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وانفرادها ببعض أوجه ذلك النشاط ، كلاهما أصل يتوازنان ، وكلاهما يكمل الآخر ولكل مجاله ، وكلاهما مقيد وليس مطلقا .

٤ ـ وأيا كان الخلاف الشرعي حول سند ومدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، فانه لا خلاف حول مبدأ التدخل باعتباره أصلا اقتصاديا اسلاميا . بل يرتفع تدخل الدولة الاسلامية في النشاط الاقتصادي إلى مرتبة التخطيط الاقتصادي الدقيق ذلك التخطيط الذي اصبح اليوم مطلبا شرعيا .

٥ ـ وعلى ضوء هذا التمهيد ، نعالج باختصار شديد ، موضوع الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، في الفروع التالية :

الفرع الأول : الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما أصل يتوازنان .

الفرع الثاني : الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما يكمل الآخر ولكل مجاله .

الفرع الثالث : الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما مقيد وليس مطلقا .

الفرع الرابع : الخلاف حول سند ومدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي .

الفرع الخامس : التخطيط الاقتصادي .

الفرع الأول
الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما اصل يتوازنان

١ ـ يقرر الاسلام حرية الأفراد في نشاطهم الاقتصادي ، ومن ثم فإنه يعترف لهم بالملكية الخاصة بكافة صورها الاستهلاكية والانتاجية بما في ذلك العقارات والمصانع والأراضي الزراعية ، وذلك بغير حدود إذ ان القيود التي يقررها الاسلام على الملكية الخاصة لا تتعلق بتحديدها أو وضع حد أعلى لها ، وإنما تتعلق بكيفية استعمالها . بل إن الاسلام يتشدد في حماية الملكية الخاصة معلنا أن : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم ، وان : (من قتل دون ماله فهو شهيد) أخرجه النسائي . ولعل من أبرز صور هذه الحماية قطع يد السارق وتنظيمه للميراث سواء في صورة أموال استهلاك او إنتاج .

٢ ـ كذلك على نفس المستوى يقرر الاسلام تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي سواء لمراقبة سلامة المعاملات وشرعية النشاط الاقتصادي عن طريق المحتسب ، أو تحقيق التنمية الاقتصادية عن طريق الملكية العامة ومباشرة بعض أوجه النشاط الاقتصادي كلما اقتضى الأمر ذلك ، أو كفالة حد الكفاية لكل مواطن عن طريق مؤسسة الزكاة ، أو حتى التأميم أو نزع الملكية الخاصة

للمنفعة العامة كتوسيع المساجد أو الشوارع أو إقامة المرافق العامة .. الخ .

٣ ـ ويهمنا هنا ان نشير الى ان الأصل الأول هو الحرية الاقتصادية ، وأن الأصل الثاني هو تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، وأن كليهما يكمل الآخر ولكل مجاله .

الفرع الثاني
الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما يكمل الآخر ولكل مجاله

١ ـ تحقيقا للباعث الشخصي وإعمالا للحوافز الفردية وضمانا لحسن سير المشروع الاقتصادي ، يصير « فرض كفاية » أن يقوم الأفراد بكافة أوجه النشاط الاقتصادي الذي يتطلبه المجتمع .

٢ ـ فاذا عجز الأفراد عن القيام ببعض اوجه هذا النشاط كمد خطوط السكك الحديدية او اقامة المصانع الثقيلة كالحديد والصلب ، أو اذا اعرض الافراد عن القيام ببعض اوجه هذا النشاط التي لا تحقق لهم ربحا كتعمير الصحاري وانتاج الاسلحة الحربية ، او اذا قصروا في القيام ببعض أوجه النشاط كعدم كفاية المدارس أو المستشفيات الخاصة أو كثرة مصاريفها ، فانه في مثل هذه الأحوال يصير شرعا « فرض عين » على الدولة أن تتدخل وأن تقوم بأوجه هذا النشاط .

٣ ـ ومن الواضح أن هذا التدخل ليس مصادرة أو معارضة أو حتى منافسة لحرية الافراد أو حقهم في القيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادي ، وإنما هو للتكامل والتعاون من اجل الصالح العام ، بحيث يجب أن يوزن ذلك التدخل في سببه ومداه بقدر ما يتطلبه الصالح العام ، دون تعسف او مساس لحرية الافراد في القيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادي .

الفرع الثالث
الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما مقيد وليس مطلقا

١ ـ يضع الاسلام قيودا عديدة على حرية الافراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي بحسب ما يقتضيه الصالح العام . فلا يجوز مثلا انتاج الخمور ، او ممارسة الاحتكار ، أو كنز المال وحبسه عن الانتاج والتداول ، أو حتى صرفه بغير حق في ترف أو سفه وإلا جاز الحجر على صاحبه .. الخ ، من المفاهيم الاسلامية التي قد لا نجد لها مثيلا في كافة المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية .

ذلك أنه في ظل أي نظام:رأسماليا كان أو اشتراكيا ، إذا حصل المرء على ثروة بالطرق المشروعة بحسب ذلك النظام ، فانه يكون حرا في استعمال ماله كيفما شاء كأن ينفقه كله على شهواته وملذاته . بخلاف الأمر في ظل الاقتصاد الاسلامي ، فانه لا يستطيع أن يصرف ماله على غير مقتضى العقل في ترف أو تبذير وإلا جاز الحجر

عليه .

٢ ـ كذلك فان حق الدولة بالتدخل في النشاط الاقتصادي ليس مطلقا ، بل هو بدوره مقيد بحسب ما يقتضيه الصالح العام .

فالدولة في ظل الاقتصاد الاسلامي لا تستطيع أن تنفرد بالقيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادي ، بل إن ذلك مشروط بأن يعجز الافراد عن القيام بذلك النشاط او يعرضوا عنه أو يقصروا فيه ، وذلك على نحو ما سبق بيانه .

٣ ـ ومن هنا نتبين أن الدولة الاسلامية لا تملك أن تصادر أو تؤمم نشاطا فرديا لمجرد شهوة أو التزام مبدأ التأميم ، بل لابد أن يثبت انحراف هذا النشاط وإضراره بالصالح العام اذ تدخل الدولة مقيد شرعا ، كما يجب ان ينظر في تعويض أصحابه إذ لا يجوز أكل أموال الناس بالباطل .

الفرع الرابع
الخلاف حول سند ومدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي

١ ـ ليس ثمة خلاف بين فقهاء الاسلام عامة والباحثين في الاقتصاد الاسلامي خاصة ، حول مبدأ تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي سواء كانت مراقبة أو مباشرة لذلك النشاط ، ولكن يثور الخلاف بينهم حول السند الشرعي لهذا الحق ، وحول مدى هذا التدخل وحدوده .

فيرى البعض كالاستاذ محمد باقر الصدر[١] ، أن الأصل التشريعي لتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي هو قوله تعالى : (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**) ، النساء / ٥٩ وأنه لا خلاف بين المسلمين أن أولى الأمر هم أصحاب السلطة الشرعية في المجتمع الاسلامي ، وإن اختلفوا في تعيينهم وتحديد شروطهم وصفاتهم ، وان لهذه السلطة حق التدخل لحماية المجتمع وتحقيق التوازن الاسلامي فيه . أما عن حدود هذا التدخل فيرى أنه مقيد بدائرة الشرع المقدسة بحيث لا يجوز للدولة أو ولي الأمر أن يبيح الخمر او يحلل الربا أو يعطل قانون الارث ، أما بالنسبة للتصرفات والأعمال المباحة في الشريعة كاحياء الأرض واستخراج المعادن والتجارة وغيرها من ألوان النشاط الاقتصادي ، فان لولي الأمر أن يتدخل فيمنع القيام بشيء من تلك التصرفات أو يأمر به وفقا للمثل الاسلامية للمجتمع .

بينما يرى البعض كالاستاذ الدكتور محمد عبدالله العربي[٢] ، انه بحسب الاسلام المال كله لله تعالى سواء تمثل في سلع حرة أو سلع اقتصادية وأن الانسان هو خليفة الله في أرضه وهو فيما لديه حائز لوديعة أودعها الله بين يديه ، وقد أمره خالقه بالانتفاع بهذا المال للوفاء بحاجاته واصلاح معاشه ، على أن يتفق هذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذي يعيش فيه وانه محاسب بنص القرآن على ذلك ، بحيث اذ اخل الفرد المالك

بمسؤوليات هذه الخلافة وتلك الوديعة حق للدولة أن تتدخل كما في حالة صرفه ماله على غير مقتضى العقل لقوله تعالى : (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**) ، النساء / ٥ أو أبقى ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع وكان هذا التعطل دون مبرر وطال أمده أكثر من ثلاث سنوات لقول الرسول عليه الصلاة والسلام (ليس لتحجر حق بعد ثلاث سنوات) . أما عن حدود تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، فيرى الدكتور العربي أن سنة الاسلام في تنظيم المجتمع قد جرت على البدء بفرض تعاليمه بمقتضى العقيدة عن رغبة واختيار ، فاذا صدع لها الأفراد خفت مؤنة الدولة وإذا احجموا عن تنفيذها بدأ تدخل الدولة ، بحيث لا توجد قاعدة جامدة يتقيد بها ولي الأمر (اي الدولة) في تحديد تدخله لتنفيذ تعاليم الاسلام ، إذ هذا التدخل ينقبض وينبسط تبعا لمستوى السلوك الخلقي السائد في المجتمع ومدى التزامه تلقائيا بتلك التعاليم ، بالاضافة الى الظروف الاستثنائية التي قد تعرض للمجتمع وتهدد كيانه وتتطلب التوسع في التدخل .

٢ ـ ونرى انه من الصعب ان نحدد دليلا شرعيا معينا يستند اليه مبدأ تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، إذ الحاصل ان هذه الأسانيد الشرعية متعددة ومتغايرة ، تبعا لتعدد وتغاير ما يفرضه الاسلام على الدولة من التزامات على نحو ما سبق أن لمسناه في مجالات التنمية والضمان الاجتماعي ومباشرة الدولة مختلف أوجه النشاط الاقتصادي التي يعجز أو يقصر الأفراد في القيام بها[١].

أما بخصوص مدى هذا التدخل وحدوده ، فإنه من الصعب أيضا تحديده ، إذ مرده ظروف الزمان والمكان بحسب ما تقتضيه المصلحة .

٣ ـ وفي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام لم تكن الحاجة تتطلب التوسع في التدخل وذلك لسببين :

أولهما: بساطة الحياة وضعف النشاط الاقتصادي ، إذ كان يقوم وقتئذ على الرعي والتجارة المحدودة .

ثانيهما قوة الوازع الديني ومراقبة الله في كل تصرف ، وبالتالي سلامة النشاط الاقتصادي وتحقق التكافل الاجتماعي تلقائيا مما كان يغني عن تدخل الدولة . لقد كان كل مسلم يلتزم الصدق في معاملته بل ويتنافس في البحث عن كل عاجز محتاج بكفالته ابتغاء مرضاة الله بل كان أثرياء المسلمين يتسابقون في القيام بأخص التزامات الدولة ، فهذا عثمان بن عفان يقوم بتجهيز جيش العسرة ، وهذا عبدالرحمن بن عوف يدفع بكل ثروته لإعتاق الرقيق ويسد حاجة كل محتاج . ولم تكن المسارعة الى البذل وقتئذ من شأن المكثرين وحدهم ، بل كان ذلك أيضا من المقلين حتى كان منهم من يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفيهم نزل قوله تعالى : (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) الحشر / ٩ .

٤ ـ وفي عهد الخليفة أبي بكر

الصديق ، ومن بعده الخليفة عمر بن الخطاب ، باتساع الدولة الاسلامية ، وما صاحب ذلك من زيادة الموارد وتنوع النشاط الاقتصادي وتعقده ، وجدنا تطبيقات عديدة يتوسع بمقتضاها في إعمال حق الدولة في التدخل في النشاط الاقتصادي ومن قبيل ذلك :

أ ـ منع سيدنا عمر بن الخطاب بيع وتجارة اللحوم واكلها يومين متتالين من كل اسبوع ، وذلك حين قلت اللحوم ولم تعد تكفي جميع الناس في المدينة .

وكان يأتي مجزرة الزبير بن العوام بالبقيع ولم يكن بالمدينة سواها ، فان رأى من خرج عن هذا المنع ضربه بالدرة وقال له « هلا طويت بطنك يومين » .

ب ـ بيع سيدنا عمر السلع المحتكرة جبرا عن محتكريها بثمن المثل ، وتحديده أسعار بعض السلع منعا للتحكم والاضرار بالناس .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم رفض التسعير بقوله (إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن القي الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال) أخرجه الترمذي وابو داود ، فذلك حين يكون ثمن السوق الذي تحدده قوى العرض والطلب عادلا أي غير مجحف بالبائع (عنصر نفقة إنتاج السلعة) أو المشترى (عنصر منفعة السلعة) . أما إذا صار ثمن السوق مجحفا بأحد الطرفين ، فانه يصير لزاما على الدولة أن تتدخل لقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقا على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة) أخرجه السيوطي . على انه يجب أن يراعى دائما في تحديد الأسعار ، ألا يلحق ضررا بالمنتج أو المستهلك ، وإلا تحملت الدولة فروق الأسعار . وهو ما عبر عنه الامام ابن القيم الجوزيه بقوله (وجماع الأمر أن مصلحة الناس إذا لم تتم إلا بالتسعير سعر عليهم تسعير عدل لا وكس ولا شطط)[3] .

جـ ـ تحديد سيدنا عمر بن الخطاب إقطاع الأرض التي لا مالك لها بقدر تعميرها ، بقوله لسيدنا بلال بن الحارث وقد أقطعه الرسول عليه الصلاة والسلام قطعة أرض (انظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تقو عليه فادفعه إلينا لنقسمه بين المسلمين) . فلما قال له بلال (لا أفعل شيئا أقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، قال له عمر (والله لتفعلن) ، وأخذ منه ما عجز عن عمارته وأعاد توزيعه على المسلمين[4] .

د ـ مصادرة سيدنا عمر كل زيادة غير معقولة في اموال ولاته ، بما فيهم سعد ابن ابي وقاص بطل القادسية وخال الرسول عليه الصلاة والسلام ، وخالد بن الوليد سيف الاسلام ، وأبو هريرة صاحب الرسول عليه الصلاة والسلام والمحدث المشهور ، وعمرو بن العاص فاتح مصر ، وغيرهم إذ أخذ نصف أموالهم دون مقابل وضمها إلى

بيت المال وذلك لمجرد شبهة استفادة الوالي من منصبه في تيسير أموره أو مجاملة الرعية له .

٥ ـ والأمثلة على ما تقدم عديدة . ولا شك أن دائرة هذا التدخل تتسع أكثر كلما ضعف الوازع الديني أو الخلقي في المجتمع كأن ينحرف الأفراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي لا يبغون سوى الاحتكار أو الاستغلال على النحو الذي قد نشاهده اليوم في بعض مجالات التجارة والصناعة وخدمات التعليم والصحة وغيرها .

الفرع الخامس التخطيط الاقتصادي

١ ـ ازاء تطور النشاط الاقتصادي اليوم واتساعه وتعدده وتعقده ، فإن تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي يرتفع اليوم إلى مرتبة التخطيط الاقتصادي الدقيق .

ذلك التخطيط الذي هو من قبيل المصلحة واصبح مطلبا شرعيا باعتباره من قبيل اعداد العدة الذي أمرنا به بقوله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**) الانفال / ٦٠ ، وهو ايضا من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو قوام المجتمع الاسلامي بقوله تعالى : (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف**) آل عمران / ١٠٤ ، وهو في النهاية إذ يرسم خطط المستقبل لفترات متتالية وآجال متعاقبة إنما ينفذ ما أثر عن الاسلام (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا) .

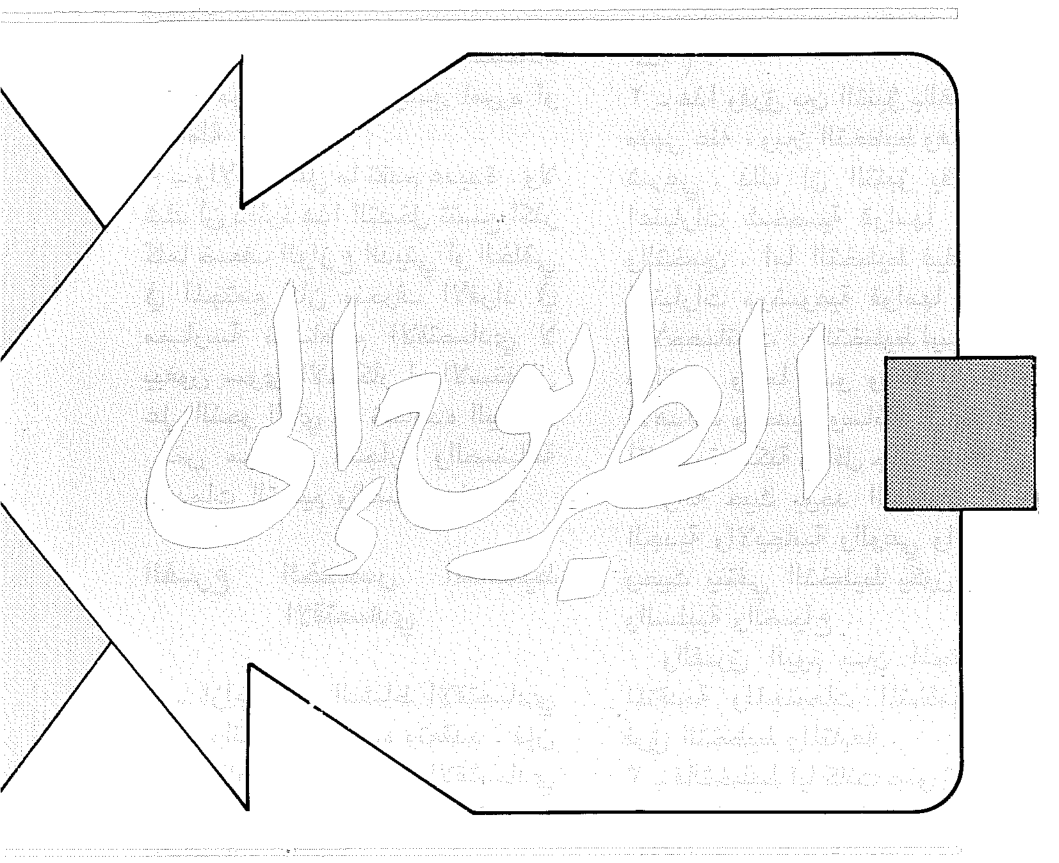
٢ ـ هذا وفرق بين التنبؤ بالغيب وهو منهى عنه ، وبين التخطيط وهو مطلب شرعي . ذلك أن التنبؤ يقوم على اعتبارات شخصية قوامها الحدس والتخمين ، أما التخطيط فيقوم على اعتبارات موضوعية قوامها الأرقام والاحصائيات . فالتخطيط ليس تنبؤا بالغيب وإنما هو وسيلة لضبط الأهداف وتحديد وسائل تحقيقها في أقل فترة ممكنة وبأقل جهد أو تكلفة .

وانه حيث يوجد التخطيط تكون الجدية والايجابية والوعي والتقدم ، وحيث ينتفي التخطيط يكون العبث والسلبية والضياع .

والفرق اليوم بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة ، هو فرق التخطيط والمتابعة .

٣ ـ فالتخطيط أيا كانت صورته ، وأيا كان مداه بحسب ظروف الزمان والمكان هو مطلب شرعي .

وقد يصل تدخل الدولة الاسلامية في هذا المجال الى حد التخطيط الاقتصادي الشامل . ولا يعني ذلك مصادرة حق الأفراد الأصيل في الاسلام بشأن حرية النشاط الاقتصادي وقيام الافراد بمختلف المشروعات الانتاجية ، ذلك لأن التخطيط الشامل لا ينفي نشاط الفرد أو وجود القطاع الخاص ، وإنما التنسيق بين نشاط الفرد والدولة والاستعانة بالقطاع الخاص وفقا للخطة المرسومة لتحقيق اهداف التنمية الاقتصادية وهو ما يتطلبه الاسلام .



من البديهيات التي لا يجوز ان يغفل الدارس عنها ان تجارب الآخرين مفيدة لهم ولمن يريد ان يستفيد منها ، واذا كانت الحكمة ضالة المؤمن ، فمن الطبيعي ان ننظر ونحن نخطط لمذهب أدبي أسلامي - في المذاهب الادبية التي ظهرت في العالم وندرس عوامل نشأتها وقوتها وانتشارها ، وهل فيها بذور مشابهة لأغراس مذهبنا ؟ وما الذي يمكن ان نتعلمه من تجاربهم ، دون ان نقع في تقليد الصغار او تعنت الجاهلين ؟

يلاحظ المدقق في المذاهب الأدبية الغربية انها نشأت بفعل اربعة عوامل تكاملت وتعاونت على افرازها ، وهي :

اولا - ظهور فلسفة أو تيارات فكرية تحمل تصورات خاصة للحياة والانسان ولها مواقف متميزة من العلاقات البشرية وطريقة تنظيمها ، وتشكل هذه الفلسفة والتيارات خلفية فكرية للمذهب الأدبي ، تسبق ظهوره غالبا وتكون إحدى أسباب ولادته .

فالكلاسيكية سبقتها الفلسفة العقلية التي انتشرت في بداية عصر النهضة ، وكان لهذه الفلسفة تصورات بديلة للتصورات المسيحية السائدة فشجعت حركة الإلحاد



للدكتور / عبدالباسط بدر

وحولت مقاليد الانسان من الغيب والقدر - كما هو في التصور النصراني الذي يثلث أو يوحد - إلى العقل البشري ، وجعلت ما يقدمه العقل من تشريعات وتنظيمات هو الحكم ، وأعطت منجزات الانسان قبل المسيحية - الرومانية واليونانية - الأولوية ووجهت الباحثين إلى دراستها وتنظيمها ، لأنه إبداع إنساني لا يستلهم تعاليم السماء ، وأصبح النظام العقلي هو الذي يدير قضايا الحياة كلها من السياسة ، حيث الميكيافلية ، إلى الفنون والآداب ، حيث يحيط العقل بالعواطف البشرية ، ولم تعد آراء الكنيسة مسموعة ولم يعد الأدب الذي يستند إلى التصورات النصرانية « أدب العصور الوسطى » مقبولا لدى النقاد والجمهور .

والرومانتيكية سبقتها تيارات فلسفية تدعو إلى الحرية والفردية والتفلت من قيود العقل الصارمة ،

وقد أثرت هذه الفلسفة في جوانب الحياة كلها : فكثرت ثورات الشعوب الأوروبية وحروبها ، واتجه الاقتصاد إلى نظام الاقتصاد الحر ، وتحول الفن والأدب إلى الاهتمام بالمشاعر والأحاسيس وتمرد على نظم الكلاسيكية .

والأمر نفسه في المذاهب الأخرى ، تظهر فلسفة تحمل أفكارا وتصورات جديدة فتؤثر في جوانب الحياة كلها ، ويمتد التأثير إلى الأدب ويشكل خلفية فكرية لمذهب أدبي جديد .

- وجود ظروف تساعد على انتشار الفلسفة والتيارات الفكرية الجديدة :

وهذه الظروف هي مجموعة الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولو عدنا إلى أمثلتنا السابقة لوجدنا أن الظروف المذكورة قد هيأت فرصة طيبة لانتشار مبادىء كل فلسفة أو تيار فكري أفرز مذهبا أدبيا .

فالنزعة العقلية التي أفرزت الكلاسيكية انتشرت بما تهيأ لها من ظروف مساعدة ، وكانت الظروف آنئذ هي النقمة على الكنيسة والضيق من تسلطها على الناس والحكام والحروب الصليبية التي دفعت أعدادا كبيرة من الناس إليها ، والنظام الاقطاعي الذي سام الناس خسفا وباركته الكنيسة وشاركت فيه ، وموقف رجال الدين المشين من العلم والعلماء .. هذه العوامل كلها ساعدت على إقناع الناس بالدعوة - « العقلية » وبناء الحياة بمعزل عن الكنيسة وشجعتهم على الأخذ بالكلاسيكية منهجا في جوانب الحياة كلها بما فيها الأدب بمعزل عن الكنيسة .

والتيارات الفردية وفلسفاتها المثالية انتشرت بفضل الظروف التي أحاطت بالغربيين في القرن التاسع عشر ، فقد كثرت الحروب واشتدت النزعة الاستعمارية ، وتوالت الأزمات الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية فأصيب الفرد الغربي بموجات من خيبة الأمل واليأس ، وبدأ يفقد الثقة بالنظام العقلي الذي انجبته الكلاسيكية وشعر بالحاجة الشديدة الى ملاذ عاطفي ، فأقبل على الفلسفات المثالية ، وطبقها في ميادين حياته ، وعلى رأسها الفن والأدب .

واذا تابعنا دراستنا للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ منتصف القرن الماضي حتى الآن فسنجد ان هذه الظروف قد أوجدت في الفرد الغربي استعدادا لقبول الفلسفات الواقعية والماركسية والوجودية ، وفي مقدمتها الحربان العالميتان ، والأزمات الاقتصادية الكبرى ، وتفكك الأسرة الغربية وتردي الاخلاق وموجات القلق والضياع .

- وجود ادباء يؤمنون بهذه الفلسفات ويستمدون تصوراتهم منها وينتجون أدبا يتأثر بها :

من المعروف ان المذهب الأدبي ليس مجموعة قواعد ونظريات بقدر ما هو مجموعة نصوص أدبية تأخذ بهذه القواعد ، وليس الأدب صياغة لأفكار فلسفية ، بل هو تأثر بهذه الأفكار ، ونتائج تنصب على عناصر العمل الأدبي في المادة والأداة الفنية .

فالفلاسفة واصحاب التيارات الفكرية والمذاهب الاجتماعية لا يضعون مذهبا أدبيا ، ولابد من وجود أدباء يتأثرون بآراء الفلاسفة ، وبالتيارات الفكرية الجديدة ويؤمنون بها ثم يصدرون عنها في أدبهم .

فالكلاسيكية الأدبية ظهرت بفضل كورني وموليير وراسين ، الذين اعجبوا بالنظام الكلاسيكي والأدب اليوناني فأخذوا بقواعدهما وطبقوها في مسرحياتهم .

والرومانتيكية الفرنسية ظهرت عندما ظهرت قصائد سندال والفريد دي موسيه وستندال ولامرتين وشاتو بريان ومسرحيات فيكتور هيجو ، وهؤلاء جميعا آمنوا بالمبادىء التي طرحتها الفلسفات المثالية وثاروا من خلال انتاجهم الأدبي على الكلاسيكية ومبادئها .

والرومانتيكية الانكليزية ظهرت بفضل قصائد وردزورث ووليم بليك وكولرد ج وشيلي التي جسدت النزعة الفردية والاهتمام الشديد بالعاطفة والوجدان .

والمذهب الواقعي الاشتراكي لم يظهر الا بعد ان ظهر مكسيم غوركي وبوشكين وآخرون اقتنعوا بالمبادىء الماركسية وانتجوا أدبا يبرز قضاياها الرئيسية .

والأمر نفسه في جميع المذاهب الأدبية الأخرى .

وجود نقاد ودارسين يحللون الأعمال الأدبية ويستنبطون منها اصول المذهب وقواعده ويجعلونها مقاييس لتقديم النصوص الأدبية التالية ويفسرون الأدب بموجبها ، ويتابعون الانتاج الأدبي الجديد :

فالكلاسيكية لم تتضح اصولها الا بعد ان استخرج الدارسون اصولها من الأدب القديم ومن كتاب أرسطو والشروح التالية عليه . وقد طبق النقاد هذه الأصول على الأدب في عصرهم وحاسبوا الأدباء عليها ، فلما تحولت القواعد الكلاسيكية إلى نظريات ساكنة ترقد في أعماق الكتب ، ولم يعد أحد من النقاد يقوم الأعمال الأدبية بها اعتبر المذهب ميتا .

والرومانتيكية استوت مذهبا أدبيا بفضل كتابات هربرت ريد ووليم بليك وكولرد ج ، وهوجو وشيلر وآخرين .

والوجودية استكملت وجودها مذهبا أدبيا في كتابات سارتر عن الالتزام وتحليلاته الأدبية .

والواقعية الاشتراكية تأصلت بفضل كتابات سوتشكوف وروجيه غاردوي وأرنست فيشر وجورج لوكاتش وغيرهم من النقاد الدارسين .

وهكذا تستكمل المذاهب الأدبية وجودها بفضل النقاد والدارسين الذين يظهرون هيكلها وقواعدها .

وطبيعي أن العوامل الأربعة التي ذكرناها ، تتعاون في إظهار المذهب الأدبي ولابد من وجودها جميعا ، وإذا غاب أحدها فقد المذهب الأدبي أحد عناصر وجوده والآن ما الذي نملكه من هذه العوامل ؟ وهل الطريق التي درجت عليها المذاهب الأدبية الغربية صالحة لكي تتدرج عليها خطوات مذهب أدبي إسلامي ؟ وهل

لدينا عوامل نشأة المذاهب ؟

أما العامل الأول : الفلسفة والقيم الفكرية التي تشكل خلفية المذهب الأدبي وتمده بالتصورات اللازمة عن الكون والحياة والانسان ، فما أحسب أن فلسفة في البشرية يمكن أن تقاس بالاسلام في ثراء قيمه وعظمة تصوراته وعمقها .

فالاسلام منهج متكامل للحياة ، وعطاؤه صالح لكل زمان ومكان ، وقيمه أبقى من الزمن نفسه .

وأما العامل الثاني : الظروف المناسبة لانتشار القيم الفكرية والمذهب الجديد فلا يخفى على أحد أن الظروف التي يعيشها العالم الاسلامي المعاصر تثبت بشكل قاطع حاجة المسلمين الماسة إلى استعادة شخصيتهم وأصالتهم وعزتهم على المستويات الفردية والجماعية ، بل وحاجتهم الماسة إلى بناء كيان ضخم يتناسب مع عظمة الاسلام نفسه .

إن الظروف الصعبة التي يعيشها العالم الاسلامي المعاصر هي خير دافع للمسلمين كي يتمسكوا بفكرهم الاسلامي ، فالشعور العام السائد لدى مسلمي هذا العصر هو أننا نعيش مرحلة تخلف وضعف ، ونسعى جاهدين للخروج منها وتخطي المعوقات الكثيرة التي يزرعها في طريقنا كل من يهمهم أن يبقى الاسلام ضعيفا والفرد المسلم يعاني من ضغوط هائلة تشعره أنه يعيش خارج عصره ، وتملؤه احساسا بضرورة البحث عن أسلوب لتجديد كيانه وبناء شخصية عصرية وقوية ، وهذه الظروف القاسية ، وآثارها النفسية أهم العوامل التي تدفع الى البحث عن أسلوب يحقق الشخصية الجماعية أيضا .

واما **العامل الثالث** ـ الأعمال الأدبية التي تكون هذا المذهب فأعتقد أن قسما وافرا منها موجود في أدبنا المعاصر ، وقسما آخر في تاريخنا الأدبي . فمنذ أن تكون المجتمع المسلم في المدينة المنورة ظهرت آثار التصور الاسلامي في أدب شعراء الدعوة الاسلامية واستمرت في العصور الأدبية اللاحقة بنسب متفاوتة ، وبدت في الخطابة بشكل أقوى ولم تغب عن أدبنا اطلاقا .

وعندما جاء العصر الحديث وحمل إلى المسلمين أعنف صدمة تواجههم في تاريخهم ، ألا وهي محاولة إخراج الاسلام من دائرة الحياة اليومية للمسلمين وإذلال الشعوب الاسلامية ، وجعلها تابعة لقوى عالمية غير إسلامية ! تفجرت مشاعر الادباء الاسلاميين ، وتوزعت شظاياها في أعمال أدبية شعرية ونثرية كثيرة ومتفرقة في جميع البلاد العربية والاسلامية غير أن محاولات طمس معالم الشخصية الاسلامية طاردت هذه الأعمال وألقتها خلف دائرة الضوء وملأت ساحة الأدب بانتاج لا يبرز شيئا من هذه المشاعر بل وشجعت الأدب الذي يسهم في طمس القيم الاسلامية والأدب الذي يأخذ بالقيم الغربية وتصوراتها وتواجهها لتعمق آثار الأدب الغربي فينا ، ولتؤصل كل اتجاه يخالف الاتجاه

الاسلامي ، وعلى الرغم من ذلك فان الأعمال الأدبية الاسلامية غير قليلة ، وقد صدرت دواوين شعرية وقصص وروايات ومسرحيات كثيرة في انحاء متفرقة من العالم العربي ومعظمها على جانب كبير من الجودة الفنية ، كما أن الشعراء قد استخدموا الأطر الفنية الحديثة .

اذن لا تعوزنا النصوص الأدبية التي تشكل المذهب الأدبي وتحمل صفاته وخصائصه . فهي موجودة ومتناثرة ، يؤذيها الاهمال المتعمد ، ويقلل من أثرها في ساحة الأدب ضعف امكانيات النشر عند أصحابها ، وقلة اكتراث دور النشر واعراض الأجهزة الرسمية في معظم الدول العربية عنها . وطبيعي أن هذه المعوقات سببت صعوبات كثيرة للأدباء الاسلاميين وربما تخنق مواهب عدة . لو فتحت لها المجالات لظهر فيها الأديب الفذ الذي يهز ساحة الأدب ، وليس محمد اقبال ببعيد عنا .

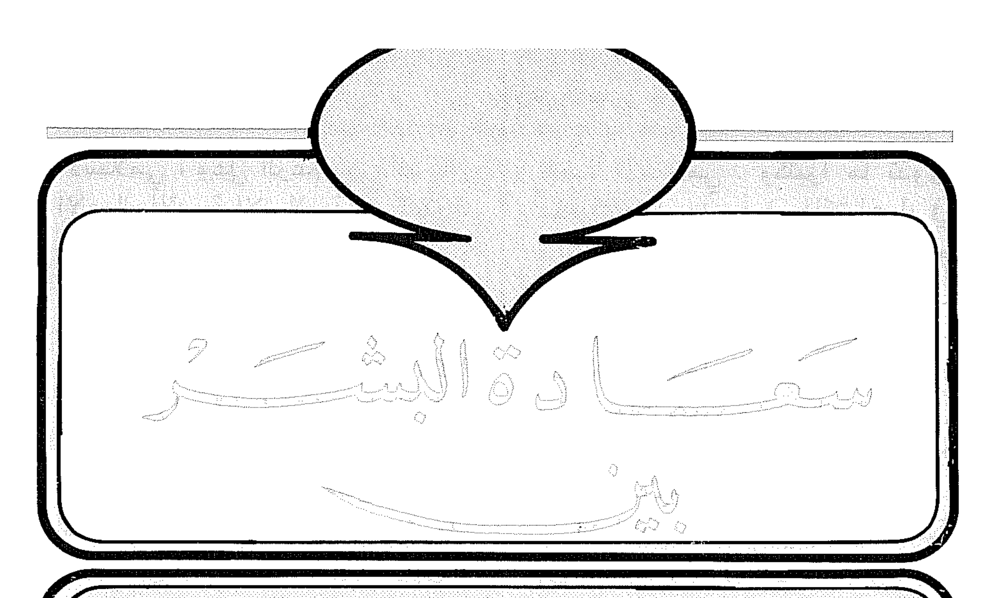
وأما **العامل الرابع** : وجود الدارسين والنقاد الذين يعكفون على النصوص ، ويستنبطون القواعد ويتابعون الانتاج ويطبقون المقاييس في مشكلة الأدب الاسلامي الأولى . فهؤلاء الدارسون قليلون جدا ، والنقاد الذين يريدون أن يؤصلوا التيار الأدبي الاسلامي أقل منهم . والى عهد قريب لم نكن نجد ناقدا واحدا يصدر عن تصورات إسلامية يقوم بها الأدب المعاصر . أو على أقل تقدير يهتم بالأعمال الأدبية ذات الخط الاسلامي . وكثيرا ما تذوى هذه الأعمال على رفوف المكتبات أو في مسودات أصحابها لأن أحدا لم يهتم بها . وعلى الأديب الاسلامي أن يجاهد بأدبه دون تشجيع من أحد ، وعليه أن يتجاوز صعوبات النشر ، وخصومات كثيرة من جهات قد تكون رسمية ليستمر في إنتاجه ، ووسط هذه الظروف عليه أن يطور أدواته الفنية .

ان الأدب الاسلامي بحاجة ماسة إلى النقاد والدارسين ليأخذوا بيد الأديب المسلم وليوجهوه ويعينوه على تطوير أدواته الفنية وهو في حاجة أمس إليهم لينظروا قواعد المذهب الأدبي الاسلامي وليضعوا تفسيرا إسلاميا للأدب ، ويدونوا تاريخ الأدب العربي برؤية إسلامية نقية لا يغيب عنها الحس الفني المرهف .

وإذا تحقق ذلك أمكننا أن نستعين بالعوامل الأخرى ، وهي مهيأة غالبا لننشىء تيارا أدبيا إسلاميا ومذهبا في الأدب يمكن أن ندعوه «**الاسلامية**»

غير أن « **الاسلامية** » لن تكون مجرد مذهب أدبي يعيش مدة من الزمن ثم يطويه النسيان ، لأن تصوراته ورؤيته لا يمكن ان تتغير لان مفهوماته للحياة والانسان والعلاقات البشرية صحيحة وسليمة دائما ، تحقق للفرد التوازن والانسجام وتغني تجربة الأديب وتثرى الأدب كله .

وطبيعي أن « **الاسلامية** » ستتوجه الى الأدب الاسلامي المعاصر وتجشع الأدباء الاسلاميين على الانتاج وتتابع انتاجهم بالدرس والتوجيه .



زكاة الإسلام وفائض القيمة الماركسى

للأستاذ / مصطفى الجرف

من أوجة العظمة التي ينفرد بها الاسلام كنظام يخاطب الجماعة الانسانية قاطبة ، انه لم ينبعث عن عقدة استحكمت لدى بيئة بعينها فأتى يعرض حلاً لها ، وانما هو وحي الله الكريم وهدى ونور من خالق الانسان تنزل من لدنه ليكون خاتمة الرسالات السماوية(...**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما**) النساء - ١٦٥) وعلى النقيض من هذا نشأت جميع المذاهب والفلسفات التي ابتدعها البشر « كرد فعل » لما شاب مجتمعاتهم من المظالم والانحرافات . وسوف نرصد هذا البحث للمقارنة بين نظامين هما الاسلام والماركسية في مجال يعتبره فلاسفة (الشيوعية الماركسية) محور ذلك المذهب السياسي ومبعث فخره على كافة الفلسفات والأفكار والمذاهب ألا وهو ما يسمى بالقيمة الفائضة أو فائض القيمة: surplus value فهذا الاصطلاح هو في نظر الشيوعيين الماركسيين (ودعنا نكتف باستعمال لفظ :الماركسيين) الفتح المبين والبشارة لسائر الكادحين المغلوبين على أمرهم من العمال والفلاحين في انحاء العالم !! فالماركسية في حقيقتها نظام اقتصادي بحت كما سنرى .

وعلى نفس الصعيد من الاسلام - اي من وجهته الاقتصادية - سنعرض

لعمود الزكاة فيه ، وذلك لأنه ليس مجرد نظام تفرع على نظام أشمل منه فيمكن أن يستبدل به غيره أو يعدل عنه الى سواه أو يخضع للتعديل على أي وجه من الوجوه ، وانما هو عمود من جملة أعمدة بنى عليها دين الاسلام لا مجال فيه لزيادة او نقصان لأن الذي فرضه هو نفسه خالق الانسان ـ حاكماً ومحكوماً منتجاً ومستهلكاً معطياً وقابضاً وهو سبحانه الأعلم بما يصلحه ويقيه شح نفسه(...**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) (الحشر ـ ٩ ، التغابن ـ ١٦) ومن خلال بسطنا لمفهوم فائض القيمة ـ الابتكار الماركسي ذائع الصيت ـ وتداعياته في نظام الماركسية وما نتج عن ذلك النظام برمته في عوالم الفلاحين والعمال في شتى أقطار الأرض التي خضعت له ، ثم تجلية مفهوم الزكاة في الاسلام والثمرة التي جنتها مجتمعات المسلمين على مر التاريخ من تطبيق نظام الزكاة كأحد الأعمدة المتلازمة المتشابكة المتساندة التي بنيت عليها عقيدة الاسلام ، يمكن لنا ان نستنطق الحق والمنطق كلمة سواء لصالح هذا النظام أوذاك .

● **ما فائض القيمة ؟ وما ضرورته ؟**

معلوم أن كارل ماركس(١) مؤسس الماركسية ومن بعده تابعوه ، متفقون على ان هذا العالم لم يخلقه خالق بل هو موجود بلا موجد وشعاره الذي تابعه عليه كل من آمن بنظريته واضح لا لبس فيه من حيث إنكار الألوهية والخلق والبعث والقضاء والقدر والملائكة والأنبياء والكتب السماوية وهم يحسمون الأمر معه هاتفين(**لا إله والحياة مادة**) ! ولما كانت الحياة قصيرة فهم في عجلة من أمرهم اذ يرون ان السعادة في هذه الدنيا لا تتحقق اذا ترك لكل فرد ان يستخدم إمكاناته ومواهبه لبلوغ هذه الغاية فهناك تفاوت بين الافراد حتى منذ لحظة ميلادهم ! بحسبان ان المولود لأبوين ثريين لا بد أن يتفوق منذ لحظة ـ الصفر على من يولد لأبوين فقيرين !! واذا اجابهم مفندو مذهبهم بأن التاريخ لا ينسج وقائعه على هذه الوتيره حيث يعلم القاصي والداني والعالم والغافل أن ألوفا من بني الانسان ولدوا في بيئات تقتات البؤس والمسغبة ولا يكاد يبدو لهم بصيص من أمل في حياة رافهة ولكنهم بعزائم تطاول اليأس يجتازون ما يعتاقهم من مشاق وعراقيل ويحفرون لأنفسهم في عرض التاريخ أخاديد تسجل كرامتهم وكرامة شعوبهم التي سادوها : ذلك بأن الله حين خلق الانسان زوده بارادة وفهم وعليه من بعد ان يجاهد ويصابر حتى يحقق ما يصبو اليه وبمشيئة الله سبحانه وتعالى(**لقد خلقنا الانسان في كبد**) (البلد ـ ٤) نراهم يشيحون عن هذا المنطق زاعمين أن الطبقة العاملة هي وحدها ضحية كل مجتمع يتشدق بالدِّين والتقاليد والأخلاق وان تلك المسميات كلها أدغال وأحراش يتخفى خلفها (البرجوازيون) أولئك الذين لا يعملون بأنفسهم عملا ما معتمدين

على أموالهم العقارية والمنقولة ، وجاههم الاجتماعي ، ليسلبوا من ثم عرق الكادحين وثمرات كدهم . ويستطار الجدال بين الفريقين اذ يعقب اعداء الماركسية على هذا قائلين لأنصارها :ولكن الذي تزعمون أنه من مبتكراتكم حملته كتب السماء تترى على متطاول من القرون وفي شعوب شتى فالكسول الذي لا يجدّ ويكدح ملفوظ بغيض في كل دين ، والمتلاف المضياع للمال والوقت والجهد فيما لاغناء فيه ولا ثمرة له ، عاص في كل بيئة تؤمن بالله وتتعبد في كتاب وتتجه الى قبلة ، وأن اليد المعروقة المخشوشنة من كدح ومعاناة يد يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهكذا ينبئنا رسول الاسلام ، وهذا هو المسيح عليه السلام يقول للعبيد الكسالى الذين لم يحفظوا وصاياه « أما العبد غير النافع فاطرحوه في الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان » (انجيل متى الاصحاح ٢٦/٣٠)ولليهود أكثر من مثال في التوراة يحض على العمل ويزري بالاهمال وهم قوم مشهود لهم بالدأب والحيلة في تحصيل المال . وهكذا كل أمة في هذا العالم تمجد العامل والنابه وتنبذ الكسول والخامل . فما خطبكم أيها الماركسيون ؟؟

ولكنما الجدال لا يأتي بخير ، فالماركسيون مصرون على ان الهرم الاقتصادي مقلوب وهم قد صمموا أن يعدلوه ، فكارل ماركس يفسر ما سماه بالقيمة الفائضة بأنه « مادام جزء من المجتمع يمتلك احتكار وسائل الانتاج فانه يتعين على العامل سواء كان حرا أو رقيقا ان يضيف الى وقت العمل اللازم لإعالة نفسه وقت عمل إضافي كي ينتج وسيلة العيش لأصحاب وسائل الانتاج »!!(٣) وهو يزيد الأمر ايضاحا فيقول ما معناه ان العامل - أي عامل مأجور لأداء عمل ما - خلال فترة معينة يكون قد قام بكمية عمل تضاهي وتقابل ما يدفعه فعلا اليه صاحب العمل ويسمونه (الرأسمالي) فكمية العمل هذه يطلق عليها اصطلاح (العمل الضروري) فاذا واصل العامل اداءه بعد ذلك - وهو لا بد ان يواصل ليحصل على اجره المتفق عليه - فكأنما هو ينتج كمية من العمل تفوق ما يساويه هذا الأجر المتفق عليه ! وهذا الجزء الزائد يعتبر ربحا يدخل (جيب) الرأسمالي وهو نفسه ما يسمى (فائض القيمة) وبتوالي قبض الأجر المحدد وقيام العامل بالأداء السخي هذا - مرغما طبعا لحاجته الى المال ليأكل ويعيش وهو وأسرته - تزيد وتتضخم ثروة الرأسمالي وهذا ما يعبر عنه الماركسيون بالتراكم حين يقولون مع زعيمهم وفيما أثر عنهم في كتاباتهم « ان هذا التراكم يؤدي الى وجود مزيد من الرأسمالية ، وبالاستحواذ على وسائل الانتاج من آلات ومواد خام وجهد العمال يزيد الرأسماليون غنى وقوة ويزيد العمال فقرا كما يزيد عددهم (٤) » ! لأن التنافس على العمل سيؤدي الى ذلك كما يؤدي الى خفض في التكلفة للسلع المنتجة ولا

حيلة للعامل الا ان يواصل الدوران ليعيش !(٥)ونظرية فائض القيمة هي المحور الذي يدور عليه كتاب رأس المال الذي اصدر ماركس الجزء الاول منه عام ١٨٦٧ وحين توفي اخرج صديقه وولي نعمته وخليفته في شرح الماركسية : فريدريك انجلز ، الجزء الثاني وأكمل له الجزء الثالث وكتب الجزء الرابع بنفسه وأصدره ختاما لمباحث ذلك الكتاب الذي اعتبر في هذا العصر انجيل الشيوعية المعاصرة(٦) ولن نستعرض او نتعرض لروح الإلحاد السافر في الماركسية والذي يديره « مجلس الالحاد العلمي » بموسكو وتتبعه مجالس اخرى مماثلة في ولايات الاتحاد السوفياتي او جمهورياته الخمس عشرة وان الحزب الشيوعي السوفيتي لا يمنح عضويته الا لمن يحوز مستندا رسميا بأنه ملحد وبرىء من كل الأديان ! لان الدين افيون الشعوب ! ومن أجل ذلك هدمت الدولة الماركسية الكنائس والمساجد والبيع وأبادت ملايين المسلمين في جمهوريات آسيا الاسلامية ونقلت الباقين كالقطعان لتوطينهم في اقطار اخرى من الاتحاد السوفيتي الذي زعم ان ثورته الشيوعية أتت لتحقق جنة الارض الموعودة للكادحين من فلاحين وعمال وبسطاء الناس . لن نتعرض لشيء من ذلك لا ولن نتساءل عن مدى حرية الفرد الشيوعي الذي (تمركس تمركسا كاملا) وغدا لبنة مخلصة في ذلك البنيان الماركسي الرهيب ، فان تطاير الأنباء منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبناء حائط برلين ، والحط العلني المتبادل بين روسيا والصين الماركسيتين ، وفضيحة ستالين بعد موته ونبذ جثته من مثواها البللوري الى جانب مؤسس الدولة السوفيتية فلاديمير لينين لتدفن بأمر خروشوف في مسقط رأسه (تفليس) وكأن دفن الانسان في التراب بعد موته عقوبة ..!! مثل هذه الأخبار المشينة وقد اصبحت الغذاء اليومي تقريبا لأجهزة رصد حرية الانسان السوفيتي الحالي تغنينا عن ان نقول قولا معادا في جدوى ما يسمى بفائض القيمة فضلا عن النظام الماركسي الوثني جملة وتفصيلا !! لأن النظرية التي ابتكرها ملحد يهودي الأصل(**وارتدّ ابوه الى المسيحية البروتستانتيه لأسباب غير مؤكدة**)بقصد سعادة البشر !! قد أثبتت انها فاشلة وأثبتت وقائع التاريخ بأن البشر لم يسحقوا ويستذلوا وبلا أدنى رحمة منذ كارثة الأندلس ـ بمثل ما وقع لكل أدمي يؤمن بإله على وجه من الوجوه في تلك البلاد الشاسعة التقدمية(!!)

● الزكاة في الاسلام .. وأثرها ؟

لعلنا قلنا في فائض القيمة وجه الحق وشرحناها بمثل ما يحبه لها ـ كنظرية ـ أهلها ومحبوها . والان نتجه لنرى كيف شرعت الزكاة ولماذا ؟ وما الأثر الذي أحدثته في مجتمع المسلمين الاول ؟ وكيف يمكن لهذا النظام وهو أحد عمد الاسلام أن

يحقق سعادة البشر جميعا بلا تفرقة بين طبقة واخرى او بين إنسان وإنسان ؟

فالزكاة - من تفسيرنا لإسمها ذاته ومعناه : التزكية والنماء والتطهير والصدقة والصفوة من الشيء - نعرف انها من رحمة الله بعباده فكلها خير مبنى ومعنى وبشرى للناس في كل مكان وفي كل جيل ، وزكاة تجمع على زوكات وزكا (بفتحتين) وتقول زكي تزكية وزكاة أي ادَّى الزكاة عن ماله وزكاه الله طهره واصلحه . فالفعل ومشتقاته هو الخير كله من أي وجه أتيته وهذه وحدها حجة لافتة للفهم السليم ونصاعة في لغتنا العبقرية موصولة الأسباب بحفظ من الله .

● فرضيتها ؟ وهل يجوز ان تخصل معها الضريبة ؟

نزلت الزكاة مقرونة بوجوب اقامة الصلاة في عشرات الآيات في عديد من سور القران الكريم ومنها قوله تعالى(**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**)(سورة البينة - ٥) والزكاة ركن من اركان الاسلام الخمسة وهي ثابتة بالقرآن كما رأينا وبالسنة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (**بني الاسلام على خمس ... الخ**) وبالإجماع ، وقد اصبحت فرضيتها معلومة من الدين بالضرورة . وقد فصل العلماء المجتهدون من أئمة المذاهب السائدة والبائدة القول تفصيلا في الزكاة ويهمنا في هذا المقام ان الطوائف الثماني التي حددتها آية الصدقات هم مصارف الزكاة على وجه التحديد وباب الاجتهاد مفتوح في شرح المعنى المراد بكل من هؤلاء الطوائف ومن عظمة شرع الله انه وضع الكليات وترك لعباده من العلماء بسط التفاصيل يقول الحق تبارك وتعالى (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل . فريضة من الله . والله عليم حكيم .**) (التوبة - ٦٠) وقد اختار الإمام الشافعي في كتابه (الأم) وهو يعقد فصلا لكتاب الزكاة ان يذكر قول الله تعالى (**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . الخ الأية**) بعد ان اورد مستهلا اية (**وما أمروا** ..) ليقرر الجزاء الأخروي اذا ما خولفت القاعدة القانونية أو حكم الله بفرض الزكاة . وتواترت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب اخراج الزكاة . وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه حتى يطوق به عنقه ثم قرأ علينا النبي صلى الله عليه وسلم « **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله** » من الاية ١٨٠ من سورة آل عمران .

وقد رد ابو بكر الصديق على عمر بن الخطاب حين اراد ان يثنيه عن مقاتلة من يشهدون بأن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويمنعون الزكاة بقوله :(**والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال . والله لو منعوني عناقا**) (٧) وفي رواية عقالا . كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه ... الخ الحديث) وقد فرضت الزكاة لأنها أصلا لغوث الفقير والمحروم ولتطهير قلوب المسلمين واموالهم ـ في العام الثاني من الهجرة لأن الاسلام دين عملي يسوس دنيا الناس ويهدهد الغرائز وفي رأسها الشح والتباخل والأثرة بعلاج رباني حكيم وربط الغني والفقير بآصرة وثقى تجلب المحبة والتواصل ومن لطائف الفقه الاسلامي انه بعد القول باشتراط النية عند اخراج الزكاة ككل الأمور التعبدية ـ حيث الزكاة عبادة ـ فانه لا يشترط أن يعلم آخذ الزكاة بأن ما يأخذه زكاة ! (٨) فالاسلام في جوهره توقير غير محدود للانسان وارتفاع بمعنوياته وتكريم موصول له .

وليست المشكلة في حكم الاسلام حصول بيت المال على جزء من مال الأغنياء ورده على الفقراء حيثما كان مصدره ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي بنبذ المال المشبوه وعدم قبوله ألبتة ففيما رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يقبل الله صدقة من غلول) والغلول لغة : الخيانة ولذلك (فلا زكاة على المال الحرام كالفوائد الربوية والمال الذي اخذه صاحبه بغير حق من المال العام ولكن هذه الاموال واشباهها تخضع لضريبة القيم المنقولة ! وقس على ذلك أرباح بيع الحشيش تخضع لضريبة الأرباح التجارية والصناعية ! وأرباح صالات القمار تخضع لرسوم الملاهي) (٩) وهذا التسامي في جمع حصيلة بيت المال في الاسلام صنيع له مغزاه .

وعلماء الاسلام يرون أنه يجوز فرض ضرائب اضافية مع الزكاة ـ على الاغنياء ـ وذلك اذا ما نزلت بديار المسلمين حاجة أو كانت حصيلة الزكاة لا تكفي لمقابلة نفقات الدولة المتعلقة بالدفاع وتحقيق الأمن وقد بني رأي فقهاء الاسلام على قاعدة وجوب تحمل الضرر الادنى لدفع ضرر أعلى وأشد (٤) والمال في الاسلام مال الله وله الحاكمية وحده سبحانه والتآخي الذي دعا اليه وقرره رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بمجرد الهجرة بين المهاجرين والأنصار وعقيدة المسلم في ان يبذل مال نفسه جهادا في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين في الارض من الرجال والنساء والولدان ومضاعفة الثواب على الحسنة بعشر أمثالها عند الله ـ كل هذه المبادىء تفسح للمجتهدين من علماء الاسلام ان يدعموا حوزته ماديا بمثل هذا الرأي الذي انتهوا اليه .. وإلا فما قيمة المال اذا هيضت الأمة وسقطت نفائس أموالها وكرائم أعراضها تحت أقدام العدو ؟؟

خاتمة ورأي :

مجتمع فائض القيمة بشهادة أهله وسادته ومعارضيه أيضا ، مجتمع متناكر يتربص بعضه ببعض ، فالحكم فيه لصفوة تستمتع بأطايب الحياة أو كما يقول أندريه جيد الكاتب الفرنسي الشهير فيما نقله عنه العالم المجاهد الشيخ محمد الغزالي في كتابه : الاسلام في وجه الزحف الأحمر « وأنا أسلم جدلا بأنه لم تعد في روسيا طبقات ولا فوارق ولكن الواقع ان فيها فقراء بل انهم الكثرة البالغة !!...

ويقول عن الفاقة والغطرسة هناك : حتى لتخيل للمرء انها الفاقة الأثيمة الناشئة في أحضان الإجرام فلا تثير شفقة ولا تبعث على العواطف والاحسان ، بل ينظر اليها بعين الازدراء والاحتقار !! » أي ان الشقاء الاجتماعي والنفسي رغم كل الهيكل والهيلمان للدولة الماركسية الكبرى في العالم هو النتيجة .. وقديما قالوا من زرع الشوك لا يجني العنب ! والبلبل لا يغني في قفص ولو من ذهب ! أما مجتمع الزكاة فهو المجتمع الذي عزّ جانبه فردا فردا على عهد عمر والشمس لا تغرب عن وطنه المترامي الأطراف حتى لا يجد عمال بيت المال فقيرا أو مسكينا مستحقا الزكاة ! وحتى يقف علي بن أبي طالب بعد أن يأمر بتوزيع مذخور بيت المال على المسلمين فلا يبقى فيه شيء ثم يصلي لله فيه شكرا على نعائمه . ومازال كل مجتمع حتى أيامنا هذه يتواصى بإخراج المصاريف لولا ان تشريعات غريبة ملتوية القصد تقطع الطريق وتلتوي بالمسلمين عن قصد السبيل وما إنشاء (البنوك) المصارف الاسلامية ونصها على إخراج زكاة الاموال الا عنوان صحوة اسلامية فلن يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله .

(١) من أصل يهودي الماني (١٨١٨ ـ ١٨٨٣)

(٢) مكابدة الأمور ومشاقها ـ ابن كثير .

(٣)(٤) الماركسية : فريدريك انجلز ـ ترجمة ماهر نسيم .

(٥)أجمع نقاد الماركسية على عدم سلامة تحليلات ماركس وتوقعاته لأنه بناها على واقع متغير في مطلع القرن التاسع عشر وقت شيوع البطالة وتشغيل النساء والأطفال في اوربا .

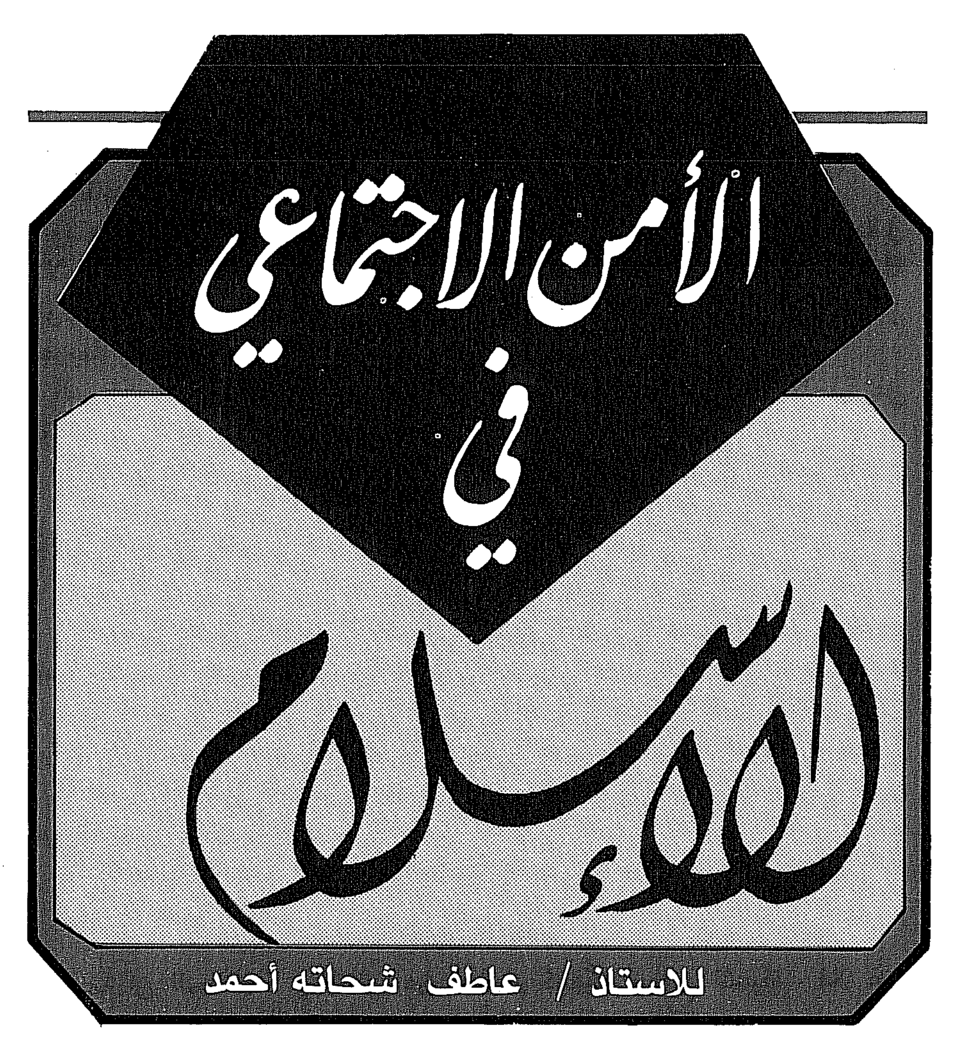
(٦) المصدر السابق والموسوعة العربية الميسرة ط ١ ص ١٦١٥ .

(٧)العناق : الانثى من المعز . من حديث عن ابي هريرة رواه البخاري ومسلم .

(٨)سبيل الفلاح بشرح نور الايضاح ـ للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد (حنفي) .

(٩) محاسبة الزكاة ـ دكتور حسين شحاته ص ١٠٤ .

(١٠)المرجع السابق نقلا عن (فقه الزكاة) للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٩٧ .



الأمن الاجتماعي في الإسلام

للاستاذ / عاطف شحاته أحمد

نشرت صحيفة (اخبار اليوم) القاهرية عن تقرير لمكتب التحقيقات الفيدرالي في امريكا تقول :

زادت جرائم العنف في عام ١٩٨٠م بنسبة ١١٪ عن العام الذي قبله . وتضاعفت نسبة هذه الجرائم اربع مرات في السنوات العشر الخوالى ، وقد لقي في العام الماضي (٢٣) ألف شخص مصرعهم على أيدي المجرمين القتلة . بالقياس الى ٩٠٠٠ شخص فقط منذ عشرين عاما .

وفي عام ١٩٨٠ ايضا تم اغتصاب (٨٢) الف سيدة وفتاة ، وتعرض اكثر من نصف مليون شخص لحوادث السطو المسلح ، وتعرض (٦٥٠) الف شخص للهجوم على منازلهم .

ولا يتمكن رجال البوليس من القبض إلا على نسبة ١٩٪ فقط من الجناة ويفلت اكثر من ٨٠٪ من العقاب مما جعل عدد الجرائم يتزايد باستمرار حتى قدر عدد الجرائم التي تقع سنويا في مدينة نيويورك وحدها بمليون جريمة . وبالرغم من ان

امريكا تنفق سنويا (٢٦) الف مليون دولار لمكافحة المجرمين ورغم ذلك فالسلطات الامريكية تخوض معركة خاسرة حتى الآن ضد المجرمين .
وبقراءة هذا التقرير وغيره يتبين للقارىء الحال التي وصلت اليها الجريمة في البلاد التي تحكمها قوانين وضعية ، وهذا مثال لتزايد عدد الجرائم سنويا في دولة كالولايات المتحدة الامريكية . مما يبرهن على فشل هذه القوانين في الحد من الجريمة بأنواعها ..
السرقة والقتل والاعتداء على الأعراض وغير ذلك . وسنحاول هنا الاجابة على سؤالين :
ولكن كيف قاوم الاسلام الجريمة ؟ وكيف صان امن الأفراد والجماعات ؟

★ الأمن في الاسلام :ـ

إن الاسلام عني بالامن الاجتماعي وحرص على ان يعيش المسلم آمنا على نفسه وعلى ماله وعلى عرضه . فهذا الأمن ضروري لدى لبنات المجتمع المسلم ولا يقل اهمية إن لم يزد عن الأمن الغذائي والأمن الصحي والأمن الثقافي ، وكل انواع الأمن ـ وماذا يفيد ذلك كله ما لم يأمن الفرد أولا على دمه وماله وعرضه ؟
فالأمن الاجتماعي هو أهم ما يسعى اليه أي مجتمع وليس بغريب ان يمن المولى سبحانه على قريش فيقول :
(**فليعبدوا رب هذا البيت.الذي اطعمهم من جوع و آمنهم من خوف**) آية (٣ ، ٤)من سورة قريش

وكما ان الجسم لا يستغنى عن الطعام كمقوِّم اساسي للحياة ، فلا غنى للمجتمع المسلم عن الأمن كأساس من أسس بنائه وحياته .
ونظرة بعيدة الى القوانين التي تحكم الجزء الاكبر من العالم ـ وهي قوانين وضعية والتي نسعى جاهدين للأخذ عنها ـ وقد اصطفانا الله عزَّ وجلَّ بقوانين سماوية شملت فوق سعادة الآخرة سعادة الدنيا ، وكفلت للأفراد والمجتمعات الاسلامية ـ اذا طبقت ـ آمن عيش وأهنأ حال . وليعتبر اولو النهى من المدافعين عن القوانين المستوردة ، حتى وان ثبت فشلها في تحقيق الأمن لمن تطبق عليهم .

قبس من توجيهات الاسلام »

ذكر الأمن في القرآن الكريم في عدة مواطن .. فيها نرى ضرورة هذا العنصر وأهميته في حياة الأمم والأفراد .
منها دعوة الخليل ابراهيم عليه السلام لمكة بالأمن والرزق في قول الله تعالى :
(**رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات**) ١٢٦/من البقرة ومنها ما يجعل الأمن والرزق مترتبين على العبادة والشكر ، والعكس في قوله سبحانه :ـ

(وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (١١٢/النحل)ومنها ما يجعل الأمن مترتبا على الإيمان الخالص في قول الله تعالى :

(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن) الأنعام/٨٢ .

ومنها ما يعد المؤمنين بالاستخلاف في الأرض ، وتمكين الدين لهم ، وإحلال الأمن محل الخوف إذا هم عبدوه سبحانه .. في قوله تعالى :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) النور/ ٥٥ .

والمسلم لا يتحقق اسلامه إلا اذا سلم المسلمون من شره ، كما ان المؤمن لا يكمل إيمانه إلا اذا أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) متفق عليه عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

ولكي يوفر الاسلام لأتباعه الأمن أمر برعاية حقوق الغير ، وحث على عدم تكدير هذا الأمن على أفراد المجتمع . والمسلم حين يعيش بالاسلام يصبح روحا طيبة .. لا يؤذي غيره ولو بلسانه ..إنه يد تعطي ولا تضرب ، تعين في الحاجات ولا تؤذي ، ولا تنتهز فرص الضعف لتسفك الدماء وتزهق الأرواح لأجل حطام مادي زائل .

**** من التدابير الوقائية :**

وضع الاسلام تدابير وقائية ليحمي المجتمع من الجريمة ، وشدد في توجيه المجرمين حتى يكفوا عن إجرامهم ، ويتغلبوا على نزعاتهم الشيطانية ، وينتصروا على شهواتهم ويكبحوا جماحها . وذلك من أول الطريق .

وهذا حديث شريف يشعر بمدى إجلال الاسلام لمبدأ الأمن العام حين يغلظ في القول لمثيري الفزع ، ومكدري الأمن فيقول :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر) . متفق عليه

والله لا يحب الفاسقين ، ولا يهدي القوم الكافرين .

فحياة المسلم معاشرة بالحسنى ، وخلقه مع إخوته هو الذلة والخضوع ، والدعة والتواضع . بَيَّنَ ذلك القرآن الكريم فقال : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..**) ٢٩/ الفتح وقال : (**اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ..**) ٥٤/ المائدة .

ومن خلال هذه التوجيهات الكريمة قدَّر المسلمون عظم المسؤولية الملقاة عليهم لضمان الأمن لهم ولشركائهم على سفينة الحياة التي تقلهم جميعا .

ومن التدابير التي وضعها الاسلام لصيانة الحرمات عدم إشهار الأسلحة في وجوه الغير ولو على سبيل التهديد أو المزاح ، فقد يصل الأمر إلى ما لا تحمد

عقباه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ـ : (لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار) . متفق عليه .

كما نهى عن التقاء مسلمين وتقاتلهما بالسيف ، وحذرهما من النار ـ القاتل والمقتول ـ لأن كلا منهما حمل سلاحه .

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا توجه المسلمان بسيفهما . فالقاتل والمقتول في النار .) ولما سئل عن علة دخول المقتول النار وهو مجنى عليه قال : (إنه كان يحرص على قتل صاحبه) . رواه مسلم

فما دام قد حمل السلاح فمعنى ذلك سوء نيته ، والأعمال بالنيات . ولو أتيح له قتل صاحبه لما تمهل فكان هذا المصير حريا بهما معا .

وبعد ذلك يعلو صوت النذير والتحذير يخوف من استهان بحرمات الغير ، والمعتدي عليهما أو على أحدهما .. ربما انتفع بها مسلم فحجبته عن جريمة في حق أخ له .

والجرائم التي عجزت القوانين الوضعية عن مكافحتها تتمثل في السرقة والقتل والزنا والحرابة . وهي بعينها ما أولاها الاسلام عناية فائقة مع غيرها من الجرائم .

** ففي القتل :

عن البراء رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) رواه ابن ماجه بسند حسن

وقال تعالى : (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ** ..) ٩٢/ سورة النساء .

وقال : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** » ٩٣/ سورة النساء ..

وقال : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق** ..) ٣٣/ الاسراء

** وفي السرقة :

قال تعالى (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** ..) ٣٨/ سورة المائدة .

وروي أن رجلا غل عباءة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما مات قال النبي عنه (هو في النار) بسبب هذه العباءة التي غلها من غير حق — رواه البخاري

** وفي المظالم وردها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ..) رواه مسلم
وقال فيما رواه أبو موسى الأشعري :
(إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته . ثم قرأ (**وكذلك اخذ ربك إذا اخذ القرى وهي ظالمة إن اخذه اليم شديد**) هود/١٠٢ متفق عليه
وروى أبو أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحَرَّم عليه الجنة فقال رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ فقال : وإن كان قضيبا من أراك) رواه مسلم .
وفي إغماد الاسلحة : روى أبو موسى عن النبي قال :
(من مرَّ في شيء من مساجدنا وأسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء) . متفق عليه
هذا إن وجدت ضرورة لحمل السلاح كالحراسة مثلا . وما يقال عن النبل يقال في غيرها من الأسلحة .. حتى لا يصاب مسلم خطأ . فكيف بمن يثير الرعب علنا ؟! وكيف بمن يكدر الأمن عمدا ؟ !

*** وعن الزنا والقذف :**
يقول تعالى : (**ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا**)-٣٢-سورة الاسراء .
ويقول في معرض الحديث عن عباد الرحمن :

(**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا** ...) الفرقان ٦٨/ ٦٩ وقال في الذين يقذفون العفيفات المحصنات المؤمنات بغير حق :
(**والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون** ...) ٤/سورة النور وقال في التعقيب على حادثة الإفك مبينا مصير هؤلاء وغيرهم في الآخرة :
إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ...)-١٩/النور .
ولقد غلظ النبي صلى الله عليه وسلم من جريمة القذف ، فجعلها من الذنوب الموبقات وعدها مع السحر والقتل والرِّبا فقال :
(اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله وأكل الرِّبا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) رواه البخاري ومسلم .
وهذه هي الجرائم التي شاعت في الدول التي تسودها القوانين الوضعية ولذا

رأيت ان اقتصر على بيان موقف الاسلام منها . وكيف حمى المجتمع المسلم من آثارها وعمل على كف المجرمين حتى لا يعبثوا بحرمات الآخرين ـ وقد بان فيما سبق حديث الاسلام عنها وعن مصير أصحابها في الآخرة .

ولم يكتف الاسلام بالتخويف من سوء المصير للمجرمين ، ولكنه حدّ حدودا زاجرة ليعرف المجرم أنه معاقب على جريمته في الدنيا ، إذا ثبتت عليه الجريمة ثبوتا قطعيا .

العقوبات الشرعية

تبين لنا من خلال تعاليم مصدري الشريعة الرئيسيين ـ القرآن والسنة ـ اهتمام بالغ بحرمات الغير . واذا خولت نفوس ضعيفة لأصحابها تجاوز حرمات المسلمين والاعتداء على حقوق الغير فثمة زواجر رادعة لأمثال هؤلاء إذا ما انحرفوا عن الجادة وتجراوا على إتيان بعض الجرائم ضد أحد أو بعض افراد المجتمع المسلم . ومن اجل ذلك شرعت الحدود ... إذا لم ينفع الوعظ، لم يفد توجيه وتوبيخ القرآن وتحذيره من سوء المصير في الآخرة .

وشرع الاسلام لكل جريمة ما يلائمها من الحدود ، حتى الجروح شرع فيها قصاصا من أجل حماية أمن المجتمع المسلم ، وليشعر المستضعفون من المسلمين بكفالة الدين لحقوقهم وحمايته لدمائهم وأموالهم وأعراضهم من جهل الجاهلين ، وإجرام المجرمين حتى تصان الحرمات وتحفظ الحقوق .

قال ابن القيم عن هذه العقوبات الشرعية في كتابه : الجواب الكافي :

(إن العقوبة الشرعية شرعها الله سبحانه وتعالى على قدر مفسدة الذنب ، وتقاضى الطبع لها ، وجعلها الله سبحانه ثلاثة انواع ... القتل والقطع والجلد ... وجعل القتل بإزاء الكفر ، وما يليه وما يقرب منه وهو الزنا واللواط .

وجعل القطع بإزاء إفساد الأموال الذي يمكن الإحتراز فيه فان السارق لا يمكن الإحتراز منه .

وجعل الجلد بإزاء إفساد العقول وتمزيق الأعراض بالقذف ..) ص ١٣٢ .

وذلك كله يجعل الجاني يفكر مرات ومرات قبل أن يقدم على اية جريمة لأنه سيعاقب على كل ما اقترفه عقابا دنيويا ... فإن كان جرمه اعتداء على النفس فعقابه بنفس الآلة وعين الطريقة ونفس العمق ، وبذا يعرف انه باجرامه انما يسعى الى حتفه او يحفر قبره بيده ..

وحين تطبق تلك العقوبات فانها ترمي الى هدفين :

أ ـ حماية المجتمع من شرور المجرمين بالأخذ على أيديهم .

ب ـ تربية الضمير وتهذيب الأرواح في نفوس المؤمنين . ليفعل المسلم الخير استجابة لداعي الله سبحانه ، والرغبة في طاعته . حتى يشعر المرء بأنه لن يفلت من عقاب السماء اذا أفلت من عقاب الأرض فالأهم هو تربية ضمير يقظ يؤنب

صاحبه اذا أقدم على ما من شأنه تكدير الأمن ، ويربى في المسلم إحساسا بفداحة الجرم بمجرد التفكير فيه أو الهم به .

حيث يشعر المسلم أن هناك قوة عليا وسلطانا أعلى فوق قوة القانون وسلطانه ... إنه يحس بمراقبة الله له ، واطلاعه عليه ، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . ويجزي كل نفس يوم الدين بما أحضرت إنه يشعر بعين الله التي لا تنام ، ويرهب عزته التي لا ترام ، وسلطانه الذي لا يضام ولا يهولنك تشدق المغرضين الذين يرمون ـ كذبا وزورا ـ قوانين السماء بالقسوة او عدم مسايرتها للعصر وغير ذلك من افتراءات ... فالمشرع الحكيم سبحانه عليم بعباده خبير وهو سبحانه يعلم المفسد من المصلح .. فهو الخالق البارىء .. وهو أعلم بما يصلح لشئون العباد . وحسبنا ما نعلمه عن تردي المستوى الأخلاقي في المجتمعات التي رضيت قوانين الأرض سيدة دون قوانين السماء ، كما نسمع ونقرأ كل يوم عن تزايد عدد الجرائم في هذه المجتمعات .

وفي ضرورة هذه القوانين السماوية لتحقيق الأمن الاجتماعي يقول الشيخ : سيد سابق في كتابه (فقه السنة) :

(إقامة الحدود فيها نفع للناس .. لأنها تمنع الجرائم ، وتردع العصاة ، وتكف من تحدثه نفسه بانتهاك الحرمات ، وتحقق الأمن لكل فرد .. على نفسه وماله وعرضه وسمعته وحريته وكرامته ..) ج٢ ص ٣٠٥ ولن يتحقق الأمن الاجتماعي الأمثل إلا في ظل قوانين السماء ، ويوم يسعى ولاة الأمر لسيادة هذه القوانين وتحكيمها يمكن ساعتها المقارنة بين المجتمعات الاسلامية وغيرها في استقرار الأمن ، وصيانة الحرمات .

○ **نظرة الى العقوبات الاسلامية :**

بعد هذه الرحلة مع تشريعات الأرض وتشريعات السماء ، وبعد معرفة منزلة الأمن الاجتماعي وحرص الاسلام على صيانته لا بد من إلقاء نظرة عجلى على العقوبات في الاسلام أو ما يعرف بالحدود في الاسلام .

فقد راعى الاسلام كل ما ينغص على الأفراد والجماعات أمنهم ووضع له حدودا حتى لا يظن احد انه يعتدي على حُرَم المستضعفين ثم يترك وشأنه . كلا بل فرض الاسلام حدودا تكفي لردع المجرمين وكفهم عن التمادي في اجرامهم . وحرّم إهمال هذه الحدود أو الشفاعة فيها حتى تؤتي ثمارها المرجوة ما دامت قد ثبتت الجريمة قطعيا بلا أدنى شبهة .

ولعل أخطر هذه الجرائم عامة هي الاعتداء على النفس بالقتل أو الجرح . وفيها حدّ الشرع حدا هو القصاص في الأنفس وفي الجروح . فقال تعالى :

(**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى** ...) ١٧٨/البقرة .

وقال : (**الأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص** ...) ٤٥/سورة المائدة .

وقال : (**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون**) ١٧٩/البقرة .

فمصير القاتل معلوم ما دام قد تعمد قتل نفس بغير حق .

شرع الاسلام في قتل الخطأ عقوبة لئلا نظن هوان هذا الجرم ، وليأخذ كل حيطته وفيه شرع الله الدّية والكفارة واذا كان شبه عمد ففيه الدّية المغلظة على العاقلة ، والعمد فيه قصاص او الكفارة اذا عفا ولي الدم او رضي بالدّية .

قال تعالى : **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة وديةمسلمة الى أهله إلا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما)** النساء / ٩٢ .

وفي بيان الحكمة من القصاص قال صاحب المنار في تفسير آية القصاص :

(فالآية الحكيمة قررت أن الحياة هى المطلوبة بالذات وأن القصاص وسيلة من وسائلها لأن من علم أنه إذا قتل نفسا يقتل بها يرتدع عن القتل ، فيحفظ الحياة على من أراد قتله وعلى نفسه . والاكتفاء بالدّية ، لا يردع كل أحد عن سفك دم خصمه إن استطاع . فان من الناس من يبذل المال الكثير لأجل الإيقاع بعدوه . وفي الآية من براعة العبارة وبلاغة القول ما يذهب باستبشاع إزهاق الروح في العقوبة ، ويوطن النفس على قبول حكم المساواة ، إذ لم يُسَمِّ العقوبة قتلا أو إعداما بل سماها مساواة بين الناس تنطوى على حياة سعيدة لهم) .

حتى أن هذه الآية قد شغلت كثيرا من علماء التفسير والبلاغة يستخرجون منها وجوه البلاغة ويستنبطون منها مواطن البراعة .. فلله جل وعز حكمة بالغة في تشريع هذه الحدود يكشف عن جزء منها قول الله تعالى : **(ولكم في القصاص حياة ..)** .

○ حد الزنا والقذف :

شرع الاسلام للزاني الرجم اذا كان محصنا ، والجلد مائة جلدة والتغريب لغير المحصن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه : **(خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)** رواه مسلم وأبو داود وقال سبحانه : **(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)** سورة النور / ٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) رواه البخاري ومسلم .

كما حد للقاذف ثمانين جلدة كما بينت ذلك آية النور **(والذين يرمون**

المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ..) سورة النور / ٤ .

○ حد السرقة :

شرع في السرقة قطع اليد كما بين المولى في سورة المائدة قال تعالى **(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)** المائدة / ٣٨ .

ولقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم حَدَّ القطع على المخزومية التي سرقت في عهده ووبخ من أراد الشفاعة لها . وقال لاسامة :
(لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل) وهذا في الحدود عامة ثم قام وخطب فقال : (إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه . والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) فقطع يد المخزومية . رواه أحمد ومسلم .

وهذا درس عظيم لقّنه النبي الهادي لأمته على مَرِّ العصور وتوالى القرون حتى لا يفت فيهم الضعف وحتى تصان الحرمات وحتى لا يفرق بين الرفيع والوضيع فالكل أمام الحق سواء مادام قد اتبع هواه وانحرف عن الصواب ولأجل هذا ترنو أقطار المسلمين في شتى بقاع الأرض ليوم يشهد تطبيق حدود الله وإنه ليوم مشهود يوم تستجيب الحكومات لرغبات شعوبها المسلمة فتطبق عليهم هذه القوانين لينعموا في ظلها بالأمن العام .

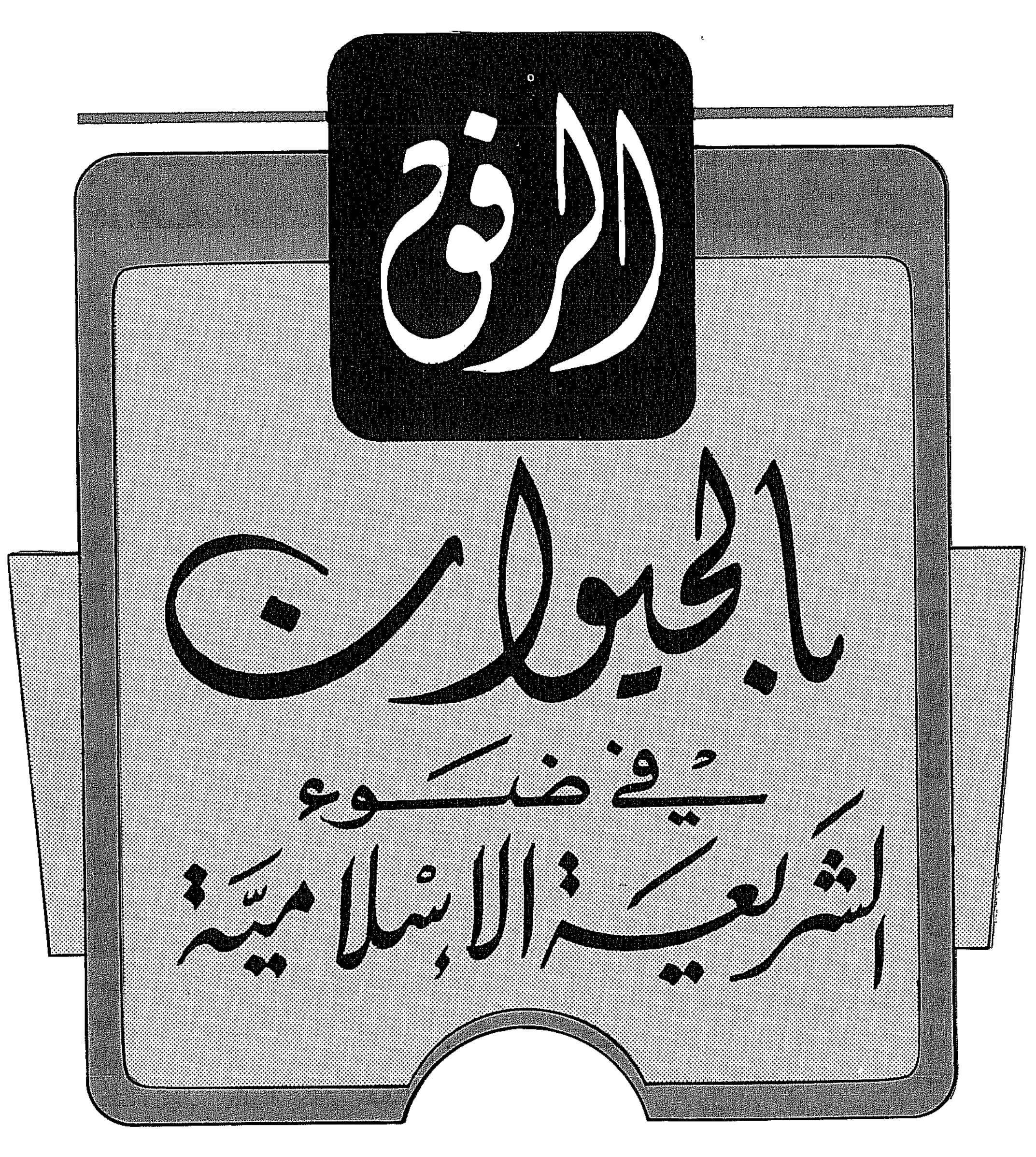
وهناك جريمة أخرى .. أو نوع آخر من السرقة يسمى السرقة بالإكراه أو قطع الطريق أو الحرابة كما يسميها الفقهاء ، وشدد الله في عقوبة مرتكبي هذا الصنف من الجرائم فقال سبحانه وتعالى : **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** المائدة / ٣٣ .

إنهم يخرجون على المارة جهارا ونهارا . ويسلبون أموالهم وأرواحهم . بالقوة والقهر . يفعلون ذلك أفراداً أو جماعات بسلاح ومن غير سلاح . والآية بينت أن عقابهم . أن يقتلوا ، أو يصلبوا . إذا أخذوا المال وقتلوا ، ويقتلون بلا صلب إذا قتلوا ولم يأخذوا المال ، وتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا ، وينفوا من الأرض إذا أخافوا السبيل فقط فلم يقتلوا ولم يأخذوا مالا . ونلحظ أن الله شدد في العقاب لفداحة الجرم .

وفي هذا ما يروع كل من فكر في ترويع المارة والسطو عليهم بالمباغتة والقوة قال تفسير الوسيط : « وإنما بولغ في جزاء قاطع الطريق لأنهم يسدون سبيل الكسب والتجارة على الناس ، ويلزمونهم البيوت ويروعونهم في مأمنهم ، ولذا

شرع لهم أشد العقاب قطعا لدابرهم » ـ ١٠ هـ .
وفي الآية دليل على أن الله يجمع لأمثال أولئك بين عقاب الدنيا وعقاب الآخرة : (**لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**) لهم خزي في الدنيا حين تطبق عليهم هذه الحدود ولن يحول ذلك دون عقابهم الأخروي ، إلا إذا تابوا توبة نصوحا . وأول شرط لخلوص التوبة : الإقلاع عن الذنب فلا يعود إليه ثانية .. أي حين يأمن المجتمع شره .
وفي هذا التشريع رحمة بالمجرم نفسه . ليبعد عن إجرامه الذي يؤول به إلى النار وبئس القرار . يقول د . عبدالكريم زيدان :
وتشريع العقاب الدنيوي في الشريعة من مظاهر رحمة الله بعباده . لأنه يزجر الانسان عن ارتكاب الجرائم فيتخلص من الإثم . وإذا وقع فالعقوبة في حقه بمنزلة الكي بالنسبة للمريض المحتاج إليه ، وبمنزلة قطع العضو المتآكل حيث فيه مصلحة البقاء لحياته ..
هذا عدا الفائدة الأهم والمصلحة الكبرى وهى اطمئنان الناس على ما يمتلكونه .. أي الأمن الاجتماعي .
وبعد ذلك نسمع من يعترض على تلك القوانين ويرميها بعلل واهية بحجة انها تهدر آدمية الشخص ، وتتدخل في الحرية الشخصية ، وتتصف بالقسوة وغير ذلك من الافتراءات الباطلة . وحسبنا ما نعلمه عن انهيار الأخلاق في الغرب دليلا على فساد القوانين الوضعية وعدم ملاءمتها لصلاح البشرية .
ولقد أجري استطلاع للرأي في مصر لمعرفة آراء الناس في تطبيق القوانين الشرعية . فكانت النتيجة أن طالب ٩٦٪ من الشعب بتطبيق هذه الحدود .[١]
وذلك يعكس مدى تعطش هؤلاء لحماية أمنهم وصيانة أعراضهم . حيث تتكفل تلك القوانين بتوفير أهم عنصر وأكبر مقوم من مقومات المجتمع الاسلامي (الأمن الاجتماعي) .
والجميع يرنو بنظره وعقله إلى أسعد يوم ، يوم يطبق شرع الله على الشريف والوضيع ، على الجميع متساوين ، أمام قانون السماء ساعتها سينجح المجتمع المسلم في جذب الأنظار إليه يوم تندر الجريمة في أوساطنا ويومها نرفع رءوسنا ونطالب الغرب وندعوه للاسلام ونباهي بحفظ الأمن الاجتماعي في ظلال قوانين السماء لا قوانين الأرض ، التي أعلنت بفشلها ونرفع جهيرتنا صائحين :
هلموا إلى الاسلام وسيكون لصوتنا دوي هائل ، حين نحمل بين أيدينا برهان الواقع .
ونسأل الله أن يوفق ولاة الأمر للأخذ بهذه القوانين ، لينعم العالم في ظلالها بالأمن العام . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ...
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) اخبار اليوم في ١٩٨٢/١١/٢٧ .



للاستاذ/راتب السعود

قبل أربعة عشر قرنا من الزمان بزغ على البشرية نور دين جديد ، حمل لواءه محمد بن عبد الله عليه اشرف الصلوات وأتم التسليم . وحيث انه الدين الختامي ، وانه جاء للناس كافة من عند خالقهم وكاشف أسرارهم ومكنونات حياتهم ، فقد جاء ليضع لهم منهجا كاملا للحياة ، يحدد لهم من خلاله كيفية التعامل مع الخالق من جهة ، ومع المخلوقات من جهة أخرى .

والمخلوقات المحسوسة للانسان

تندرج تحت فئات ثلاث هي :

(١) **الانسان** :

وقد حددت الشريعة الاسلامية للمسلم كيف يتعامل مع هذا الانسان سواء أكان مسلما مثله أم غير ذلك .

(٢) **الحيوان** :

وقد أوضحت الشريعة أيضا أسس التعامل مع هذا الحيوان ، وهذا ما سيتضح من خلال هذه المقالة ان شاء الله .

(٣) **الجمادات** :

ومختلف مظاهر الطبيعة الأخرى كالنباتات والبحار والجبال والنار والكواكب وما الى ذلك . وقد بينت الشريعة السمحة ان الله سبحانه وتعالى خلقها جميعا وسخرها لنفع الانسان الذي استخلفه في الأرض ، وحدد له أن ينتفع بها ويتخذها وسيلة لغاية اسمى وأعظم ، وهي عبادة الخالق وحذرته من مغبة اتخاذها الها وعبادتها ، كما كان يفعل أهل الجاهلية من قبل .

مكانة الحيوان في القرآن :

تجدر الاشارة في البداية ، الى أن الحيوانات أمم تشبه الناس ، فقد قال جل وعلا في محكم التنزيل : (**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلَّا أمم أمثالكم**) ٣٨/الأنعام .

وأمم الحيوانات هذه تقوم بعبادة الله ، وتسبح بحمده ، كما قال عز وجل : (**ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه**) ٤١/النور ، وهي لا تسجد لغير الله خالقها ، وتندد بكفر الانسان لربه ، من ذلك مخاطبة الهدهد لسليمان منتقدا كفر أهل سبأ وعدم سجودهم لله وسجودهم لما خلق الله ، فيقول : (**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**) ٢٤ـ٢٦/النمل .

ولهذه الأسباب وغيرها ، فقد شرَّف رب العزة هذه الحيوانات باطلاق اسماء بعضها على سور القرآن الكريم ، كان منها الطويل ، كالبقرة والانعام والنحل ، والوسيط كالنمل والعنكبوت ، والقصير كالعاديات والفيل ، ولم يكن من باب الصدفة أبدا أن يرد في القرآن الكريم أسماء تسع وتسعين نوعا من الحيوانات التي لم تنقرض بعد ، بل ما زالت أجيالها باقية حتى يومنا هذا .

أهمية الحيوان في حياة الانسان :

للحيوان في حياة الانسان أهمية عظمى تتجلى فيما يلي :

١ـ الحيوانات مجال رحب للتفكير في عظمة الخالق وقدرته ، حيث أن منها الكبير كالابل والصغير الذي لا يكاد يرى الا بالمجهر كالجراثيم والميكروبات ، وهي أنواع كثيرة تختلف عن بعضها في الشكل واللون والتكاثر وطبيعة العيش ، قال تعالى : **(أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت)** ١٧/الغاشية .

٢ـ الحيوانات مصدر أساسي لغذاء الانسان ، قال تعالى : **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)** ٥/النحل . وكذلك فيها دواء لأمراض الانسان ، قال تعالى : **(يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)** ٦٩/النحل . ويستفيد الانسان منها باتخاذها ركوبة وزينة ومصدر كساء ، قال تعالى : **(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)** ٨/النحل .

٣ـ والحيوان كان معلما للانسان الأول ، كالغراب الذي أرسله الله ليعلم ابن آدم كيف يوارى سوأة أخيه ، حيث قال تعالى : **(فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين)** ٣١/المائدة .

٤ـ ولم يقف تعليم الحيوان للانسان عند هذا الحد ، إنما تجاوز ذلك ليعلمه السعي على الرزق كالطيور التي تغدو خماصا وتروح بطانا ، والصبر على العمل كالنحل والابل ، وبناء المنازل وهندستها كما تفعل الطيور ، وادخار القوت والنظام كما يفعل النمل ، والنظافة واخفاء الفضلات كما تفعل القطط ، وغير ذلك الكثير .

٥ـ ويرتبط بموضوع التعلم من الحيوان ، ان الانسان أخذ يقلد الحيوانات في طيرانها مستفيدا من شكل جسمها الانسيابي وأجنحتها المزودة بالريش وعظامها المجوفة وأكياس الهواء بين أحشائها ، كل ذلك درسه الانسان وسخره لصناعة الطائرات التي تفيده كثيرا بعد ما جرب الطيران بنفسه فلم يفلح . وفي مجال الحيوانات المائية والبرمائية نجد أن الانسان استفاد منها كثيرا في صناعة السفن والمراكب الشراعية .

هذا غيض من فيض ، حيث أن المجال لا يتسع هنا لسرد الفوائد العديدة التي تقدمها مملكة الحيوان للانسان ، انما المراد توضيح الأهمية العظمى لهذا النوع من المخلوقات للانسان .

حق الحيوان في الرحمة :

لما كانت الحيوانات مخلوقات ، أوجدها الله لتقدم للإنسان ذلك الخير الكثير والنفع الوفير ، وتقوم بعبادة ربها ، وتقف عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، وطلب حاجاتها ، فقد جاءت الشريعة السمحة قبل أربعة عشر قرنا تأمر بالرفق بهذه الحيوانات ، وتوجب احترامها ـ مع الاعتذار لانسان القرن العشرين ـ وفي حين أن الانسان نفسه لم يلق مثل هذا الاحترام أو الرفق حتى في هذا القرن

الذي يمثل قمة القرون من حيث التقدم العلمي والتفوق التكنولوجي ، لا بل ان الانسان لم يجرب مع الحيوانات مثلما جربه مع أخيه الانسان من قنابل عنقودية أو غازات هيدروجينية .

من مبادىء الرفق بالحيوان :

بعد أن قررت الشريعة الاسلامية أن عالم الحيوان كعالم الانسان له خصائصه وطبائعه وشعوره ، وأن الحيوانات أمم أمثالنا مضت في تشريع الرحمة بالحيوان مثل :

١ـ تحريم حبسه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) أخرجه البخاري ومسلم .

٢ـ تحريم المكث طويلا على ظهره وهو واقف فقد قال عليه الصلاة والسلام : (لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي) رواه احمد والحاكم .

٣ـ تحريم اجاعته وتعريضه للضعف والهزال . فقد مر عليه الصلاة والسلام ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال : (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة) رواه أبو داود وابن خزيمة .

٤ ـ تحريم ارهاقه في العمل فوق ما يتحمل . فقد دخل رسول الله بستانا لرجل من الأنصار فاذا فيه جمل ، فلما رأى النبي حنَّ وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله فمسح دموعه ، ثم قال : (من صاحب هذا الجمل ؟ فقال صاحبه : أنا يا رسول الله ، فقال له عليه الصلاة والسلام : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فانه شكا اليَّ أنك تجيعه وتدئبه) رواه أحمد وأبو داود .

٥ ـ تحريم التلهي به في الصيد ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة وله صراخ تحت العرش يقول رب سل هذا : فيم قتلني من غير منفعة رواه احمد

٦ ـ تحريم اتخاذه هدفا لتعليم الاصابة ، فقد : (لعن رسول الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا) رواه البخاري ومسلم . أي هدفا لتعليم الاصابة .

٧ـ النهي عن وسم الحيوانات في وجوهها بالكي والنار ، أي كيها لتعرف من بين الحيوانات الأخرى ، فقد : (مر رسول الله عليه الصلاة والسلام على حمار قد وسم في وجهه فقال : لعن الله الذي وسمه) رواه الطبراني .

٨ ـ الأمر بإحسان الذبح ، فاذا كان الحيوان مما يؤكل لحمه ، فان الرحمة به مطلوبة إن أريد ذبحه ، وان تحد الشفرة ، ويسقى الماء ، ويراح بعد الذبح قبل السلخ ، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (إن الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته) رواه مسلم وأبو داود ومالك والترمذي .

٩ ـ تحريم حرق الحيوان حيا . فقد : (ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه رأى قرية نمل قد احرقها

مجموعة من الصحابة ، فقال لهم : من أحرق هذه ؟ فقالوا نحن ، قال : انه لا ينبغي أن يعذب بالنار الا الله) أخرجه أبو داود

١٠ ـ ولعل من مباديء الرفق بالحيوان كما أقرتها الشريعة السمحة النهي عن التقاط صغار الحيوانات من أمهاتها . قال عبدالله ابن مسعود : (كنا مع رسول الله في سفر ، فرأينا حمرة (طير يشبه العصفور) معها فرخان لها ، فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تفرش (ترفرف بجناحيها فلما جاء رسول الله قال : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها) أخرجه أبو داود

ليس خيالا :

ولعل هذه المبادىء ، تبدو ضربا من الخيال ، ولكن الواقع التطبيقي لهذه المبادىء ينفي عنها مثل هذه الصفة ، وإحالتها الى حقائق ملموسة ، وقد تمثل تطبيق هذه المباديء من قبل الدولة الاسلامية والمؤسسات الاجتماعية على السواء .

أولا : الدولة الاسلامية :

وقد تمثلت عناية الدولة الاسلامية بهذه المباديء بأن خلفاءنا كانوا يصدرون البلاغات العامة للشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان ، ومنع الأذى عنه والاضرار به . فقد أذاع عمر بن عبد العزيز في إحدى رسائله الى الولاة أن ينهوا الناس عن ركض الفرس في غير حق ، وكتب الى صاحب السكك : (وهي وظيفة تشبه ادارة السير والمرور) أن لا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة . وكان من وظيفة المحتسب (الشرطي) أن يمنع تحميل الدواب فوق ما تطيق ، أو تعذيبها وضربها أثناء السير ، ولديه الصلاحية في تأديب ومعاقبة من يراه يفعل ذلك .

ثانيا : المؤسسات الاجتماعية :

وقد كان للحيوان منها نصيب كبير ، وكما يرى الدكتور مصطفى السباعي فقد كان من ضمن الأوقاف القديمة أوقاف خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة وأوقاف لرعي الحيوانات المسنة العاجزة ، ومنها على سبيل المثال أرض المرج الأخضر في دمشق حاليا ، فانها وقف للخيول العاجزة التي يأبى أصحابها أن ينفقوا عليها لعدم الانتفاع بها ، فترعى في هذه الأرض حتى تموت .

وعلى الصعيد الفردي فقد كان المسلمون يترجمون مباديء الشريعة الاسلامية في مجال الرفق بالحيوان الى وقائع محسوسة ، فهذا أمير المؤمنين عمر ، يقول لرجل رآه يسحب شاة من رجلها ليذبحها : ويلك قدها الى الموت قودا جميلا . وهذا أبو الدرداء الصحابي الجليل يقول لبعيره عند الموت : أيها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم أكن أحملك فوق طاقتك . وكان عدى بن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات لنا ولهن علينا حق .

موقف الأمم الأخرى من الحيوان :

لعل التعرض لموقف الأمم الأخرى تجاه الحيوان ، ومعرفة كيف كان يعامل الحيوان في العصور القديمة والوسطى وحتى في العصور الحديثة عند الأمم التي تدين بغير الاسلام ، يوضح لنا سمو الحضارة الاسلامية وعلو الشريعة الوحدانية في كافة المجالات عامة ، وفي مجالي الرفق بالحيوان والرحمة له بشكل خاص . وأول ما يلفت النظر في ذلك أننا لا نجد من قريب أو بعيد في تعاليم تلك الأمم ما يدعو إلى الرفق بالحيوان ووجوب الرحمة به ، ومن ثم فلا نجد له حقوقا على صاحبه من نفقة ورعاية . وأغرب من هذا أن الحيوان كان يعامل في المسؤولية كمعاملة الانسان العاقل المفكر ، فقد كان الحيوان يحاكم كما يحاكم الانسان ، ويحكم عليه بالسجن والتشريد والاعدام ، كما يحكم على الانسان الجاني تماما . فكيف كان الحال عند كل أمة .

قدماء اليونان :

يقول افلاطون في كتابه القانون انه اذا قتل حيوان انسانا كان لأسرة القتيل الحق في إقامة دعوى على الحيوان أمام القضاء ، ويختار أولياء الدم القضاة من المزارعين وفي حال ثبوت الجريمة على الحيوان يجب قتله قصاصا ، والقاء جثته خارج البلاد ، ويستثنى من ذلك القتل الناشيء عن مبارزة بين الانسان والحيوان في مسرح الألعاب العمومية ، ويعتبر الحيوان مسؤولا كذلك في الجنايات التي دون القتل ، فاذا عض كلب انسانا وجب على صاحب الكلب أن يسلم كلبه الى المجني عليه مكموما ومقيدا يثأر لنفسه منه كما يشاء بالقتل أو التعذيب أو غيرهما .

قدماء الرومان :

وتنص شرائعهم في بعض موادها على عقوبة الاعدام على الثور وصاحبه اذا تجاوز الثور اثناء الحرث الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاور له ، كما وأن الكلب الذي يعض انسانا يعاقب بوجوب التخلي عنه للمعضوض ، كي يتصرف فيه كما يشاء .

قدماء الفرس :

ولعل الأمر عندهم أعجب ، ذلك أن الكلب اذا عض إنسانا فجرحه أو عض خروفا فقتله ، يعاقب بقطع اذنه اليمنى ، فان تكرر ذلك منه قطعت اذنه اليسرى ، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى ، وفي الرابعة تقطع رجله اليسرى ، وفي الخامسة يقطع ذنبه وفي السادسة تطبق عليه عقوبة الاعدام .

اليهود :

وقد تضمنت شرائعهم أنه إذا نطح ثور رجلا أو امرأة فتسبب بالوفاة ، وجب رجم الثور ، وحرم أكل لحمه . هذا إذا لم يكن من عادة الثور النطح ،

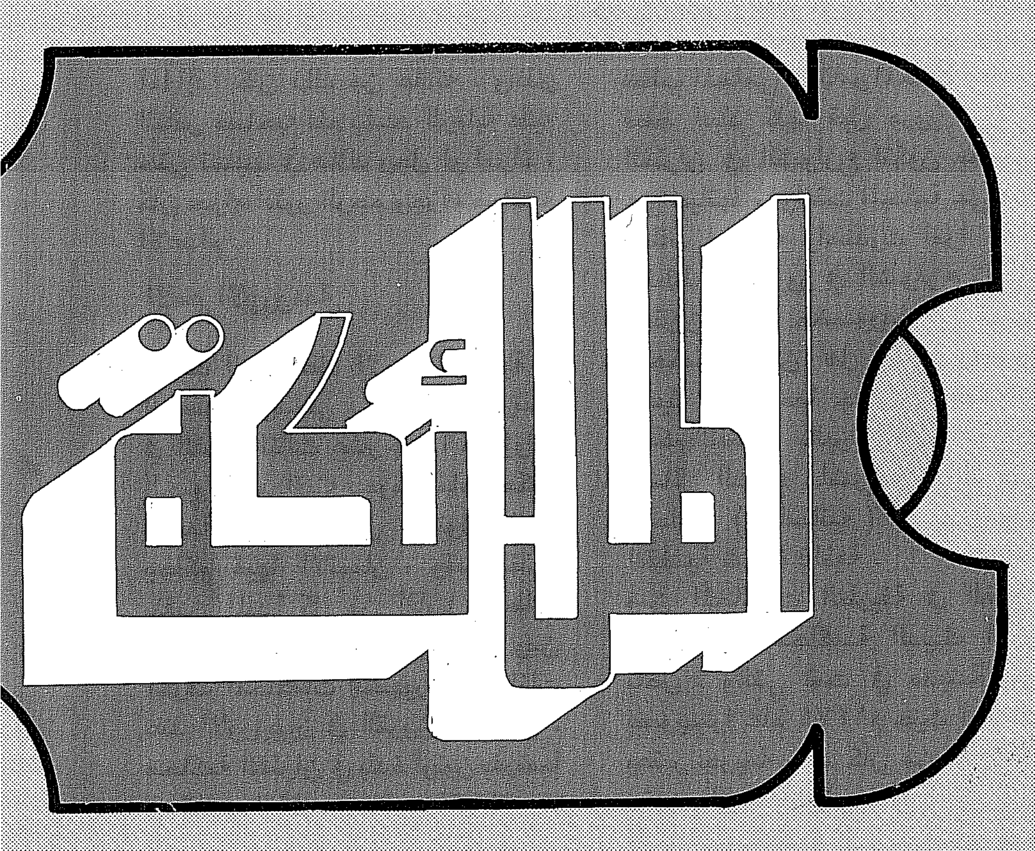
أما إذا كان ذلك من عادته ، وأنذر الناس صاحبه فلم يشدد الرقابة عليه حتى تسبب في هلاك رجل أو امرأة ، كان جزاء الثور الرجم وجزاء صاحبه الاعدام .

الأمم الأوروبية :

وكذلك الحال عند الأمم الأوروبية في العصور الوسطى ، فقد أخذت فرنسا في القرن الثالث عشر بمبدأ مسؤولية الحيوان ومعاقبته بجرمه أمام محكمة منظمة بنفس الطرق القانونية التي يحاكم فيها الانسان ، وقد أخذت بنفس المبدأ كل من ألمانيا وإيطاليا وهولندا والسويد وبلجيكا . ومن أطرف المحاكمات الشهيرة للحيوانات عند الأوروبيين في القرون الوسطى ، محاكمة الفئران في بلدة أوتون بفرنسا في القرن الخامس عشر . فقد اتهمت الفئران في هذه القرية بالتجمهر في الشوارع بشكل مزعج مقلق للراحة ، وتقدم للدفاع عنها محام فرنسي يدعى (شاسانيه) وطالب المحكمة بالتأجيل لأن الفئران لم تتمكن من الحضور ، حيث فيها المريض والرضيع والعجوز ، وهي تستعد للمثول أمام هيئة المحكمة الموقرة اذا منحت فرصة التأجيل ، فوافقت المحكمة ، ولما حان الموعد الجديد لم تحضر الفئران ، فقال محامي الدفاع للمحكمة : إن الفئران تريد الحضور للمحكمة ولكنها يا حضرات القضاة تخاف من وقوع الأذى عليها من القطط إن هي جاءت الى هنا . فرد رئيس المحكمة قائلا : إن من واجبنا تأمين حياة المتهمين ، فطلب المحامي أن تأمر المحكمة بحبس قطط البلد كلها قبل مرور موكب الفئران في الشوارع لتكون مطمئنة على حياتها ، فوافقت المحكمة على هذا الطلب لعدالته وأصدرت أمرا بمنع القطط من المرور في الشوارع تأمينا للفئران أثناء حضورها الى قاعة المحكمة . ولكن أهل القرية رفضوا تنفيذ ذلك ، مما حدا بالمحكمة أن تحكم للفئران بالبراءة لأنها حرمت وسائل الدفاع المشروعة ، وقد نال المحامي (شاسانيه) بسبب هذه القضية شهرة ذائعة .

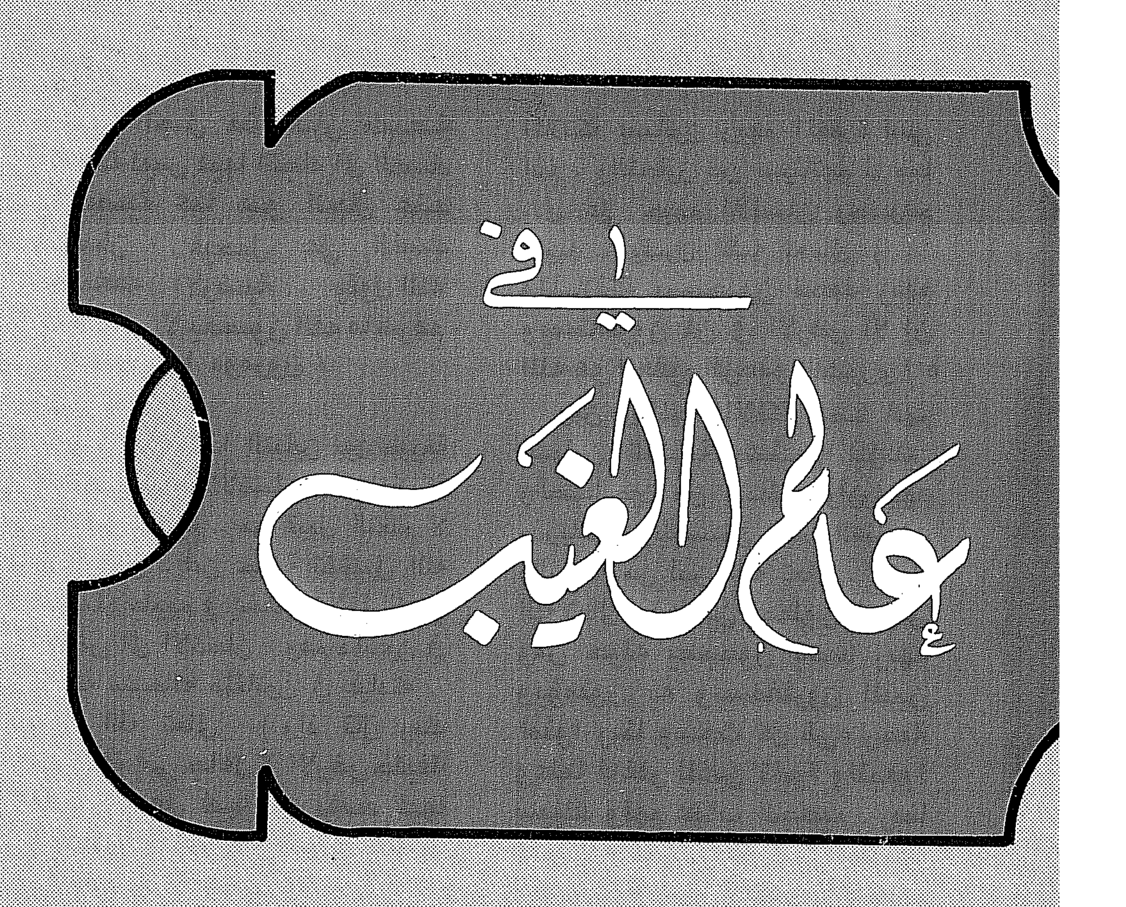
ومن المحاكمات الطريفة في القرون الوسطى ، محاكمة الديك الذي باض ، والتي تمت في مدينة بال بسويسرا عام ١٤٧٤م حيث أن ذلك يعتبر جريمة ، اذ كان من المعروف عندهم أن السحرة يبحثون عن بيضة الديك ليستخدموها في سحرهم ، وقدم الديك للمحاكمة ، ودافع محاميه عنه بحجة انه لا يكون مسؤولا عن واقعة لا حيلة له فيها ، ولكن المحكمة رفضت ذلك وأصدرت حكمها باعدام الديك ، وعللت ذلك بقولها : ليكون في ذلك عبرة لغيره من الديكة .

وهكذا يتبين لنا جليا الموقف الانساني الكريم الذي وقفته الحضارة الاسلامية تجاه الحيوان ، ذلك الموقف الذي يأمر بالرفق بالحيوان والرحمة به ، رحمة تلفت النظر وتدعو الى العجب والدهشة ، وهذا الموقف لم نجد له مثيلا في ظل أية حضارة إنسانية قبل الحضارة الاسلامية ولا بعدها حتى اليوم .



إن إنسانا ذا قلب سليم لتفيض عينه إذا تدبر الكون في خلاء ؛ لأنه يوقن ـ وقد تجرد من مؤثرات الدنيا المادية ـ أن لهذا الكون العظيم خالقا عظيما ، ليس كمثله شيء ، وأن وراء هذه الدنيا ، التي يعايشها بحواسه عالما آخر يغيب عن الحواس .. وهل العالم الذي تهيم فيه روح الانسان بعد زوال الاحساس بتمامه عند النوم الا دليل على وجود ذلك العالم الآخر ، عالم الغيب ؟ ألم ير الانسان في الآفاق في رحلات الفضاء من المشاهد ما جعله يؤكد أن هناك حياة فوق سطح الأجرام السماوية ؟ يقول تعالى : **(ومن اياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير)** الشورى / ٢٩ .. أليس عالم الجن ـ المحجوب عنا والذي يتحدث الناس عنه في كل جيل جزءا من عالم الغيب ؟ يقول تعالى : **(قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا)** الجن / ١ ..

من أجل هذا لا يجوز لأي إنسان أن يعجب أو يرفض معتمدا على تفكير مادي محض إذا وجد القرآن الكريم يقرر أن الايمان بالغيب من سمات الانسان النقي التقي الذي يؤمن بالله حق الايمان ، وأن الملائكة من



للأستاذ / محفوظ أمين غريب

خلق الله في عالم الغيب .. يقول الله تعالى : (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) البقرة / ١ ـ ٣ ..

ويقول تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) . البقرة / ٢٨٥ ..

وطبيعة الملائكة طبيعة نورانية ، لا أثر فيها للمادية التي تدعو إلى الارتداد بصاحبها إلى أسفل سافلين ؛ فالملائكة خلقوا من نور ، وهم غير طبيعة الانسان ، ومن غير طبيعة الجان .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار » .

رواه أحمد ومسلم .

ومن أجل هذا فإن طبيعة الملائكة ليس فيها اتجاه الى الفساد والمعصية كما هو الحال عند الانسان ، فيحمل على الفساد بطبيعته الأرضية .. يقول الله تعالى (.. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم / ٦ ..

ومن أجل هذا التباين بين طبيعة الملائكة وطبيعة الانسان سأل الملائكة خالقهم العظيم ـ من قبيل التعلم لا الاعتراض ـ عن حكمة تفضيل الله الانسان عليهم في إسناد خلافة الله في الأرض الى الانسان ، وهم دائبون في طاعته سبحانه متفانون في عبادته .. يقول الله تعالى : (وإذ قال ربك **للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ..) البقرة / ٣٠ .

ولقد صبغت هذه النورانية في طبيعة الملائكة وظائفهم التي غلب عليها حب الخير للانسان ، فيثبت لنا حين نستعرض وظائف الملائكة أنهم ـ بهذه النورانية ميسرون لما خلقوا له .

وأهم الوظائف السامية التي حمل أمانتها الملائكة من أجل سعادة الانسان إبلاغ الوحي إلى الرسل لاخراج الناس من ظلمات الباطل والجهل إلى نور الحق واليقين .. **يقول الله تعالى** : (**ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون**) النحل / ٢ .

ومن تلك الوظائف السامية أن الملائكة يسألون ربهم المغفرة لبني آدم ، والتجاوز عن سيئاتهم ،، مما يدل على حبهم للانسان وحنوهم عليه .. يقول الله تعالى (.... **والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم**)الشورى / ٥

ومن وظائف الملائكة أيضا أنهم يتولون العناية بشئون المؤمنين والصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ويلتمسون لهم الغفران والرحمة من لدن الله تعالى .. يقول الله تعالى : (**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم**) غافر / ٧ ـ ٩ ..

ومن وظائف الملائكة الدالة أيضا على تلك النورانية في علاقتهم ببني آدم أن الملائكة تتنزل في وقت الشدة على المؤمنين لنصرتهم وتأييدهم في مواجهة أعدائهم ، كما تتنزل عليهم لتزيل عن صدورهم المخاوف التي تعتريهم والأحزان التي تلم بهم في دنياهم وتبشرهم بالجنة التي وعدوا بها .. يقول الله تعالى : (**إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين**

كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) الأنفال / ١٢ .. ويقول تعالى : (**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ....**) فصلت / ٣٠ ـ ٣١ ...

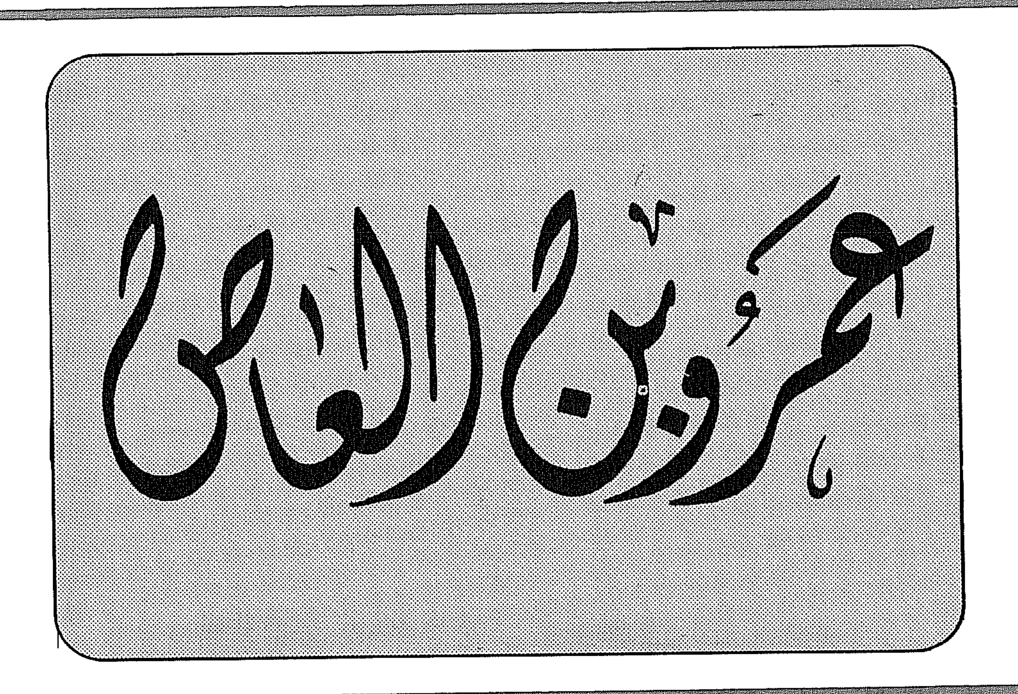
ولقد قيضت عناية الله حفظة من الملائكة موكلين بحماية بني آدم ، كما يسجلون أقوالهم وأعمالهم فور تلقيها عنهم .. يقول تعالى : (**إن كل نفس لما عليها حافظ**) الطارق / ٤ .. (**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**) الانفطار / ١٠ ـ ١٢ .. (**اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**) ق / ١٧ ـ ١٨ .

واذا كان الموت أشد كرب الدنيا على الانسان فان الملائكة موكلة بأن تحضر الانسان عند خروج الروح فترفق كل الرفق في إخراج أرواح المؤمنين إذ يتهادون في سحبها كما يسحب الانسان الدلو من البئر ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر ، ولكنهم ينزعون أرواح الكافرين إغراقا في النزع ، فيسبقون بأرواح الكافرين إلى النار وبأرواح المؤمنين الى الجنة ، فيدبرون أمر عقابها وثوابها .. يقول تعالى : (**والنازعات غرقا . والناشطات نشطا . والسابحات سبحا . فالسابقات سبقا . فالمدبرات أمرا**) النازعات/ ١ ـ ٥

ولسوف تقوم الملائكة يوم القيامة بوظيفة نورانية أخرى فيها إحقاق الحق وإزهاق الباطل وتنزيه خالقنا العظيم عن أن يشرك به أحد في العبادة تلك الوظيفة هي تكذيب الملائكة لأهل الباطل الذين عبدوا الملائكة من دون الله تعالى ، كما يعلن الملائكة التبرؤ منهم .. يقول تعالى : (**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**) سبأ / ٤٠ ـ ٤١ .

هكذا نرى الملائكة ـ في عالم الغيب ـ خلقا كريما منخلق الله ، لهم وظائف سامية تجعلهم قوة خيرة في الكون وجندا للحق واليقين ، وتقيم بينهم وبين بني البشر علاقة معنوية وثيقة طابعها الود والرحمة ، فهي علاقة الايمان الخالص والخير والنقاء ، الأمر الذي يجعل الملائكة أمناء بحق على الانسان في كل أموره وأحواله .

ومن أجل هذا كان حقا على الانسان أن يقدر الملائكة حق قدرهم فيؤمن بهم ؛ لأن الايمان بهم تصديق لايمانه بخالقه وبرهان على صفاء نفسه وثبوت برها وسموها إلى آفاق الكمال .. يقول تعالى : (**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ....**) البقرة / ١٧٧ .



زعم أبو الفرج العبري وهو مؤرخ نصراني ، أن العرب المسلمين بعد فتحهم لمصر بقيادة عمرو بن العاص قاموا بإحراق مكتبة الاسكندرية التي كانت قائمة في دار العلم وذلك بإشارة من الخليفة عمر بن الخطاب .

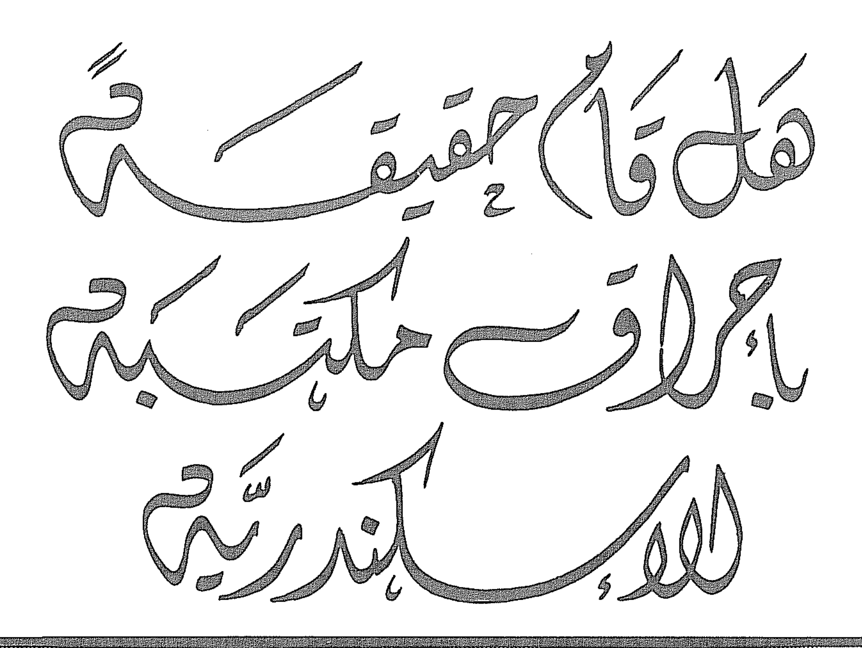
وقد شايع هذا الاتجاه جورجي زيدان المؤسس لدار الهلال في مصر في نهاية القرن التاسع عشر ، في كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » وذلك قوله « إن المسلمين كانوا يرون القرآن الكريم صفوة العلوم والمعارف ولم يجدوا حاجة لسواه » . وهو استنتاج منه خاطىء ولا يتفق مع ما يتصف به العرب والمسلمون من حب للعلم والمعرفة .

ولا يخفى أن هذا الاتهام الموجه الى عمرو بن العاص يصيب أيضا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الباحثون المسلمون يسخرون من هذا الاتهام :

ويسخر الباحثون المسلمون من رواية ابن العبرى وبخاصة أن بها عناصر كذبها فهو يقول ضمن ما يقول في معرض هذا الاتهام « فشرع عمرو في تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها ، فاستنفدت في مدة ستة أشهر » .

ويرى هؤلاء الباحثون أن الخليفة عمر بن الخطاب لو طلب من عمرو إحراق تلك الكتب لما كان له أن يفرقها على الأفران لأن أصحاب الأفران كانوا يستطيعون



للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

بيعها أو الاحتفاظ بها ، ثم إنها كانت مكتوبة على (الكاغد) وهى مادة لا تصلح للاحتراق وكيف يتصور أن تبقى ستة أشهر مع أن حمامات الاسكندرية كانت حوالي أربعة آلاف حمام .

المؤرخون الغربيون يرفضون هذا الاتهام :

لقد ناقش هؤلاء المؤرخون هذا الاتهام ورفضوه ، ويذكرون أن أول من تحدث عن واقعة إحراق عمرو بن العاص للمكتبة هو عبداللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية وكان حديثه عابرا ، ولم يذكر لكلامه سندا ولا مرجعا ، فقد كان يصف عمود السوارى والمساحة المحيطة به ثم قال عن هذه المساحة : انه كان بها الرواق الذي جلس به أرسطو وشيعته للتعليم ، وبه دار العلم التي بناها الإسكندر ، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بأمر من عمر ابن الخطاب رضى الله عنه .

ومن هؤلاء المؤرخين الغربيين جيبون ـ والفريد بتلر ـ وسديو ، فهم ينكرون كل الانكار أنه وقع في الاسكندرية إبان الفتح الاسلامي انتهاب أو صدور أمر بمثل هذا العمل الهمجي من قبل العرب المسلمين ، ولا يوجد أي مؤرخ عاصر فتح العرب المسلمين للاسكندرية يروي هذه الفرية عنهم .

عمرو بن العاص كان رجل إعمار لا رجل هدم وإحراق :

مما ينقض تلك الفرية التي اتهم بها عمرو بن العاص أن التاريخ يشهد لذلك القائد الفذ بأنه رجل إعمار لا رجل هدم وإحراق ، فهو الذي أسس مدينة الفسطاط وشيد بها مسجده المعروف والذي يعتبر بحق أول مسجد بنى لا في مصر وحدها بل في أفريقيا كلها ، وأعاد حفر القناة التي تصل نهر النيل بالبحر الأحمر وأطلق عليها خليج أمير المؤمنين وأنشأ مقاييس النيل في مواضع مختلفة .

وكان حسن السياسة مع نصارى المصريين فلم يصادر ممتلكات الكنيسة ، وأعاد بطريرك النصارى بنيامين من المنفى وأعطاه كتاب أمان ، ورده الى كرسيه بعد أن أقصاه عنه الرومان ، وظل مختفيا منهم فترة دامت ثلاث عشرة سنة ، وترك له عمرو بن العاص إدارة شئون الكنيسة من الناحية الادارية والدينية .

ولقد نظم عمرو بن العاص جباية الخراج ورفع الظلم الذي أوقعه الرومان على أهل البلاد ، كما أنقص مقدار الخراج الذي كان يرسله للمدينة المنورة قاعدة الخلافة الاسلامية وذلك ليستطيع إتمام ما كان يقيمه بمصر من المنشآت والمشروعات ، وجعل تحديد الخراج مشروطا بزيادة النيل وفي حالة نقصه كان يرفع عن سكان البلاد قدرا يعادل ذلك النقص .

ولقد بلغ تسامحه مع أقباط مصر النصارى حدا جعل مؤرخهم الأسقف ساويرس بن المقفع يقول في تاريخه بالحرف الواحد وبلغته « إن اهتمام عمرو بن العاص باليعاقبة الأقباط جعلهم يبنون الآمال الكبار على المستقبل وكانت الشعوب فرحة مثل العجول الصغار اذا حل رباطها وأطلقت على ألبان أمهاتها » انتهى كلام ذلك الأسقف .

ما يقوله الدكتور الفريد بتلر في كتابه الفتح العربي لمصر عن حسن معاملة المسلمين لأهل مصر :

١ ـ إن القبط نالوا في أول الفتح العربي كل ما يتصوره العقل ويبيحه من الحرية .
٢ ـ كان العرب على ما يلوح لنا أخف وطأة من الرومان في جباية الأموال إذ كان مقدار الجزية والضرائب الذي اتفقوا عليه في عهد الصلح أخف حملا على الناس وأقل إحراجا لهم .
٣ ـ ويقول الأب بنيامين بعد الفتح الاسلامي ولقائه بعمرو بن العاص « كنت في

بلدي وهو الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف ، واطمئنانا بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم » ويقصد بالكفرة أولئك الرومان .
٤ ـ وعن موقف الاقباط « النصارى » بعد الفتح العربي لمصر إنهم كانوا في أعظم ابتهاج بخلاصهم مما كانوا فيه فقد خرجوا من عهد ظلم وعسف تطاول بهم وهوت بهم إليه حماقة البيزنطيين ، وآل أمرهم بعد خروجهم منه الى عهد من السلام والطمأنينة « هو عهد العرب » وكانوا من قبل تحت نيرين من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين فأصبحوا وقد فك من قيدهم في أمور الدنيا وأرخى من عنانهم . وأما دينهم فقد صاروا فيه الى تنفس حر وأمر طليق ، وأجمع الناس على قول واحد فقالوا ما خرج الروم من الارض وانتصر عليهم المسلمون إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر وما أنزله بالقبط وملتهم فقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم وفتح المسلمين لبلاد مصر .

كيف كانت الحركة الفكرية بمصر قبيل الفتح الاسلامي ؟ :

كانت مصر قبيل الفتح الاسلامي تعاني أزمة ثقافية حادة :
١ ـ فالأديرة التي كانت تمثل الثقافة أصبحت تقف موقف العداء من الفكر الاغريقي بسبب خلافاتهم في العقيدة حول طبيعة المسيح وقد أدى ذلك أن وصلت الحضارة الاغريقية الوافدة الى درجة الاحتضار والذبول في القرن السادس الميلادي .
٢ ـ وكما انصرف رهبان القبط عن الثقافة الاغريقية انصرفوا كذلك عن اللغة اليونانية واتجهوا الى إحياء اللغة القبطية .

مكانة العلم في الاسلام :

مما لا جدال فيه أن الاسلام دين العلم وأول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق / ١ ـ ٥ .
وفي الواقع التاريخي يتضح ان علوم اليونان وفلسفتهم لم تنقل الى أوروبا إلا بواسطة المسلمين بعد أن درسوها وأضافوا اليها ولولا علماء الاسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنا طويلا بل ربما لم يدركوها كلية .
والحضارة الاسلامية هى التي أخرجت أوروبا من العصور المظلمة الى عتبات الحضارة والتقدم لأن كثيرا من العلوم الحديثة يعود الفضل في ابتداعه أو تطويره الى علماء المسلمين وبتشجيع من الحكام في البلاد الاسلامية خصوصا في علوم الطب والجبر والهندسة والطبيعة والكيمياء وغيرها وأوروبا ربيبة وتلميذة

للمسلمين في تلك المجالات العلمية .

فالعلم هو الذي يكشف عن أسرار الكون ويسخرها لمنفعة الانسان ويستخرج كنوز الارض ويستغلها لخير البشرية .

وبحكمة العلم تستقيم السياسة فتتجه وجهة الخير ، كما أنه بالعلم يحفظ على الصناعة قوتها ويجدد شبابها ويعمل على إنهاضها وتقدمها كما وأنه أساس التقدم في كل أوجه النشاط الزراعي والمالي والتجاري والاقتصادي ، وهو حجر الزاوية في حسن القيام عليها .

من أجل هذا كله حث القرآن الكريم على العلم ووجه النظر الى البحث في هذا الكون أرضه وسمائه جباله وأفلاكه والى غير ذلك كثير ومثاله :

قوله تعالى : (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ۹ .

وقوله جل شأنه : (**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**) العنكبوت / ٤٣ .

وقوله سبحانه : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر / ٢٨ .

وقوله جلت كلماته : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة / ١١ .

أما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثاله :

قوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه الخطيب .

وقوله : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواه البخاري ومسلم .

وقوله : « لان تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة » رواه ابن ماجة من حديث أبي ذر .

فهل يستقيم بعد ذلك الزعم بأن عمر بن الخطاب « وهو من عرفناه اسلاما وصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم » أشار الى واليه بمصر عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الاسكندرية ؟ إن العقل ليأبى تصديق هذا الزعم ويرفض هذا الاتهام من أساسه .

ما يقرره التاريخ عن مكتبة الاسكندرية :

من الثابت تاريخيا أن يوليوس قيصر هو الذي أحرق مكتبة الاسكندرية وكانت تدعى مكتبة البطالسة العظمى أو مكتبة البرخيوم حين غزا البلاد المصرية سنة ٤٨ قبل الميلاد وقد كانت تحتوى على ٤٠٠ ألف مجلد ـ أما المكتبة الصغرى التي نشأت بعد ذلك وكانت تدعى مكتبة السرابيوم فكانت تضم ٢٠٠ ألف مجلد ـ فقد أتلفت بأمر أصدره الامبراطور الروماني تيودورز الى بطريك الاسكندرية المدعو تيوفيل حوالي سنة ٣٨٩ م واندثرت مكتبات الاسكندرية منذ هذا الزمن فلم يكن في الاسكندرية حين استيلاء العرب المسلمين عليها بعد ذلك بثلاثة قرون مكتبة

ذات شأن فضلا عن ذلك فان ثقات المؤرخين السابقين أمثال اليعقوبي والبلاذري وابن عبد الحكم والطبرى والكندى ومن أخذ عنهم كابن الأثير وابن تفرى بردى والسيوطى لم يذكروا ارتكاب العرب والمسلمين لهذه الجريمة .

ومما يؤكد هذا الاتجاه قول المؤرخ أوراسيوس انه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب عند زيارته مدينة الاسكندرية في أوائل القرن الخامس الميلادي بعد إتلافها بنحو عشرين سنة .

وقد نقل الباحث السوري المرحوم محمد كرد علي بعض أقوال المستشرقين التي تنفى عن المسلمين هذه التهمة نفيا قاطعا فقال :

١ ـ إن افتيكوس بطريرك الاسكندرية مع توسعه في الكلام على استيلاء المسلمين على ثغر مصر لم يذكر كلمة واحدة عن حريق عمرو بن العاص لهذه المكتبة « ويدعونها الخزانة » .

٢ ـ ذكر ارفنج وكريستون وفلين وغيرهم أن ما أشيع حول حرق المكتبة ونسبة ذلك للمسلمين لم يكن له ذكر لدى الباحثين في أوروبا قبل نقل كتاب مختصر الدول الى اللاتينية ـ ومنذ ذلك الحين تمسك بعض الباحثين بهذه الفكرة وبدؤوا يهاجمون المسلمين بها . « والكتاب المذكور يشتمل على هذه الأكذوبة » .

٣ ـ ويقول فوت و أهلويلر في كتابهما : « جنايات الاوروبيين » إن الأسقف تيوفيل هو الذي أحرق مكتبة الاسكندرية لا المسلمين فالدين الإسلامي لا يبيح إحراق الكتب .

٤ ـ ويقول بونه مورى يجب أن نصحح خطأ شاع طوال القرون الوسطى وهو أن العرب أحرقوا مكتبة الاسكندرية بأمر الخليفة عمر والحال أن العرب في ذلك العصر كانوا أشد إعجابا بعلوم اليونان وفنونهم من أن يقدموا على عمل كهذا وقد أحرقت هذه المكتبة قبل ذلك بوقت طويل .

ويعلق الاستاذ محمد كرد على . على حملة أعداء الاسلام الذين روجوا الاتهام دون بحث واستقصاء بقوله « إن هؤلاء المستشرقين يتمسكون بتهمة لا أساس لها ومن ناحية أخرى تعرض أمامهم حقائق عن حرق الكاردينال اكسيبهنيس لآلاف الكتب الاسلامية المخطوطة في ساحات غرناطة ، فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوروبا وقد قدرها بعضهم بثمانية آلاف مجلد فيمرون على ذلك مرورا عابرا أو يحاولون تبرئة هذا الكاردينال من هذه الوصمة كما أن علماء الغرب لم يكتبوا قليلا أو كثيرا عما فعله الصليبيون بمكتبة طرابلس حين أمر سنجيل الصليبي باحراق كتب دار العلم وكان عددها أكثر من مائة ألف مجلد » .

وخلاصة القول :

إن اتهام عمرو بن العاص أو المسلمين أو العرب بحرق مكتبة الاسكندرية اتهام ظالم لا يقوم على أي أساس من الحقيقة أو الواقع .

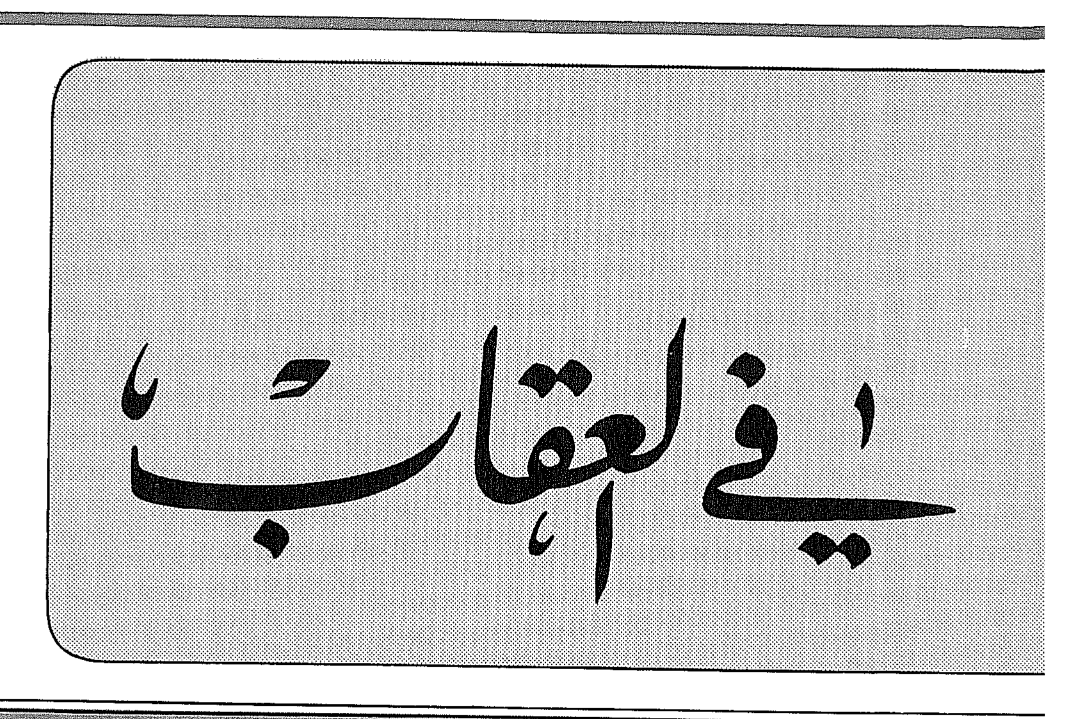


في الجزاء الأخروي :ـ

يحدثنا القرآن الكريم أن الله عز وجل يحصى على كل إنسان ما يعمله من خير او شر ، قال تعالى : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)** الزلزلة/ ٧ و٨ .

وجـزاء الخير خـير : **(للذين أحسنـوا الحسنـى وزيـادة)** يونس/ ٢٦ ، **(من جاء بالحسنة فله خـير منـهـا)** النمـل/ ٨٩ والقصص/ ٨٤ **(ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور)** الشورى/ ٢٣ حقـا : **(هل جـزاء الإحسـان إلا الإحسـان)** الرحمن/ ٦٠ .

وكان المفروض ان يكون جزاء الشر شراً ، غير أن الله عز وجل أسبغ رحمته على عباده ، وكان من مظاهر رحمته أنه يضاعف الحسنات بخلاف السيئات : **(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون)** ١٦٠/ الأنعام ، ثم ينعم الله عـلى عباده فيجري مقاصة بين السيئات والحسنات : **(إن الحسنات يذهبن**



للدكتور/عبدالناصر توفيق العطار

السيئات) ١١٤/هود ، وكان مقتضى العدل ان يعاقب على السيئات ويجزي بالحسنات ، ولكن رحمته سبحانه سبقت غضبه فعفا عن السيئات طالما كانت الحسنات اكثر . ثم زاد الله عز وجل عباده من فضله فسمى نفسه الغفور وفتح لهم باب التوبة والغفران ، فقال سبحانه : **(قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون)** ٥٣ و٥٤/الزمر .

في الجزاء الدنيوي : -

هذا عن الجزاء الأخروي ، أما في الحياة الدنيا ، فقد قسمت الشريعة الاسلامية العقوبات إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الحدود :

وهي حد الردة للمرتد عن الاسلام فهو يستتاب وإلا قتل ، وحد الزنا وهو للمحصن الرجم بالحجارة حتى الموت، ولغير المحصن الجلد مائة جلدة ، وقد ثبت الرجم بالسنة ، وثبت الجلد بنص القرآن ، قال تعالى : **(الزانية**

والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) ٢/النور، وحد السرقة: هو قطع اليد . قال تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)** ٣٨/المائدة، وحد القذف بالزنا: هو الجلد ، قال تعالى: **(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون)** ٤/النور ، وحد شرب الخمر: هو الجلد كذلك، وبهذا جرت السنة ، وحد قطع الطريق: هو القتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي من الأرض ، قال جل شأنه : **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** ٣٣/المائدة .

وهدف هذه الحدود هو حماية المصالح الخمسة الأساسية في المجتمع الاسلامي ، فحد الردة شرع للمحافظة على الدين ، وحد الزنا للمحافظة على النسب ونظام الأسرة ، وحد السرقة للمحافظة على الأموال ، وحد القذف للمحافظة على الأعراض ، وحد الشرب للمحافظة على العقل . وتتسم العقوبة في هذه الحدود بالحزم والعلاج الناجع . ولا يصح أن ننظر إليها على أنها قاسية ، لأنها عقوبات توقع على المجرمين الذين اعتدوا على الأبرياء فروعوا أمنهم أو دنسوا عرضهم أو سلبوا مالهم أو أفسدوا في المجتمع إفسادا عظيما تنهار به أسسه . وبديهي أن من لا يَرحم لا يُرحم . والعقوبات البديلة في القوانين الوضعية كالحبس والغرامة لا تكفي لأنها ليست الا مسكنات للداء ولا يصح للطبيب ان يعالج الأمراض الخطيرة بالمسكنات . بل لابد من دواء ناجع فعال ، وقد يرى الطبيب انه لا مناص من استئصال العضو الفاسد في المجتمع حتى لا ينتشر فساده إلى باقي الأعضاء فيفسد الجسم كله ، وهكذا فعل الاسلام فيما شرعه الله من الحدود . ولا شك أننا في حاجة إلى مجتمع آمن فاضل أكثر من حاجتنا إلى عشرات من المجرمين الذين يعيثون في الأرض فسادا .

النوع الثاني : القصاص :-

والنوع الثاني من العقوبات الدنيوية التي شرعها الاسلام القصاص في القتل والعاهات والجروح وكذلك الضرب، على بعض الآراء . ولا شك ان القصاص العادل يقضي على جرائم الثأر ، ويحذر كل من يفكر في ارتكاب مثل هذه الجريمة من إتيانها خشية هذا القصاص ، فإذا فكر في قتل شخص خشي أن يقتل هو بعد ذلك ، وبهذا تحيا نفس القتيل وتحيا نفس القاتل وتحيا الأنفس جميعا في

المجتمع ، ولهذا قال تعالى : (**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون**) ١٧٩/البقرة . ومن رحمة الله عز وجل أن جعل للمجنى عليه ولولي القتيل الحق في طلب توقيع القصاص أو طلب الدية أو العفو عن الجاني ، وبالتالي جعل له السلطان والتسلط على مصير الجاني ، فشفى غيظه إن طلب القصاص أو الدية ، وفتح له الفرصة ليسمو بنفسه بالعفو عن الجاني . قال تعالى : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**) ٣٣/الاسراء .

النوع الثالث : التعزير :

والنوع الثالث من العقوبات الدنيوية التي شرعها الاسلام عقوبات التعزير ، وهي عقوبات يحددها ولي الأمر كالحاكم أو مجلس شورى المسلمين أو القاضي لكل منكر يمكن إثباته ، وبهذا يقضي الاسلام على كل منكر في المجتمع لتعيش الفضيلة ويسود الأمن فيه .

المساواة في المسؤولية :-

ولقد كان عهد الجاهلية يفرق في توقيع العقوبة بين الشريف وغير الشريف ، فإن كان القتيل من قبيلة ذات سلطان والقاتل من قبيلة أقل شأنا ، كان لولي دم القتيل في الجاهلية أن يطلب دم رجلين من الأحرار من قبيلة الجاني إن كان القتيل رجلا حرا ، أو دم رجل حر إن كان القتيل عبدا أو امرأة ، أو يطلب الدّية، ودِيَة الشريف مائة من الإبل ، ودِيَة غيره أقل من ذلك ، وكان عرف الجاهلية يقضي بأنه إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، ولازالت بعض أجهزة الشرطة والنيابة الآن تحرص على التفرقة بين الناس عند مساءلتهم عما ارتكبوه من جرائم .

أما في الاسلام فالناس جميعا سواء في مسؤوليتهم عما يقترفونه من جرائم ، لا فرق بين الشريف وغيره جانيا كان او مجنيا عليه . وفي الحديث الشريف : « وايم الله لو ان فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها » أخرجه البخاري

وفي الاسلام لا يسأل عن المنكر غير فاعله ، سواء كان الجاني شريفا أو غيره ، قال تعالى : (**ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**) ١٦٤/الانعام . كما أن الحد يُدرأ بالشبهات ، فيفسر الشك لصالح المتهم ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « ادرأوا الحدود بالشبهات » رواه ابن عدى .

الوقاية والتوبة والتسامح :-

ثم لا يقف الاسلام عند حد العقاب على الشر ، بل يضع من القواعد ما قد يحول دون وقوع الجريمة وفي نفس الوقت يدعو المجرم بعد وقوعها إلى

التوبة .

فالاسلام شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يقوى الايمان ولا تكون هناك ردة ، وشرع الزواج وحرم الخلوة حتى لا يكون هناك زنا ، وشرع نفقة الأقارب والزكاة وغيرها حتى لا تكون هناك سرقة ، ودعا الى الكلمة الطيبة ونهى عن الغيبة والنميمة وغيرها حتى لا يكون هناك قذف ، وغير ذلك من النظم والقواعد التي تستأصل دوافع الجريمة قبل وقوعها .

فإذا وقعت الجريمة فهناك التوبة التي تطهر النفوس مما اقترفته من إثم ، تأمل قوله تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم)(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم)** . :**(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)** ١٣٥/ آل عمران .

وأخيرا دعا الاسلام إلى معاملة المذنبين بالحسنى حتى تسهل توبتهم ورجوعهم إلى الله ، وحتى تسود الفضيلة والمودة في المجتمع الاسلامي ، قال تعالى : **(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)** ٣٤ فصلت . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب شاربا للخمر ، فقال بعض الحاضرين للمضروب « أخزاك الله » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تعينوا عليه الشيطان » ثم تأمل قوله تعالى:**(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)** ١٣٣ و١٣٤/ آل عمران .

وأخيرا لا يغفل الاسلام عن التوعية الدينية ، قال تعالى : **(اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)** ٢٠/ الحديد . وقال سبحانه: **(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد)** ١٤ و١٥/ آل عمران .

مائدة القارئ

ندعو الله كما دعا أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ـ كما حكى القرآن الكريم : « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم »الآية الخامسة من سورة الممتحنة

دعاء

روى ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول اذا قام الى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت قيّام السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدّمت وأخرت ، وما أسررت وأعلنت ، أنت الهي لا اله الا أنت ».

مختصر صحيح مسلم .

مثلي ومثل هؤلاء

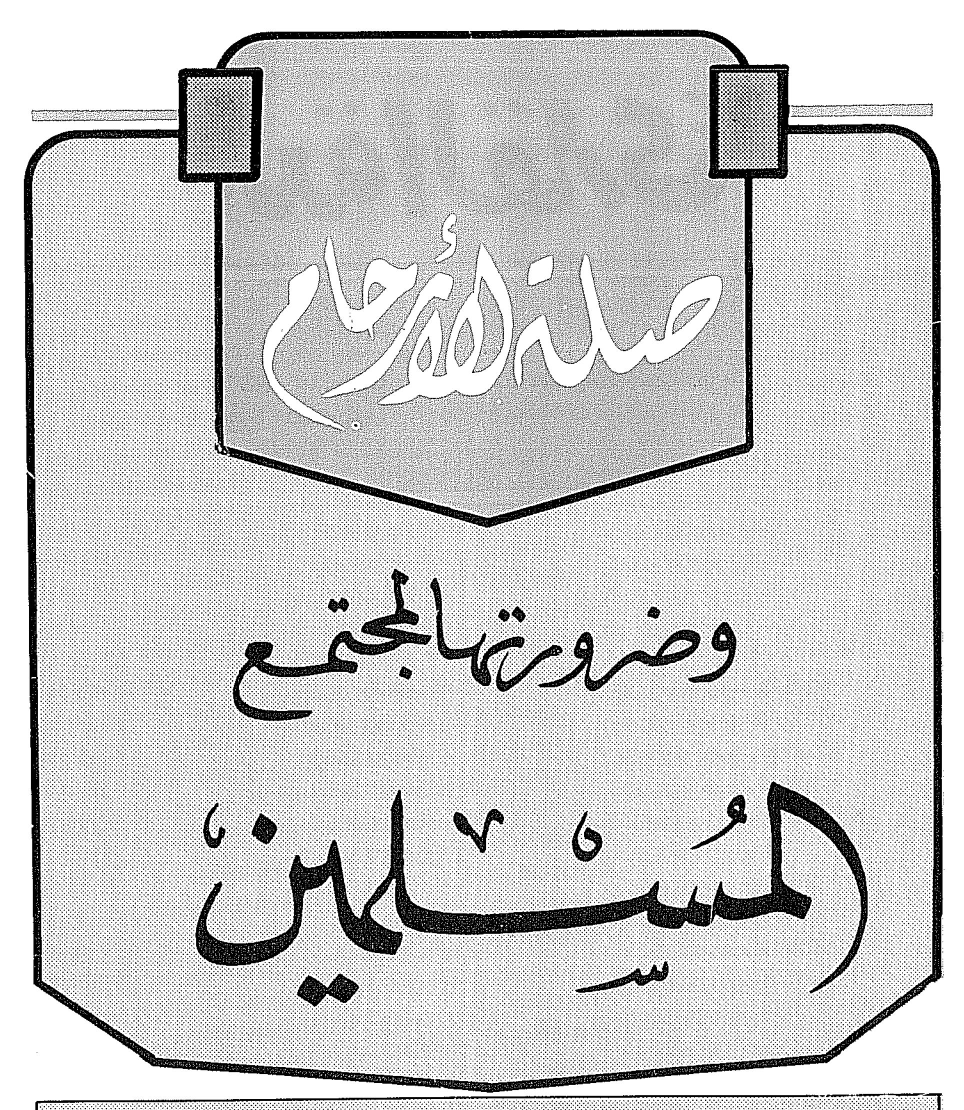
وفد الربيع بن زياد على عمر بن الخطاب ، فأعجبته هيئته ، فشكا عمر طعاما غليظا أكله ،

فقال الربيع : يا أمير المؤمنين : إن أحق الناس بمطعم طيب ، ولباس لين ، ومركب وطيء ، لأنت .

فضرب عمر رأسه بجريدة وقال : والله ما أردت بهذا الا مقاربتي ، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا ، الا أخبرك بمثلي ومثل هؤلاء ، انما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم ، وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشيء .

حكمة

رحم الله عبدا تكلم بخير فغنم ، أو سكت فسلم .



للدكتور / عبد الحي الفرماوي

١) **تقديم** :

صلة الأرحام ، ومودة الأقارب ، والسؤال عنهم ، ومساعدة ضعيفهم ، ومد يد العون الى محتاجهم ، ومشاركتهم أفراحهم ، ومقاسمتهم أحزانهم ، والتواصل الدائم ... بينهم ... كل ذلك مما يهدف إليه التشريع الإسلامي ، رغبة في تقوية أتباعه ، وتماسكهم ، وتناصرهم ، وتآزرهم ، في مواجهة هموم الدنيا وملمات الحياة ، أملا في سيادتهم وعلوهم في الأرض وحسن استخلافهم لله سبحانه وتعالى عليها .

وإذا تماسكت الأسرة وترابط أفرادها ، وقويت شوكتها ، وكذلك

غيرها من الأسر ، تماسك بالتالي افراد المجتمع الاسلامي جميعهم ، الذين هم في الأصل ـ وكما ينبغي أن يكون ـ أسرة واحدة (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**) الحجرات/ ١٣ .

وما دام البشر جميعا من أب واحد هو آدم ومن أم واحدة هي حواء ، فالكل على هذا مهما تعددت الشعوب وتباينت الجنسيات إخوة بعضهم لبعض ، وهذا هو ما ينبغي أن يكون .

ولكن لما تخالفت المشارب ، وتفارق الناس الى عصاة ومطيعين .... اقتصرت الأخوة بين من بقي على ذكرها ، وهم المطيعون لله تعالى (**إنما المؤمنون اخوة**) الحجرات/ ١٠ .

والترابط بين أفراد الأسرة الواحدة ، وكذلك الترابط بين الأسر : هو من أقرب الطرق الى تقوية جانب المؤمنين وتعزيز جانبهم بين صفوف البشر أيا كانت الجنسيات ومتى كان الزمان .

وهذا هو ما يحرص ويحث عليه التشريع الإسلامي ، ويهدف اليه .

وكذلك كانت كل الشرائع السماوية السابقة .

قال الله تعالى (**شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى**) الشورى/ ١٣ .

وقال تعالى (**وإذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون**) البقرة/ ٨٣ .

وفي السطور التالية يبين لنا مدى اهتمام المشرع بهذا الموضوع .

٢) صلة الأرحام من مكارم الأخلاق :

ولم يوص الاسلام بشيء يتناف وفطرة الإنسان الصافية التي خلقه الله عليها ، ولم يجعل من التقوى شيئا تأباه النفوس ، ويتناف مع كريم الاخلاق .

وصلة الأرحام وترابط الأقارب هو من مكارم الأخلاق قبل كل شيء ولن يضيع كريم الخلق أو يخذل ... ولذلك :

أقسمت أم المؤمنين خديجة لزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله لن يخزيه أو يخذله حين أتاها خائفا يوم بدء نزول الوحي عليه ، حيث قالت له ـ صلى الله عليه وسلم : فيما ترويه لنا عنها أم المؤمنين عائشة ـ « والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق رواه البخاري .

ونرى الشاعر العربي يذم من لا يصل رحمه فيقول :

من الناس من يغشى الأباعد نفعه
ويشقى به حتى الممات أقاربه

ويذمه اخر فيقول :

وما خير مالم ينفع الأهل عيشه
وان مات لم تجزع عليه أقاربه .

٣ ـ صلة الأرحام من البر والتقوى :

في بداية حديثنا نرى الاسلام يركز على أن صلة الأرحام ، وترابط الأقارب ، من علامات التقوى وسمات المتقين ، وهو من البِّر والصدق في الايمان ، حيث يقول تعالى **(ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »** البقرة/١٧٧ .

٤) التحذير من قطيعة الأرحام :

ومن هنا : ولمنافاته لمكارم الأخلاق ، ولتصادمه مع مبادىء الاسلام ، ولإضعافه للروابط بين المسلمين .

فقد حذر الإسلام من قطيعة الرحم ، وعداء الأقارب بعضهم لبعض ،

حيث يقول سبحانه وتعالى : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** النساء/١ أي اتقوا الله بطاعته واتقوا الارحام أن تقطعو ها ، ولكن بروها وصلوها .

وفي الحديث :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله»رواه مسلم.أي من وصلني ببره وصله الله برحمته ، ومن قطعني عن بره قطعه الله عن رحمته .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم « ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم .. قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ؟ قال : نعم أماترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ؟ قال:فذاك لك .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا ان شئتم **(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)** . سورة محمد/٢٢ ـ ٢٤ رواه مسلم .

وكذلك :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قاطع رحم » رواه مسلم .

ولكن :

٥) كيف تكون صلة الأرحام ؟ :

وجواب هذا السؤال مما تعدد الإجابات عنه حسب تنوع الظروف

وعادات الأسر وقدُرات الأفراد ، وهو في نفس الوقت مما يعرف كل فرد إذا أراد أن يرضى ربه باستفتاء قلبه .

ومع ذلك :

فهناك أشياء توضح الخطوط الرئيسة لمن أراد أن يصل رحمه ويرضى ربه ... منها :

أ) السؤال عنهم والاهتمام بهم والتعرف على أحوالهم وحب الخير لهم والابتهاج لفرحهم والتخفيف عنهم في متاعبهم ، ويستوى في ذلك الفقير والغني .

ومن كلام علي كرم الله وجهه : « اكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير ، فإنك بهم تصول وبهم تطول ، وهم العدة عند الشدة ... أكرم كريمهم ، وعد سقيمهم ، وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم » (٩) .

ويقال : حق الأقارب إعظام الأصغر للأكبر وحنو الأكبر على الأصغر .

ويقال : القرابة تحتاج إلى المودة والمودة تستغني عن القرابة .

ب) مساعدتهم بشتى صنوف المساعدة إذا كانوا في حاجة إلى مساعدتك ، أياً كانت المساعدة ، مادية كانت أو معنوية .

وكان يقال : إذا كان لك قريب ، فلم تمش إليه برجلك ولم تعطه من مالك ، فقد قطعته .

جـ) بالتصدق عليهم : يقول الله تبارك وتعالى :

« في سورة النحل المكية (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) النحل/ ٩٠ .

وفي سورة الاسراء المكية (**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا * وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا**) الاسراء / ٢٦ ـ ٢٨ .

وفي سورة الروم المكية : (**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأؤلئك هم المفلحون**) الروم/ ٣٨ .

وفي سورة البقرة المدنية (**يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم**) البقرة/ ٢١٥ .

وفي الحديث الشريف :

عن النبي صلى الله عليه وسلم « ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فان فضل شيء فلأهلك ، فان فضل من أهلك شيء فلذي قرابتك فان فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا »

يقول الراوي : فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك»رواه مسلم .

وعن انس بن مالك أنه قال : كان أبو طلحة أكبر أنصاري بالمدينة مالاً وكان أحب أمواله اليه بَيْرَحَى (اسم مال وموضع بالمدينة) وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب .
قال أنس : فلما نزلت هذه الاية (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) آل عمران/٩٢ قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله يقول في كتابه (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) وإن أحب أموالي إلي بيرحى . وإنها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ !! ذلك مال رابح ... ذلك مال رابح ، قد سمعت ما قلتَ فيها ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين ... فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه / رواه البخاري ومسلم .

ويلاحظ : ـ

١ ـ أن الأمر بالتصدق على الأقارب في ماذكرنا وارد بما يفيد : التجدد والحدوث وإرادة الاستمرار ...

٢ ـ أن المشرع لم يفرق بين المحتاج من الأقارب وغير المحتاج بل أمر بالتصدق على الأقارب مطلقا .

٣ ـ أن الصدقة على الفقير صدقة ... وعلى القريب صدقتان ، قال عليه الصلاة والسلام : « « الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان » رواه الترمذي .

٦) النتائج المترتبة على صلة الرحم : ـ

وإن أمرا هذا شأنه وتلك مكانته من الضروري أن تكون النتائج المترتبة على المحافظة عليه جد عظيمة ... وهي : ـ

أ) سعة الرزق وطول العمر :

« عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأله في أثره ، فليصل رحمه » رواه البخاري ومسلم وقال أعرابي : صلة الرحم : منسأة في العمر ، مرضاة للرب ، محبة في الأهل .

ب) ترابط المسلمين وتغلبهم على أعدائهم .

وفي الحكم يقال : الصلة بقاءوالقطيعة فناء .

ويقول الشاعر حثا على الترابط وذما للقطيعة : ـ

إذا ما أراد الله ذل قبيلة
رما هم بتشتيت الهوى والتخاذل

ومن هنا : حث الاسلام على صلة الأرحام وحذر من القطيعة بين الأقارب.وترابطهم وقوتهم من أسمَى أهداف الجماعة الاسلامية حيث يمكنهم ذلك من اعلاء كلمة الحق ونصرة دين الله ، ونشر خيره على كل الجماعة البشرية ، التي هي في الأصل من أب واحد وأم واحدة (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات/١٣ .

جـ) دخول الجنة والنجاة من النار .

يقول الله تعالى (**ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك**

رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * اومسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة *أولئك أصحاب الميمنة) سورة البلد ١٨/٨ **أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ـ يوم القيامة ، (من أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب إلى أهله مسرورا)** الانشقاق ـ ٧ ـ ٩ .

وفي الحديث الشريف :

« يقول النبي صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال » رواه مسلم .

وعن أبي أيوب قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار ، قال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصل ذا رحمك » ..

فلما ادبر ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن تمسك بما أمر به دخل الجنة » رواه مسلم .

وقال جعفر بن محمد : صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ... ثم تلا قوله تعالى **(والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب)** الرعد/ ٢١ .

ومن هنا : حث الاسلام على صلة الارحام ، وحذر من القطيعة بين الأقارب .

وهي اثار لو نعلمها ـ نحن أصحاب الأسر المفككة والروابط الممزقة ـ جدّ عظيمة والوصول اليها ليس بالمستحيل علينا ، بل هي من القطوف الدانية إلينا ، لوحاولنا .. !!

٧) **خاتمة** :

بعد هذا البيان الواضح والتأكيد الجازم على صلة الأرحام والمودة في القربى ... !

أقول : قد يرد القول الشائع ، الأقارب كالعقارب .

ومن هذا الباب أيضا يقال :

الأب رب ، والعم غم ، والاخ فخ ، والولد كمد ، والاقارب عقارب .

ويقول الشاعر :

إن الأقارب كالعقارب
أو أشد من العقارب

ويقول آخر :

يقولون عز في الأقارب إن دنت
وما العز إلا في فراق الأقارب.
تراهم جميعا بين حاسد نعمة
وبين أخي بغض وآخر عائب

ويقول آخر :

ولقد يكون لك الغريب اخا ويقطعك القريب .

اقول :

الجواب على هذه الأقوال الشائعة : أنها صادقة بل واقعة في مجتمع اليوم والأمس والغد ، ولا مناص من الاعتراف بذلك ، ولكن

ليست على عموم بعضها كما نلاحظ بل أقول تصدق على بعض الأقارب وهذا البعض - والحمد لله - قليل بالنسبة لعموم الناس ، وليس هذا بغريب في دنيا الناس ، ولا بشذوذ في هذه الحياة وبخاصة وأنه لا يوجد الخير كله ولا يتغلب الشر جميعه في هذه الحياة الدنيا ، وفي نفس الوقت لا يستثير ذلك منا الفزع ، ولا الكفران بوصايا السماء ما دام التوفيق بين هذه الوصايا وهذا الواقع ممكنا ، وفي صالح المجتمع الإنساني على النحو الذي يقدمه لنا التشريع الاسلامي .

ففي الحديث الشريف :

عن أبي هريرة : أن رجلا قال : يا رسول الله . إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن اليهم ويسيؤون الي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي ، فقال : « لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك » رواه مسلم

وهكذا ينقلب الشر خيرا ، وتصبح صلة من قطع ، والإحسان الى المسيء منهم ، والحلم على من يجهل بابا من أبواب الثواب ، ومنهلا من ينابيع الخير ، التي يكفر الانسان بها عن سيئاته ويزيد بالتزام منهج الله فيها في رصيد حسناته .

وهذا أبو بكر رضي الله عنه : عندما يفترى على كريمته بما يطعن في شرفه كما هو المشهور في حادثة الافك التي تهتز لها كل الأوساط الاجتماعية ويساعد في إشعال نيران هذه الفتنة (المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة) .

وكان من بين هؤلاء : ابن بنت خالة أبي بكر نفسه ، وهو مسطح بن أثاثة ، وكان أبو بكر ينفق عليه لفقره ولقرابته منه .

فلما حكمت السماء ببراءة السيدة عائشة وأعلن ذلك للناس في قوله تعالى (**ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم**) الآيات العشر من سورة النور (١١-٢١) .

قال أبو بكر : « والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قاله لعائشة » .

ولما كان مسطح من أقارب أبي بكر ... !!

ولما كان الزمن زمان التشريع ... !!

ولما كان حرص المشرع على تقوية الروابط ، وتوثيق الصلات بين أتباع هذا الدين الجديد الخالد .

ولما كان فصم عرى القرابة ، وتوهين أواصر الأسرة الواحدة هو الفصم الحقيقي لعرى العلاقات الأسرية مع بعضها البعض هو الفصم الحقيقي - بالتالي - لعرى العلاقات الانسانية جميعها . وهو التمزيق الحقيقي لاواصر الأسر وهو - بالتالي - التمزيق الحقيقي للأواصر الانسانية جميعها .

فقد سارع المشرع الى رأب هذا الصدع ، والوقوف أمام هذا الخطر بتغليب جانب الخير في الانسان ، بإلهاب حماسه إلى العفو والصفح بدل الانتقام والحقد .

يقول سبحانه وتعالى الرحمن

الرحيم الحكيم العليم :(**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا**) النور/٢٢ .

وهكذا يتضح حل هذا الموضوع القديم الجديد ، وهو خصام الأقارب وعداوتهم وكراهة بعضهم الخير للبعض الآخر منهم :

(١) بنهى السماء عن القطيعة .

(٢) وتغليب جانب الفضل على جانب العدل .

(٣) وتفضيل الخير على الشر .

(٤) والحث على العفو والصفح بدل العقاب والانتقام .

وكانت الآية بأسلوب « يتناول الأمة » إلى يوم القيامة ، ناهية أن يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر » .

وتنتهي الآية الكريمة السابقة : بهذا التمثيل الواضح وهذه الحجة الملزمة لكل من تحدثه نفسه بعدم الاحسان إلى من يسيء إليه من أهله ، أو بعدم صلة من يقاطعه من أقاربه » .

حيث يقول تعالى (**ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**) النور/٢٢ أي : كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم ، فكذلك اغفروا لمن بينكم وبينهم شحناء ومخاصمات لجناية اقترفوها في حقكم أو إساءة قابلوا بها إحسانكم إليهم .

ولذلك : « قال أبو بكر ـ فيما يرويه ابن اسحاق ـ بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، وأعاد الى مسطح نفقته التي كان ينفقها عليه ، وقال : والله لا انزعها منه أبدا» السيرة النبوية لابن هشام ٣/١٩٣ .

وهكذا : نتمثل بعفو الله عنا مع كثرة ذنوبنا فنعفو عن إساءة بعض أقاربنا إلينا وهي بالقطع قليلة بالقياس الى خطايانا التي نرجو لها الصفح والغفران .

ومن المؤكد أن يحيل الصفح والتسامح كثيرا من الأقارب المخطئين في حقنا الى معتذرين إلينا ومحبين لنا .

ومن لم يحله الصفح والتسامح إلى ذلك ، فيكفي أن يكون الله لنا ظهيرا عليه ، ونصيرا معنا في إحساننا ضد إساءته وهي قلة قليلة جدا في طبعها شذوذ ونكران ، ومع ذلك : لا يوافق المشرع أن نقابل إساءتهم بإساءة ، وقطيعتهم بقطيعة .

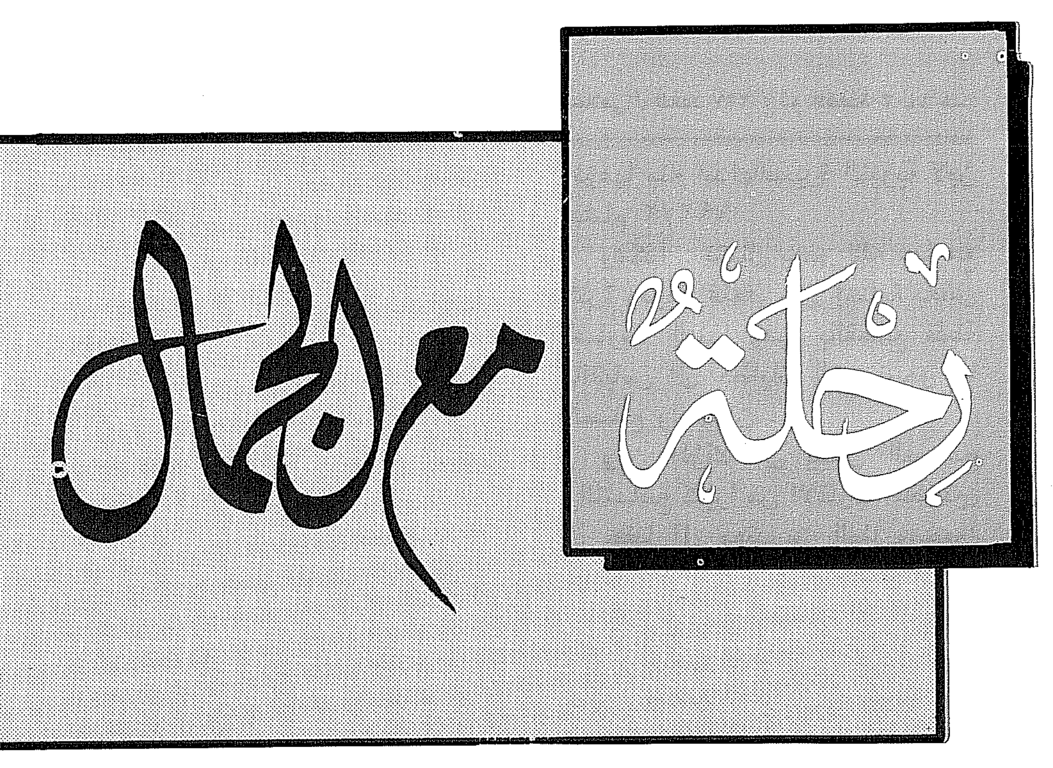
اما الكثرة والغالبية : فسوف يسود بينها الود والتواصل وتظللها القوة والتماسك .

وبالتالي : يسرى ذلك في مفاصل المجتمع كله ، وتتوجه المهابة ، وتزينه العزة ، وتعلو رايته ، وتسمع كلمته ، ويسود فكره ، وينتشر خيره ، ويستحق أن يوصف بصدق يقول الله تعالى (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المعروف وتؤمنون بالله**) آل عمران/١١٠ .

ألا تحبون أيها السادة أن يغفر الله لكم .

اغفروا إذا للمسيئين إليكم من أقاربكم وصلوا أرحامكم .

يغفر الله لي ولكم .... آمين .



ان الكون من خلق الله سبحانه ، ومن ثم فهو في تكوينه ، وأبعاده ، ونواميسه وأشكاله ، يتضمن قيما جمالية بدءا بجوانبه التي لا تراها العيون وانتهاء بالعالم والطبيعة التي تتحرك عليها الحياة ويتواصل معها الانسان .

والله سبحانه (جميل) يحب (الجمال) كما يحدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد (عبرت) جلت قدرته عن هذه (الجمالية) في صفحات الكون التي لا يلمها كتاب .. وفي اقطار العالم الاربع .. وعبر معطيات الطبيعة التي لا تكف عن التمخض والعطاء ..

* المهرجان الجميل :

ان هذه القيم الجمالية تبدو في اكثر من جانب من تصميم الكون ، وبيئة العالم والطبيعة : في إحكام الصنعة ، وتوزيع المساحات والابعاد ، وتشكل الكتل ، وضبط السنن والنواميس .. كما أنها تبدو في التدفق الدائم ، والتجدد المستمر ، والانبعاث الدائم ، والعطاء النامي ، والاتساع الذي لا تصده حدود .. وتبدو كذلك ، وبشكل اكثر مباشرة في المقياس الجمالي ، في (التزيين) الذي عوملت به عناصر الكون والعالم والطبيعة ..

والديكورات الانيقة التي ركبت على الواجهات ، والالوان ، والصيغ والتراكيب المدهشة التي بثت هنا وهناك .

ان خلق الله سبحانه مهرجان جميل منذ لحظات مسيرة الابداع الطويلة الاولى والى أن يشاء الله



للدكتور / عماد الدين خليل

فيطوى السماوات والارض كطي السجل للكتب ، ويعيد الخلق كما بدأه أول مرة .

* شيء عن وظائف الجمال :

ان (الجميل) هو ذلك الابداع الذي يتضمن قدرا من التناسب والتناظر والاحكام والاثارة .. والذي يبعث في النفس الدهشة والتجاوب والاعجاب والانسجام ويمنحها قدرا من التوحد والتناغم والامتلاء ، ويمكنها من التحقق بالتجاوز الذي يرفعها فوق مستويات الحزن ، والقهر ، والالم ، والتعاسة ، والقبح ، والتمزق ، والشقاء ..

والجميل هو الابداع الذي يكسر قشرة الإلف والاعتياد والركون والملل التي يعاني منها الانسان بين الحين والحين ، فيدفعه الى الدهشة والتجدد والحركة والفرح والغبطة ..

والجميل هو الابداع الذي يتعامل مع الانسان من خلال مكوناته جميعا : عقلا وروحا وحسا وجسدا ووجدانا .. فيمنحها المزيد من الحيوية ويهبها القدرة على (الاخذ) الذي يزيدها غنى وعطاء ..

التيار الذي يجرى على صفحات الكتاب :

ومن ثم فان الخلق الجمالي في الكون والعالم والطبيعة ليس هدفا بحد ذاته وانما هو وسيلة اريد بها تمكين الانسان من التحقق بعلاقة اكثر حيوية وتدفقا وصميمية بالكون .. الأمر الذي يقوده الى خالق الكون من خلال أشد نقاط الارتكاز في شخصيته قدرة على التواصل والفاعلية ..

ومن هنا نعرف لماذا اكد القرآن الكريم على الرؤية الجمالية للكون والعالم والطبيعة .. لماذا تردد نداء التوجه الى الخلق المعجز في جنبات كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .. ولماذا تجاوبت اصداؤه عبر السور والمقاطع والآيات والاحاديث .. ولماذا اتسع واتسع حتى اصبح تيارا هادرا يكاد يجرى على صفحات الكتاب الكريم من بدئها حتى المنتهى !!

من الجزء المنظور الى الكل الجميل :

إن القرآن الكريم لا يكتفي بالتأكيد على هذا التوجه الشمولي صوب الكون ذي الحبكة المحكمة .. الجميلة .. ولكنه يتوقف احيانا لكي يشير بالحرف الواحد الى الجمال كشهادة منظورة للمبدأ العام .. انه يطرح بعض النماذج والجزيئات المنبثة حوالينا ، ويشير الى جمالياتها المقصودة لكي نمضي بعد ذلك فنبحث عن الجمال ونتواصل معه ونتحقق بمعناه ومغزاه عبر تجوالنا اليومي في العالم والطبيعة وعبر تفكيرنا الدائم في الكون والحياة ..

من الجزء المنظور الى الكل الجميل .. تلك هى الرحلة التي يريد كتاب الله أن نقوم بها كل يوم لكي ننبعث ونتجدد ، ولكي لا تنضب في نفوسنا وعقولنا وارواحنا وحواسنا شلالات الدهشة والإعجاب والانفعال والحركة واليقين .

الجمال .. في كل مكان :

ومن خلال جولة شاملة عبر هذه الاشارات (المحددة) نلتقي بالجمال المنبث في كل زاوية من زوايا الكون ومنعطف من منعطفات الطبيعة .. ونلتقي به كذلك من خلال الحياة في تدفقها الابدي .. ومن خلال النبات والحيوان .. ثم من خلال الانسان نفسه ، سيد المخلوقات الذي خلقه الله سبحانه (في احسن تقويم) والذي صوره فأحسن صورته !!

الجمال في صميم الكون والطبيعة ، وفي قلب الحياة والاحياء ، وفي تركيب المخلوقات ، وفي جسد الانسان وملامح وجهه ..

والجمال في العلاقات (المتناسبة) ، والتوزيع الفذ ، والمساحات المتناظرة بين الاشياء ، بعضها والبعض الاخر ، وبين المخلوقات بعضها والبعض الاخر .. بدءا بتركيب الذرة وانتهاء بالعقل والروح وقوة الارادة .

والجمال في القيم المنضبطة ، المتوازنة ، التي يتحرك الانسان بهديها وعلى ضوئها والزامها ..

المصابيح الزرق والخضرة الواعدة :

إننا نقرأ في كتاب الله عن (تزيين) السماء بالمصابيح الزرق و (تجميلها) بالضوء الشفيف (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)الصافات/٦ (ولقد زينا

السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) الملك/ ٥ (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا) فصلت/ ١٢ (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين) الحجر/ ١٦ (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها)ق/ ٦) .

ونقرأ عن تزيين الارض بالخضرة الواعدة ، وعن البهجة الجميلة التي يهبها الشجر ، والزرع ، والزهر للانسان في هذا العالم (.. **فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**) النمل/ ٦٠ (**وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج**) الحجج/ ٥ (.. **والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**) ق/ ٧ (**وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه إن في ذلكم لايات لقوم يؤمنون**) الانغام/ ٩٩ (**الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون**) يسين/ ٨٠ (**الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ؟**) الحج / ٦٣ (**ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت**) فصلت/ ٣٩ (**فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها**) الروم/ ٥٠ .

عالم الحيوان المدهش :

ونقرأ في مقابل (النبات) شيئا من عالم (الحيوان) (الجميل) حيث التركيب المدهش ، والالوان المثيرة ، والوظائف البديعة ، والغرائز المحكمة ، والحركة التي تأخذ ألف ايقاع وايقاع : (**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغية الا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**) النحل ٥ ـ ٨ (**انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين**) البقرة/ ٦٩ .

ونقرأ عن الانسان نفسه سيد المخلوقات : كيف خلقه الله (في احسن تقويم) جسدا وعقلا وروحا ، وكيف صوره فأحسن صورته .. وفي الحالتين نلتقى بالإحسان والتجميل حتى ليكون (المصور) واحدا من اسماء الله الحسنى (**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**)التين/ ٤ (**وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات**) غافر/ ٦٤ (**وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير**) التغابن/ ٣ (**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين**) السجدة/ ٧ (**هو الله الخالق البارىء المصور**) الحشر/ ٧ (**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا**

للملائكة اسجدوا لادم) الاعراف/١١ (**هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء)** آل عمران/٦ (**يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك)** الانفطار ٦ ـ ٨ .

المرأة .. تلك الآية الجميلة :

ونقرأ عن (المرأة) ، احدى بدائع خلق الله وآياته الجميلة في العالم ، وعن زينتها التي يتوجب الا ترخص وتبتذل لكل رائح وغاد ، كما ترخص وتبتذل في قرننا هذا ، وأن تظل مصونة ، عزيزة ، كيلا تذبل بمس الايدي المتعاقبة وتنسحق من وطء الاقدام ، وكيلا يكون جمال المرأة مجرد أداة حسية لاشباع رغبات الجسد واطفاء شهواته ، بينما هناك (طبقات) أخرى من العلائق بين الرجل والمرأة يمكن أن يرفدها الجمال المصون (.. ولا يبدين زينتهنَّ الا لبعولتهنّ أو آبائهن ، أو آباء بعولتهنّ أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهنّ أو بني إخوانهنّ أو بني أخواتهنّ أو نسائهنّ أو ما ملكت أيمانهنّ أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ)الآية/ ٣١ النور (**فيهن خيرات حسان)** الرحمن/ ٧٠ (**وحور عين . كامثال اللؤلؤ المكنون)** الواقعة/ ٢٢ ـ ٢٣ .

ونقرأ حتى عن الملابس البديعة والحلي والاثاث الجميل (**عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة ..)** الانسان/ ٢١ (**ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق)** الكهف/ ٣١ (**متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)** الرحمن/ ٧٦ .

الكلمات التي تنث نورا :

وصعودا باتجاه الخالق المبدع ، جل وعلا ، حيث (الجمال) المطلق الذي ليس من سبيل الى (معرفته) أو (وصفه) الا بما حدثنا به القرآن الكريم نفسه ، في تلك الآية الباهرة التي تشع نورانية ورقة وصفاء .. وحيث تستخدم فيها كلمات مدهشة تنث جمالا : (النور) (المصباح) (الزجاجة) (الكوكب الدرى) (شجرة الزيتون) (الزيت المضيء الذي لم تمسسه نار) .. (**الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم)** النور/ ٣٥ .

رحلة سريعة في التيار :

هذا على مستوى الآيات التي تشير

(بالحرف) الى (الجمال) ومرادفاته .. وأما المعطيات القرآنية التي تصل الى الهدف نفسه بتعابير وصيغ غير مباشرة فهي واسعة متشعبة منبثة في نسيج كتاب الله كله ، وانها لتمثل ـ كما ذكرنا ـ تيارا كبيرا ، تتضارب امواجه وتتجاوب اصداؤه .. ينبع عند بدايات الكتاب ولا يكف عن التمخض والخفقان حتى يختم الانسان على آخر سورة فيه ..

ولن يتسع المجال للإبحار في هذا التيار الكبير ، ونكتفي بشواهد من امواجه فحسب لكي نتلمس جانبا من ابعادها الجمالية : **(ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)** البقرة/ ١٦٤ **(ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم .**

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) الانعام/ ٩٥ ـ ٩٧ **(فلينظر الانسان الى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فانبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولانعامكم)** عبس/ ٢٤ ـ ٣٢ **(فلا اقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس)** التكوير/ ١٥ ـ ١٨ **(الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك)** فاطر ٢٧ ـ ٢٨ **(والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور)** النور ٣٩ ـ ٤٠ .

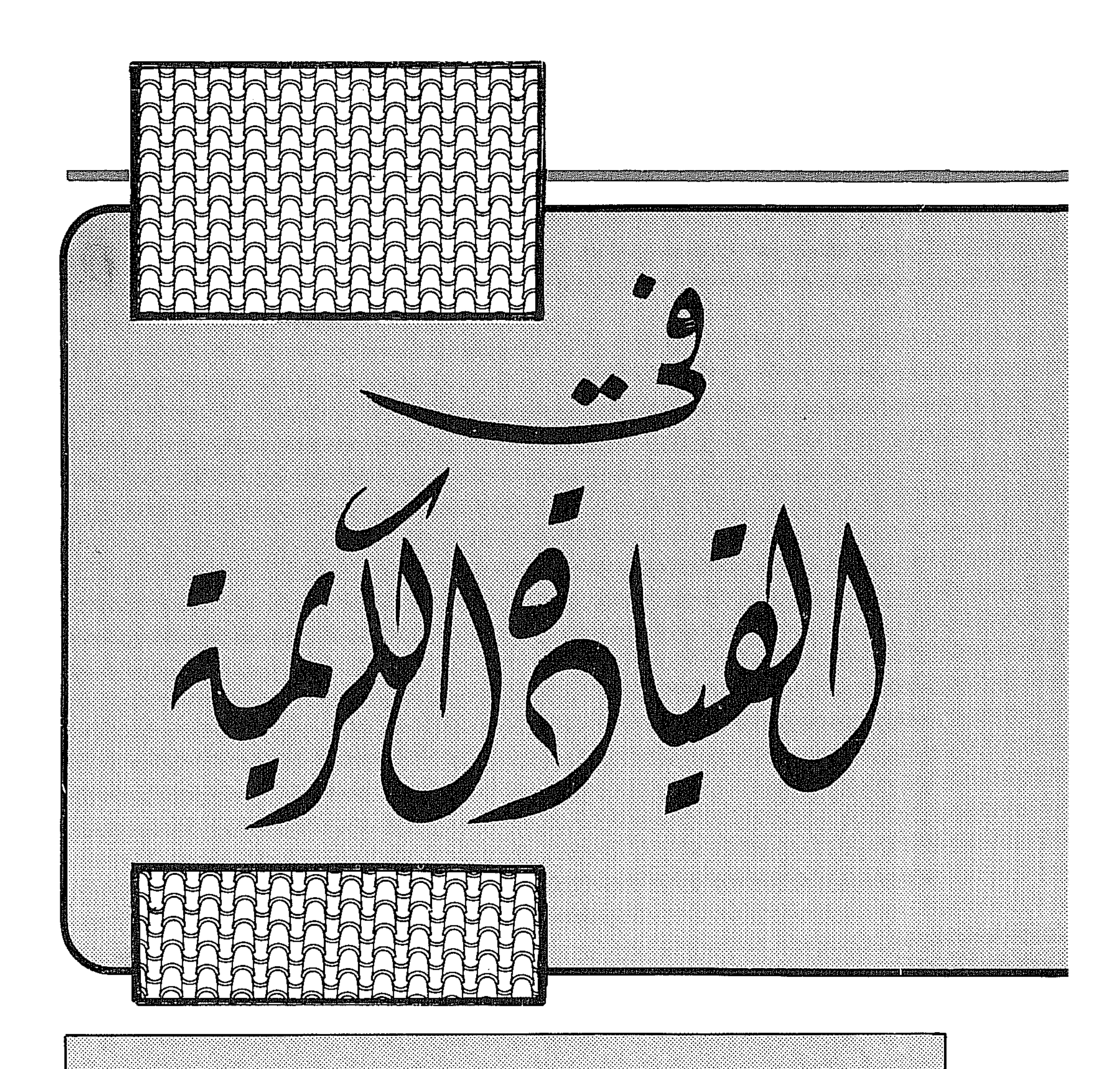
الانسان قبالة الكون :

نخلص من هذا كله الى أن القرآن الكريم يطرح معطياته عن (الجمال) بالاشارة المحددة حينا ، وبالصيغ الضمنية غير المباشرة حينا آخر .. وهنا نلتقي بتأكيد متزايد على جمالية الخلق الكوني ، ووضع الانسان في حالة تقابل فعالة معه .. كما نلتقي بعروض قرآنية تعتمد (الكلمة) لتقديم لوحات مبدعة غنية بقيمها ودلالاتها الجمالية .



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يقف كثير من المسلمين اليوم من السيرة النبوية موقف من يتابع لوحة جميلة وقد أعجب بها لأنها تمثل منظرا ربيعيا نضيرا ، فيرجع البصر اليها كرتين ، وهو مأخوذ بلمساتها وتوزع الألوان فيها ، ولا يخطر بباله أن يسير على هدى تلك اللوحة فيحاول أن يحاكيها ، إنه أبعد من ذهنه كل سانحة تلح عليه بتلك المحاكاة ، فأين موقعه من موقع مشاهدة اللوحة وأبعادها إنه في القرن العشرين ، وقد أصاب التطور هذا العالم ، وها هي المدنية والحضارة الحديثة قد فرضت عليه سبيلا معينا من السير يجعله من تلك المشاهد صنيع من لا يتعدى المتعة والاعجاب . ولعل كثيرا من الدعاة اليوم يشاركون عامة المسلمين في هذا الموقف فيتعاملون مع بعض المعالم التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاملا باهتا جامدا وكأن تتابع الأيام عطل النبع الثر عن العطاء . وعنصر التخطيط في تحرك القيادة الكريمة من هذه العناصر التي يفهمها كثير من الدعاة على اساس السذاجة والنظرة القريبة للأمور ،



في القيادة الكريمة

للدكتور / أحمد محمد الخراط

فيريدون أن يقنعوا أنفسهم وهم يتحركون للدعوة الى الله بأن لا بأس بالخفة والتسرع وأخذ الأمور من قشورها ما دام رائدهم كما يقولون البركة والثواب . وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفعمة بالمشاهد التي تغطي هذا العنصر وتعطي الدعاة عبر أجيالهم درسا بعيد الأثر بأن القائد الكريم كان يفهم منطوق الآية « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »

مفهوما عميقا في بعد الأفق وجلاء النظرة ، فالاعداد شامل للسلاح والفرد والتحرك والكر والفر ، وليس ثمة فوضى أو بساطة أو خفة . وسوف نكتفي بمشهد من مشاهد التخطيط التنفيذي في غزوة حنين ومعروف أمر الغزوة فقد كانت في شوال سنة ثمان بعد فتح مكة ، حيث اجتمع رؤوس الكفر ممن ينتسبون الى هوازن وثقيف

وقرروا التعبئة العامة وحشدوا قواهم في وادي حنين ، وكانت الجولة الأولى للمشركين حيث كمنوا للمسلمين الذين أعجبوا بكثرتهم من مضايق الوادي وشعبه .

غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استطاع ان يقوم بهجوم معاكس ليتغير من خلاله وجه المعركة ويحقق النصر المؤزر للمسلمين بفضل الله ، وليس شرطا أن يتحقق النصر للدعاة والمجاهدين من المراحل الأولى للمسيرة فقد يتأخر هذا النصر قليلا ، وقد لا يتحقق أصلا .

ويبدو لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم حنين وقبله وبعده يقظا في الموقف العصيب ، ذا خطة محكمة وتدبير بعيدا لعل هذا يبدو لنا من النقاط التالية :

١ ـ عندما تحقق الفتح العظيم لمكة لم يكن ليبطره النصر فيجعله غافلا عن مؤامرات الوثنيين لا حتوائه ولا سيما أنهم شعروا بأن الوافد الجديد مضى يكتسح الجزيرة ، انه كان يعيش أحداث النصر المؤزر والمسؤوليات الجديدة التي تترتب عليه من ناحية ويرقب الموقف الخارجي بالنظر البعيد والرصد الدقيق من ناحية ثانية . لقد وردته انباء مؤكدة من جهات الطائف حيث هوازن وثقيف أن هؤلاء يعدون للأمر عدته ، فأرسل طليعة ترصد له الموقف عن كثب لتقدم له تقريرا ميدانيا عن الحالة ، وهذا يعد في المعجم العسكري لفتة ضرورية يقوم بها القائد في مجال سلاح الاستخبارات والرصد . وقد كلف بهذه المهمة عبد الله بن أبي حدرد وهو من هوازن ليكون أهل مكة أدرى بشعابها ، وانطلق عبد الله فأقام في القوم وعلم بأخبارهم وطاف بمعسكرهم ثم قفل عائدا يحمل الى غرفة القيادة تقاريره ومشاهداته ، ويستفيد القائد من هذا الرصد فيكشف المزيد عن استراتيجية العدو وموقفه .

٢ ـ لقد نجح كمين العدو المنتشر في وادي حنين بعد أن حمل على المسلمين حملة واحدة في الوقت الذي أعجب المسلمون بكثرتهم ، وكان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتصرف بدقة واحكام ، انه على ثقة بأنه يملك رصيدا ضخما من القاعدة الصلبة التي رباها على عينيه ، فماذا صنع ليضمن ثباتها واستبسالها في الهجوم المعاكس ؟

أ ـ عدَّ نفسه على رأس الطليعة التي ستأخذ على عاتقها قلب ميزان القوى . وطبيعي أن يحس المسلم الذي تربى في مدرسته بأن عليه أن يراجع حسابه ، لأن قائد الدعوة نفسه يشق صفوف المعركة بكلمة حماسية جياشة :

أنا النبيّ لا كذب
أنا ابن عبد المطلب .

وقد لامست هذه الكلمة شغاف القلوب : كيف نترك النبي الصادق الأمين وحده ؟ هل أنت تشك في صدقه ؟ اذاً فلتمض الى حيث الهجوم المضاد .

ب ـ اختار العباس ذا الصوت

الجهوري يهتف بالناس ، ليس هتافا عالي الصوت فحسب ، انه لا ينادي : يا مسلمون ،اذاً لأصبح نداء عاديا وانما اختار له كلمات معينة : يا أصحاب الحديبية ، يا أصحاب السمرة . والمعروف أن الحديبية والسمرة موقفان كان فيهما الصحابة على عتبة الاستعداد الكامل لبذل الغالي والرخيص في سبيل دعوة الله . فأنت أيها الفار كيف يروقك ان تترك من بايعته على الكر والاقدام لا على الفر والنكوص ، بايعته على العطاء والثبات لا على الأخذ والزيغ فكيف تتركه وحده في قلب المعركة ؟

ج ـ وهو في الوقت نفسه مضى يعطي الدعاة درسا ينبغي أن لا ينسوه وهو الارتباط بصاحب النصر ومعطيه ، وقف يدعو الله بقلب خاشع منكسر يسأله النصر والثبات .

٣ ـ كما يتضح التخطيط البعيد في موقفه من القوات المنهزمة بعد نجاح الهجوم المعاكس ، فهو لم يتعجل الغنائم ولم يدفعه النصر المبين أن ينسى الأبعاد المترتبة على النصر ، فهؤلاء المنهزمون قد يعودون ولا سيما أنهم في عقر دارهم فأرسل اليهم يطاردهم كيلا يتيح لهم استرداد القوة والروح ووصلت قواته بقيادة أبي عامر الأشعري الى نخلة وأوطاس تصفي الوجود الوثني المنهار .

٤ ـ ويدخل في دائرة التخطيط وتقليب الأمور اتباعه أحيانا طريق السياسة المرنة لتحقيق مكسب بعيد الأفق فيتحقق به نصر للمسيرة أكبر من أن يصول بحركة عسكرية في شوط سريع ، وتتضح هذه السياسة في موقفه من قائد المشركين مالك بن عوف ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يقضي عليه حينما فر من حنين واحتمى بالطائف ولكنه ترك الشوط العسكري ليكسب مالكا حسب الخطة التالية :

أ ـ أرسل اليه : إن جاء مسلما رد عليه أهله وماله .

ب ـ استجاب مالك فرد عليه ما وعده به واستعمله على من اسلم من قومه والقبائل المجاورة .

ج ـ كسب بذلك هوازن الى معسكره .

د ـ اتخذه رأس حربة يضرب بها بقايا الوثنيين لأنه أصبح يهاجم غير المسلمين هناك .

٥ ـ قبل أن يتحرك الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر له كما يقول ابن اسحاق ـ أن عند صفوان بن أمية أدراعا وأسلحة . فأرسل اليه ـ وهو يومئذ مشرك ـ فطلب منه تلك الدروع والاسلحة فقال صفوان : أغصبا يا محمد ؟ فأجابه : بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها لك . فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح ولا خلاف بين العلماء في جواز ذلك ولكنهم يقيدونه بأن لا يكون فيه ما يخدش كرامة المسلمين وان لا يتسبب عن ذلك دخولهم تحت سلطان غيرهم أو تركهم لبعض واجباتهم وشعائرهم .

هذه بعض المعالم اقتبسناها من السيرة الكريمة ليعلم الدعاة أن فيها كنزا لا ينفد عطاؤه لمن يريد أن يتخذ منها قدوة التطبيق لا قدوة النظرية .

والحمد لله رب العالمين .

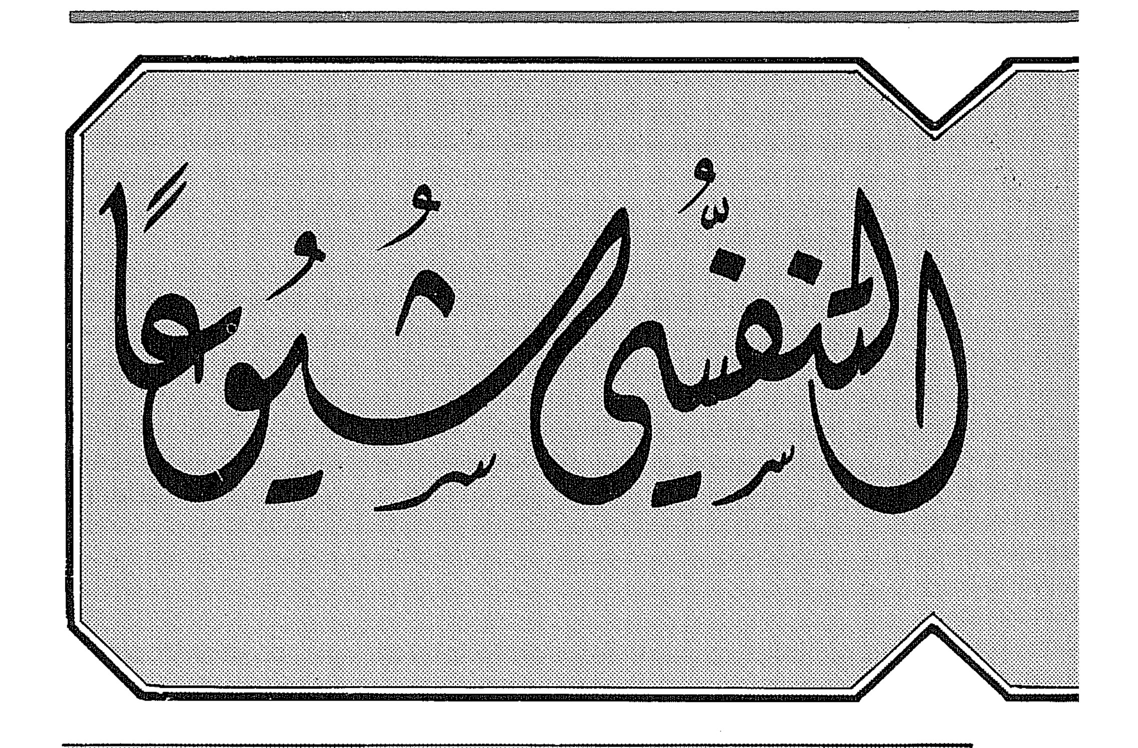


رحم الله العالم الجليل فضيلة الشيخ احمد البسيوني رئيس تحرير هذه المجلة السابق وأنزله منازل الأبرار والصديقين وجزاه عن القراء أحسن الجزاء ، لقد أحسن الظن بالفقير وكتب إليه أن يتناول بعض الأمراض من حيث الأسباب والوقاية والعلاج . ولما ناقشه زميل له فاضل في ذلك قائلا : وهل مثل هذا اللون من الكتابة مطلوب في مجلة اسلامية ؟ فأجاب رحمه الله : اليس الاهتمام بالصحة من الدين ؟ الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ... » (رواه أحمد ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه) .

وعلى ضوءتوجيه ذلك الشيخ الفاضل والداعية المستنير كانت بعض الموضوعات التي تم تناولها على صفحات هذه المجلة . وحينما أقول ذلك فإنني أقوله وفاء بحق ذلك الرجل حتى أنسب الفضل الى أهله ولايحسبن أحد أن هذه الموضوعات من بنات أفكاري كما يقولون ويشجعني على ذلك أن الرجل قد لقي ربه راضيا مرضيا إن شاء الله ، ولن يظن أحد أن هذه كلمة ما أريد بها وجه الله .

وفي هذه المرة سأتناول بعض أمراض الجهاز التنفسي الشائعة والله المستعان .



للدكتور / غريب جمعة

ومن هذه الأمراض : (١) الزكام = البردCommon Cold(٢) الأنفلونزا

كلمة عامة :

الزكام أو البرد تسميتان لمسمى واحد هو عبارة عن إصابة المرات التنفسية العليا (الأنف ـ الحلق) بنوع معين من الفيروسات على الأرجح حيث لم يعرف للزكام ميكروب خاص وقد يصل عدد هذه الفيروسات الى عشرين نوعا ! وهي فيروسات عنيدة ذات مقاومة عالية للمضادات الحيوية ولم يتم التوصل الى لقاح ذي فعالية حقيقية بالنسبة لها وإن كان قد تم استخدام بعض اللقاحات في السنوات الأخيرة ساعدت على خفض نسبة الاصابة بالزكام ولكنها لم تقض عليه نهائيا . وهي تترصد للانسان حتى إذا ضعفت مناعته لأي سبب فإنها تباشر عملها . ولا توجد هذه الفيروسات في القطب الشمالي حيث تتراكم الثلوج بصورة مستمرة وتصل درجة الحرارة الى ما تحت الصفر ولذلك لايصاب السكان هناك بالزكام على الرغم من ضعف مناعتهم ولكنهم حينما ينتقلون الى البلاد الأخرى

يصابون به كأهلها تماما .

ومن الأسباب التي تساعد على الاصابة بالزكام مايلي :

(١) الاجهاد البدني نتيجة كثرة العمل مع قلة النوم والراحة لأن ذلك يؤدي الى ضعف مقاومة الجسم .

(٢) ضعف أنسجة الانف واحتقانها نتيجة التدخين أو استنشاق الهواء المحمل بالاتربة .

(٣) قد تكون الميكروبات الخاصة بالزكام مستقرة في الأنف أصلا حتى إذا ما تهيأت لها الظروف فإنها تنمو وتتكاثر وتقوى وتؤدي الى الاصابة بالزكام دون حاجة الى انتقالها من شخص مصاب .

(٤) خروج الانسان من جو دافيء الى جو بارد فجأة كما يحدث حينما يخرج الانسان الى برد الشارع بعد جلوسه أمام مدفأة في منزل أو في جو به تكييف سواء كان في مكتب أو قطار وقس على ذلك أي تغيير مفاجيء في الطقس .

الأعراض :

تختلف الأعراض من حيث شدتها باختلاف مناعة المصابين ولاشك أنها تكون واضحة بصورة ملحوظة على ذي المناعة الضعيفة بينما يحدث العكس في ذي المناعة العالية ويمكن القول بصفة عامة أنها تنحصر فيما يأتي :

(١) حدوث عطس متكرر ثم رشح من الأنف قد يزيد حتى يخيل للمرء أن أنفه أشبه بصنبور غير محكم القفل تتساقط منه قطرات الماء متتابعة ويشعر كأن رأسه محشوة بشيء ما مع الاحساس بالصداع كما تتساقط بعض الدموع من العينين .

(٢) الشعور بآلام عامة وفتور بالجسم وعجز عن التركيز وربما ترتفع درجة الحرارة قليلا .

(٣) يحدث احتقان بالأغشية المخاطية المبطنة للأنف قد يؤدي الى انسداد الأنف ثم يتحول رشح الأنف المائي الى افراز ثخين تدريجيا حتى يتحول الى مخاط وهذا يؤدي الى فقدان حاستي الشم والذوق مع فقدان الشهية .

(٤) كثيرا ما يمتد الالتهاب الى الحلق مسببا ألما به يؤدي الى السعال مع الاحساس بحرقة فيه .

(٥) فقدان المريض لنشاطه العام مع رغبته في أن لا يغادر الفراش .

(٦) تأخذ الاصابة المتوسطة بالزكام في التحسن بعد بضعة أيام حيث يقل افراز الأنف ويقل احتقان الغشاء المخاطي ويستطيع المريض أن يتنفس من أنفه ويتماثل للشفاء حيث تختفي الأعراض جميعا . أما الحالات الشديدة نوعا فقد تستمر من سبعة أيام الى أربعة عشر يوما أما إذا استمرت الأعراض أكثر من ذلك فإن الحالة قد لا تكون بردا أو زكاما عاديا وإنما قد تكون حساسية بالانف أو التهابا به وهي حالة لابد أن تشخص التشخيص الصحيح حتى تعالج أيضا

العلاج الصحيح . ويذكرنا فقدان حاسة الشم بقول الشاعر :

وما ضر الورود وما عليها ... إذا المزكوم لم يطعم شذاها

(٧) اذا ظهرت أعراض جديدة تدل على أن الحالة تزداد سوءا مثل رعشة طويلة أو حمى ملحوظة بحيث الاتفعت درجة الحرارة الى اكثر من ٣٩° او آلام في الصدر أو الأذنين أو الوجه أو قصر وصعوبة في التنفس أو سعال مصحوب بخروج بلغم مخطط بالدم أو بلون الصدأ أو حدوث بحة مستمرة فإن ذلك دليل على حدوث مضاعفات نتيجة للزكام مثل : التهاب الجيوب الأنفية ـ التهاب الأذن الوسطى ـ النزلات الشعبية الحادة (بضم الشين وتشديدها وفتح العين وليس بالفتح والتشديد كما ينطقها الكثيرون) ـ الالتهاب الرئوي . وهذه أشد خطورة من المرض الأصلي وإليها ترجع خطورة الزكام .

العلاج :

(١) ينبغي أن يخلد المريض الى الراحة بالفراش وإن كان هناك بعض الناس يحسبون أن عدم ملازمتهم للفراش يساعد على العلاج حتى أن أحدهم يلقاك وهو يقول بشيء من الفخر : انني آخذ الزكام على اقدامي وهذا أمر خاطيء ، لأن الراحة بالفراش تحقق هدفين أحدهما سرعة شفاء المريض والآخر هو منع انتقال العدوى الى غيره . وإذا لم يكن من الممكن أن يستريح المريض في الفراش لأمر هام لابد أن يباشره بنفسه فيجب أن يزيد من ساعات راحته ونومه ليلا .
(٢) أثناء مرحلة الرشح يجب أن يلتزم المصاب بالدفء مع تجنب التغيرات المفاجئة في درجة الحرارة مع الاكثار من شرب السوائل خصوصا الدافئة كما يجب أن يكون الاستنثار أو التمخط برفق حتى لايساعد ذلك على دفع العدوى الى جيوب الأنف والى الأذنين كما يجب أن يكون ذلك في مناديل من الورق تستعمل وتلقى على التو في صندوق القمامة .
(٣) في حالة انسداد الأنف ينبغي استخدام قطرات الأنف المناسبة مع تجنب استخدام قطرات شخص مصاب حتى لا تنتشر العدوى بين اكثر من شخص .
(٤) تعاطي بعض المسكنات كالاسبرين أو بعض المستحضرات الحديثة بمعدل قرص ثلاث مرات يوميا في الحالات الخفيفة وقرصين في الحالات الشديدة .
(٥) تعاطي المضادات الحيوية ليس مطلوبا في حالة البرد اما اذا كانت هناك مضاعفات مثل التهاب الجيوب الانفية الذي يسبب ألما في الجبهة (أعلى الانف) أو اي مضاعفات اخرى سبقت الاشارة اليها فإنه يتعين في هذه الحالة أخذ المضادات الحيوية المناسبة بمشورة الطبيب .
(٦) هناك مجموعة من الأمراض على المصابين بها أن يأخذوا الزكام مأخذا جديا إذ أن الاصابة المعتدلة الشدة به تؤثر تأثيرا سيئا على صحتهم وربما تهدد حياتهم

وهذه الأمراض هي :

- الدرن الرئوي (السل)
- الحمى الروماتيزمية ومرض القلب الناتج عن هذه الحمى
- بعض أمراض الكلية مثل مرض « برايت » تشخيصه من شأن الطبيب) أو التهاب حوض الكلية المزمن .
- مرض الكبد الشديد .
- مرض القلب الذي ينتج عنه قصر في التنفس
- الربو الشعبي المزمن
- الالتهاب الشعبي المزمن أو تمدد الرئة
- التهاب الجيوب الحاد .

الوقاية :

كما يقولون : درهم وقاية خير من قنطار علاج ولما كان الزكام من الأمراض الشديدة العدوى والتي تنتقل بالملامسة والمخالطة للمصاب فإن أفضل طرق الوقاية من الاصابة به هي :

(١) تجنب الشخص المصاب وإذا تعذر ذلك فيجب الابتعاد عن طريق من يعطس أو يسعل والامتناع عن تقبيل المصاب خصوصا وقد أثبت التصوير الضوئي ذي السرعة العالية أن سحابة من الذرات المحملة بالجراثيم تنتشر حول منطقة تمتد الى ثلاثة أقدام تقريبا أمام **كل شخص حينما يسعل أو يعطس** !!! ويستطيع المصاب أن يمنع تلك الجراثيم التي تشبه القذائف الموجهة من فمه من الانطلاق لتصيب شخصا آخرا اذا ما استعمل منديلا عند العطس أو السعال حتي يتم الشفاء وبقليل من اللباقة يستطيع المرء أن يبتعد عن المصاب بمسافة مأمونة إذا ما انتابه العطس أو السعال حتى يتم الشفاء . كما يجب أن لا يغشى الانسان الأماكن المزدحمة أثناء انتشار موجات الزكام وينبغي أن يكون من آداب الجماعة أن لا يذهب مزكوم الى الأماكن العامة أو يقبل الدعوة للولائم حتى لا يكون بؤرة تنطلق منها الجراثيم الى الجالسين حوله .

(٢) تجنب الجلوس في تيارات الهواء وعدم ترك الأقدام عارية ومبللة وقتا طويلا .

(٣) العمل على أن يظل الانسان في حالة بدنية جيدة وذلك بتجنب الاجهاد وتناول الوجبات المتوازنة اي التي تمد الجسم بالعناصر اللازمة له ولعل مما يحسن الصحة ممارسة بعض أنواع الرياضة البسيطة مثل المشي على الاقدام لمدة ساعة على الأقل يوميا كما أن الجلوس في الهواء الطلق وعلى شواطيء البحار مما يساعد على ذلك أيضا والجلوس على الشواطيء الذي نعنيه ليس هو الجلوس وسط مظاهر العرى الحيواني الفاضح الذي جعل أديب العروبة والاسلام « الرافعي » رحمه الله يتناول هذا الموضوع تحت عنوان :

يالحوم البحر سلخك من ثيابك جزار !!
وكثير من الناس يطيلون مدة مكثهم في مياة البحر بغرض الحصول على حمام كامل ونصف ساعة وقت مناسب جدا لذلك .
(٤) إذا كان المزكوم شخصا يمارس مهنة التمريض فعليه أن يكون في اجازة من عمله ، أما إذا اضطر الى ذلك فعليه أن يلبس قناعا واقيا من الشاش على فمه ثم يتمخط ويبصق في مناديل من الورق يطرحها في صناديق القمامة كما أشرنا سابقا .
(٥) يجب غسل الأوعية التي يستعملها المصاب غسلا جيدا بالماء الساخن وبعيدا عن أوعية بقية أفراد الاسرة كما يجب على أفراد الاسرة عدم استعمال هذه الأوعية طيلة فترة المرض مع ايماننا الكامل أن كل شيء بتقدير الله وما نحسب الأخذ بالأسباب إلا من تقدير الله ايضا .
(٦) علاج الحالات الموجودة أصلا مثل التهاب الجيوب الأنفية أو انحراف الحاجز الأنفي أو اللوزتين يساعد على تقليل نسبة الاصابة بالزكام .

إصابة الأطفال بالبرد :

لما كان الأطفال هم فلذات الأكباد وثمرات الأفئدة وبهم من البراءة والرقة والضعف ما يجعلهم اكثر تعرضا للاصابة بالبرد كما ترتكب الأمهات كثيرا من الأخطاء في حقهم بحسن نية بالطبع لذلك فإننا نخصهم بهذه التوجيهات لتجنبهم خطر هذه الاصابة وما ينتج عنها من مضاعفات تؤثر على مسارهم الصحي في المستقبل :

أولا :

على الأمهات حماية الأطفال من التعرض للتعب البدني أو البرد القارس وعدم وضع العديد من الملابس الثقيلة على جسمه مع بقائه داخل غرفة دافئة مدة طويلة ثم الخروج به في تيار الهواء أو تغيير ملابسه فجأة وهذا خطأ يقع فيه كثير من الأمهات والآباء أيضا .

ثانيا :

تعويد الطفل على أن يظل بعض الوقت خارج البيت في طقس معتدل اذا أمكن ذلك حتى يعتاد جسمه على الهواء البارد خارج البيوت نوعا ما ولعل هذه الملاحظة تكون واضحة في طفل البادية والقرية عن أخيه طفل المدينة الذي يعيش مع أسرته وسط « علب » تسمى بلغة العصر شقق أو مساكن !! كما أن الغذاء المتوازن هام جدا بالنسبة للطفل حيث يجعله اكثر قدرة على مقاومة الأمراض بصفة عامة .

ثالثا :

إبعاد الطفل عن القريب المزكوم بشيء من الكياسة ومنعه من حمله أو تقبيله أو تدليله . أما إذا كانت الأمخهي المزكومة وهي أقرب مخالط للطفل فإن عليها أن تضع قناعا من القماش على فمها أثناء إرضاع طفلها أو تغيير ملابسه مع إكثار غسل يديها جيدا .

رابعا :

يجب الزام الطفل بالراحة في الفراش ومنعه من الذهاب الى المدرسة مع إعطائه بعض السوائل الدافئة وعصير الفواكه وإذا ارتفعت درجة حرارته مع ظهور أعراض أخرى فلا بد من عرضه على الطبيب .

(٢) الانفلونزا :

كثير من الناس يخلط بين الزكام والانفلونزا ولذلك نخصها بكلمة موجزة لوجود فوارق بينهما يجب الالتفات اليها سواء من الطبيب أو المريض .

تعتبر الانفلونزا من الأمراض المعدية وهي ثانية أمراض الجهاز التنفسي انتشارا وترجع خطورتها إلى أنها تأتي في صورة وباء قد يصيب قطرا واحدا أو مجموعة من الأقطار كما حدث في أعقاب الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) حيث انتشرت في صورة وباء عالمي أصاب اكثر من ربع مليار شخص (٢٥٠ مليون) مات منهم ١٨ مليون نسمة !! أي أن ضحاياها كانت اكثر من ضحايا الحرب نفسها . وظهرت في صورة وباء عالمي أيضا في عام ١٩٦٨م ، وأطلق عليها انفلونزا (هونج كونج أ) أو الانفلونزا الآسيوية وكانت أرقام الضحايا مرتفعة أيضا فقد أصيب في ألمانيا الاتحادية وحدها ١٨ مليون شخص مات منهم ٣٨ ألف شخص .

وتنشأ الاصابة بها عن نوع من الفيروسات يطلق عليها « فيروس الكريب » (Grippe)2وهو فيروس متناه في الصغر يبلغ قطره **جزءا من عشرة آلاف جزء من المليمتر** !! وهو محاط بغشاء رقيق وله نتوءات شوكية ويطرأ عليه تغيير كل سنتين ومن هنا لا تجدي معه وسائل العلاج في إبادته والقضاء عليه وإنما تفيد في تخفيف وطأة الاصابة فقط ، وهو يتميز بمكر ومراوغة لانظير لهما في ميكروب آخر ، فالجراثيم الأخرى مثلا تعيش بين خلايا الجسم حيث يمكن أن تؤثر عليها المضادات الحيوية أما هو فيعيش داخل الخلية نفسها ويؤلف جزءا منها وهذا يعني تدمير خلايا الجسم للقضاء عليه ومن المستحيل أن نقضي على خلايا الجسم وعلى ذلك فهو يرتع ويلعب داخل الجسم كيف يشاء .

وهكذا يقف الانسان عاجزا أمام هذا الكائن الضئيل الذي لا يرى إلا بعد تكبيره ٤٥٠ ألف مرة ! وقد تمكن الانسان من غزو الفضاء ولم ينجح في القضاء على هذا الوباء . حتى لا يتيه فخرا بما لديه من العلم . ولو علم أن هذا العلم إنما هو قطرة من بحار كرم الله ويجب أن يستخدم في البناء والتعمير وليس في الهدم والتدمير لما استخدم في اختراع وسائل الدمار التي تستطيع أن تدمر العالم عدة

مرات (هذا إذا بقي هناك عالم بعد المرة الأولى من التدمير) .

وتحضرني أبيات للشيخ ابراهيم بديوي من قصيدته الرائعة بعنوان :

الشعر مع الله والذرة

يقول فيها :

يارب هذا العصر ألحد عندما ... سخرت يا ربي له دنياكا
علمته من علمك النووي ما ... علمته فإذا به عاداكا
ما كاد يطلق للعلا صاروخه ... حتى اشاح بوجهه وقلاكا
واغتر حتى ظن أن الكون في ... يمنى بني الانسان لا يمناكا
أو ما درى الانسان أن جميع ما ... وصلت اليه يداه من نعماكا ؟
أو ما دري الانسان أنك لو أردت ... لظلت الذرات في مخباكا ؟
لو شئت يا ربي هوى صاروخه ... أو لو أردت لما استطاع حراكا
يا أيها الانسان مهلا واتئد ... واشكر لربك فضل ما أولاكا
واسجد لمولاك القدير فإنما ... مستحدثان العلم من مولاكا

ويتبارى تجار الحروب وتجار الدماء من اليهود في الزج بالدول الكبرى والصغرى على السواء الى حلبة سباق مجنون يسمي سباق التسلح كل دولة تستعرض فيه عضلاتها العسكرية ويصطلي العالم بناره في الوقت الذي يشاءون . ثم يأتي مخلوق ضئيل من مخلوقات الله قد يبيد من مجرمي الحروب أضعاف ما تبيد حروبهم وكأن هذا الكائن يخرج لسانه لهؤلاء المجرمون تحديا لهم وسخرية منهم .

وهكذا يبقى ربك دائما هو القاهر فوق عباده .

وفي حالات الانفلونزا الخفيفة قد تتشابه أعراضها مع الزكام أما الحالات الشديدة فإنها تتميز عن الزكام بأن أعراضها في الجسم بصفة عامة تكون أشد من أعراضها في الأنف والحلق كما أنها تكون مصحوبة في باديء الأمر بآلام في الظهر وصداع شديد في الرأس وارتفاع ملحوظ في درجة الحرارة وهبوط في الصحة العامة . وبالطبع تكون مضاعفاتها أشد من مضاعفات الزكام ولا تقتصر على اصابة الجهاز التنفسي فقط بل تتعداه الى القلب والكليتين .

وأما من حيث الوقاية فهي لا تختلف كثيرا عن الزكام أما من حيث العلاج فهي لا تختلف كثيرا أيضا إلا في حالة حدوث المضاعفات الخطيرة سالفة الذكر وبعد ...

فهذه عجالة عن اثنين من أكثر أمراض الجهاز التنفسي انتشارا أرجو أن تخرج منها بفائدة أخي القاريء وأسأل الله لي ولك العفو والعافية ومسك الختام أن نتدبر معا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أيها الناس إن الناس لم يعطوا في هذه الدنيا خيرا من اليقين والمعافاة فسلوهما الله عز وجل » (أخرجه الامام أحمد في مسنده بإسناد جيد) .



للشيخ/احمد علي حشيش

إن التوكل على الله حقيقة واضحة وضوح الشمس .
دائما ما اطلقها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فعلى الله وحده يتوكل المؤمن لا يلتفت قلبه الى سواه . ولا يرجو عونا الا منه ولا يرتكن الا الى حماه . ولسان حاله في مواجهة الطغيان والاذى يقول : (**وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا**) ابراهيم/١٢ إنها كلمة المؤمن المطمئن الى موقفه وطريقه . الذي ملأ يديه من وليه وناصره فهو نعم المولى ونعم النصير .

والقلب الذي يحس ان يد الله سبحانه تقود خطاه وتهديه السبيل هو قلب موصول بالله . لا يخطىء الشعور بوجوده سبحانه والوهيته القاهرة المسيطرة فيمضي في طريق الله أيا **كانت العقبات في الطريق . وأيا كانت** قوى الطاغوت التي تتربص في هذا الطريق . وهذه الحقيقة لا يحسها الا من تعلق قلبه بالله . وتذوق حلاوة التوكل على الله .

وان منطق الايمان الصحيح في بساطته وقوته كما هو في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما ينبغي ان يكون في قلب كل مؤمن برسالة الله وكل قائم على دعوة الله هو هذا البيان الواضح في سورة الزمر ٣٦ (**أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد**) فهذا البيان هو الدستور الذي يغني ويكفي ويكشف الطريق الواصل الثابت المستقيم . فممن يخاف وماذا يخاف اذا كان الله معه ؟ ومن ذا الذي يشك في كفاية الله لعبده وهو القوي القاهر فوق عباده انها قضية الخوف . وهي بسيطة واضحة لا تحتاج الى جدل ولا عمق تفكير إنه الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون وحين يكون هذا هو الموقف . لا يبقى هنالك شك . ولا يكون هناك اشتباه . انه متى استقرت هذه الحقيقة في قلب المؤمن فقد انتهى الامر بالنسبة اليه . وقد انقطع الجدل ، وانقطع الامل الا في جناب الله سبحانه فهو كاف عبده .

وعليه التوكل وحده « **قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون** » الزمر/٣٨ .

وان الذين يجدون في قلوبهم الاتكال على احد غير الله او على سبب من الاسباب لا يمت بصلة الى الله . يجب عليهم ان يبحثوا ابتداء في قلوبهم عن « حقيقة الايمان بالله »

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الانفال /٢ فالتوكل الحقيقي على الله وحده كما يفيد بناء الآية .

فالمؤمنون لا يشركون مع الله احدا ، يستعينون به ، ويتوكلون عليه ، وكما عقب على هذه الآية الامام ابن كثير في التفسير بقوله : اي لا يرجون سواه . ولا يقصدون الا اياه . ولا يلوذون الا بجنابه . ولا يطلبون الحوائج الا منه . ولا يرغبون الا اليه ويعلمون انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وانه المتصرف في الملك لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير « التوكل على الله جماع الايمان » وهذا هو اخلاص الاعتقاد بوحدانية الله . واخلاص العبادة له دون سواه . فما يمكن ان يجتمع في قلب واحد توحيد الله والتوكل على احد معه سبحانه .

وحسن الاتكال على الله لا يمنع من اتخاذ الأسباب لأن قانون الأسباب والمسببات قانون ثابت في

هذه الحياة فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب الايمان بالله وطاعته فيما يأمر به من اتخاذها ولكنه لا يعتقد أن الأسباب هي التي تنشئ النتائج فيتكل عليها ، إن الذي ينشيء النتائج كما ينشيء الأسباب هو الله . ولا علاقة بين السبب والنتيجة في شعور المؤمن . إلا أن اتخاذ السبب عبادة بالطاعة .

وتحقيق النتيجة قدر من الله . مستقل عن السبب لا يقدر عليه إلا الله وبذلك يتحرر شعور المؤمن من التعبد للأسباب والتعلق بها كما يجب على المؤمن أن يعلن عقيدته الناصعة في تولي الله وحده كما علمنا ربنا ما نقوله على لسان نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم « إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » الأعراف / ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ .

إنها كلمة المؤمن في وجه الطواغيت . وكل من يصرفه عن الله ولقد قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أمره ربه وتحدى بها المشركين في زمانه قالها في لهجة الواثق المطمئن إلى السند الذي يرتكن اليه ويحتمى به من كيدهم جميعا « **إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين** . إن المؤمن قوي الايمان صادق اليقين يرتكن إلى الله ويعتمد عليه في كل أموره ، ويعتقد اعتقادا جازما بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعت على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه . لا عجزا من ربه عن حمايته من أذاها سبحانه وتعالى ولا تخليا منه سبحانه عن نصرة أوليائه ، ولكن ابتلاء لعباده الصالحين للتربية والتمحيص والتدريب كما قال تعالى في سورة محمد ٣١ « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم** » وكما قال جل شأنه في سورة آل عمران / ١٤٢ « **أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » .

فكل ما يحدث للمؤمن فهو من باب الامتحان والاختبار حتى تتبلور حقيقة الإيمان ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى عبادة الله ، سلطوا عليه سفهاءهم وغلمانهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه الشريف فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تضرع إلى الله قائلا : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ؟ إلي بعيد يتجهمني . أم إلي عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك علي

غضب فلا أبالي . ولكن عافيتك هى أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » سيرة ابن هشام وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا اللجوء الى الله وقت الشدة . يعلمنا الصبر على المحن والاستفادة منها . مع الاعتصام الكامل بحبل الله فهو ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور .

وهذا أبوبكر الصديق ثاني اثنين إذهما في الغار، وأكرم من أقلت الأرض بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربه المشركون على وجهه الكريم بالنعال المخصوفة حتى تركوه وما يعرف له فم من عين وهو يردد طوال هذا الاعتداء المنكر الفاجر قوله « رب ما أحلمك . رب ما أحلمك . رب ما أحلمك » كان يعرف في قرارة نفسه ما وراء هذا الأذى من حلم ربه . لقد كان واثقا أن ربه لا يعجز عن تدمير أعدائه . كما كان واثقا أن ربه لا يتخلى عن أوليائه . وهذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول وقد تناوله المشركون بالأذى لأنه أسمعهم القرآن في ناديهم إلى جوار الكعبة حتى تركوه وهو يترنح لا يصلب قامته ، كان يقول بعد هذا الأذى المؤلم والتعذيب الوحشي الذي ناله « والله ما كانوا أهون علي منهم حينذاك » كان يعرف أنهم يحادون الله سبحانه، وكان يستيقن أن الذي يحاد الله مغلوب هين على الله فينبغي أن يكون مهينا عند أولياء الله . هكذا كانوا يحسون أن الله يسمع لهم وهو قريب منهم وأنه معني بأمرهم عناية مباشرة وأن شكواهم ونجواهم تصل إليه بلا واسطة ولا يهملها ولا يكلها إلى سواه وما حل بهم إنما لحكمة لا يعلمها إلا هو « **وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** » آل عمران/١٤١ . ومن ثم كانوا يعيشون في أنس بربهم ، في كنفه ، في جواره ، في عطفه ، في رعايته وعنايته ، ويجدون هذا كله في نفوسهم حيا واقعا . وليس معنى ولا فكرة ولا مجرد تمثيل وتقريب « إنه سميع قريب » .

لهذا ومن أجل ذلك أعزهم الله ونصرهم وأيدهم فشرقوا وغربوا تاركين الأهل والأوطان باذلين النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر دين الله حتى استضاءت بهم قارات العالم مبشرين ومنذرين وشهدت لهم الدنيا بأسرها ، الأعداء قبل الأصدقاء . والفضل ما شهدت به الأعداء .

حيث رأوا فيهم الاسلام يتحرك في رجال والقرآن العظيم يتكلم بكل لسان ، صدق وصفاء ، تواضع ورحمة ، رجولة ومروءة، شجاعة وإقدام ، علم وتعلم ، دعوة بحق مفتاحها .

« شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله »

حتى مدحهم رب العالمين بقوله سبحانه : « **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب**

فيه القلوب والأبصار » النور/ ٣٧ . فكانت لهم البشارة من السماء في قرآن يتلى إلى يوم القيامة . فقال تعالى في حقهم مهنئا ومبشرا لهم « **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم** » التوبة / ١٠٠ .

وقد بقيت مسئوليتنا في أعناقنا نئن منها حتى نلقى الله حيث ضللنا الطريق القويم . وحدنا عن صراط الله المستقيم . وشغلتنا أموالنا وأهلونا عن فرائض الله وعن الجهاد في سبيل الله واطمأنت نفوسنا إلى هذه الدنيا وكأنها نهاية المطاف فبددنا أموالنا فيما لذ وطاب من الطعام والشراب ونسينا إخوة لنا يموتون جوعا في أرتريا ، في الفلبين ، في افغانستان في جنوب أفريقيا ، كما ضيعنا ملكا ورثناه عن آبائنا وأجدادنا نالوه بأمجادهم وجهادهم في سبيل الله واستسلمنا لأحفاد القردة والخنازير الذين كتب الله عليهم اللعنة والذلة والمهانة إلى يوم القيامة . وتركنا لهم ساحة الميدان خالية فأخذوا يصولون ويجولون . يسلبون ويقتلون ويدمرون . يهتكون الأعراض ويسفكون الدماء . وقد تشاغل المسلمون فيما بينهم . فمنهم من شغله منصبه وسلطانه . ومنهم من شغلته ماله . ومنهم من شغلته تجارته . ومنهم من شغله حب الدنيا . اما آن لنا يا أمة الإسلام أن نستيقظ من رقادنا . ونفيق من سكرتنا فنوحد الكلمة كما نوحد الصفوف ونجمع الشمل ونقف يدا واحدة أمام أعداء الإسلام .

أما آن لنا أن نعود إلى كتاب الله فنحل حلاله ونحرم حرامه أما آن لنا أن نعود إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتأدب بآدابه ونتخلق بأخلاقه . أما آن لنا أن نتخلص من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق . ونتحلى بكل أدب أدبنا به الإسلام . أما آن لنا أن نترك الانتماء الى الشرق تارة وإلى الغرب تارة أخرى ونجرب مرة واحدة أن نكون جند الله المخلصين . أن نكون حزب الله المجاهدين . أن نكون أولياء الله الصادقين . « **وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون** » ابراهيم / ١٢ . فربما ننال وعد الله الذي وعد به المؤمنين الصادقين .

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** » النور/ ٥٥ .

والله أسأل أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم وأن يهيء للأمة من يقودها إلى الهدى والرشاد ويجمع كلمتها على التقوى حتى تسترد مجدها وتتبوأ مكانتها إنه نعم المولى ونعم النصير .

حقيقة الإيمان

حتى لا يفتن الناس بتضليلات المنافقين عن معنى الإيمان نسوق المعنى الصحيح للإيمان من اجابة رسول الله لجبريل وتصديق جبريل للرسول :

سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال رسول الله :

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره

فقال جبريل لرسول الله : صدقت

رواه مسلم



للاستاذ / سليمان احمد التهامي

يقول الله تعالى في حديثه القدسي : « انطلقوا يا ملائكتي الى عبدي فصبوا عليه صبا ، فيصبون عليه البلاء فيحمد الله فيرجعون فيقولون ياربنا صببنا عليه البلاء كما امرتنا فيقول ارجعوا فإني أحب أن أسمع صوته » .

وقد سمى الله تعالى التكاليف الشرعية « بلاء » لانها كلها مشاق على الأبدان كما قال تعالى : **(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)** محمد/ ٣١ . ولنعلم أن اختبار الله للعباد ليس بالمضار والمحن ولكنه كذلك بالمسار والمنح كما قال الله تعالى في شأن ابراهيم عليه السلام **(وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن »** البقرة/ ١٢٤ .

والبلاء درجات ومراتب وذلك بقدر العبد عند الله وبمدى تكريم الله له .... فكلما اقترب العبد من الله تعرض للابتلاء ... وكلما ابتعد عن الله لم ينظر الله اليه ولم يبال به .

وسنتناول باذن الله الابتلاء الذي يبتلى به عباد الله المقربون منه سبحانه وتعالى .... قال الله تعالى **(واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن)** ...وإذا تتبعنا حياة الخليل وجدنا بلاء كثيرا ابتلى به .

فلما كان طفلا في منزل والده « آزر » « بمدينة أور » ، اخذ يتأمل ما يصنعه والده من تماثيل للآلهه المختلفة التي كان يعبدها قومه ، ولم يحاول خليل الله ابراهيم تقليد أبيه فيما يصنع كشأن معظم الأطفال حينما يشاهدون والدهم يقوم بعمل فيحاولون تقليده ... لم يفعل ابراهيم عليه السلام ذلك ولكنه كان يتأمل

التماثيل المشوهة التي يصنعها والده ويعجب من شأنها كيف تسجد لها الناس ووالده يصنعها بإزميله ومطرقته !! وهل تسمح الآلهة لانسان بأن يدق على رأسها بمطرقة وإزميل !!

عجب إبراهيم عليه السلام . فكانت فطرته السليمة تقوده إلى رؤية الحق حقا والباطل باطلا .... كان يبحث عن الحقيقة الكبرى بقلبه وعقله .... لم يكن يستسيغ ما يفعله أهله وعشيرته ...

كان يشعر بالضيق والكآبة لمنظر آلهتهم ، كيف تكون الآلهة بهذه الخلقة المشوهة !! فقد كان الاله الأكبر « مردوخ » ذا اذنين كبيرتين وجسد مشوه ... كيف يكون الاله الذي خلق الناس في أحسن صورة وخلق الجمال في الكون كله ورفع السماء الصافية كما قال تعالى : **« الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين »** غافر/ ٦٤ . كيف يرضى لنفسه هذا الجسد المشوه وتيدن الأذنين الكبيرتين !!

لم يهدأ ابراهيم واتبع هدى قلبه فرأى في السماء آيات عظيمة تنبيء بعظمة الخالق وإبداعه .... فهذه الكواكب المعلقة في السماء من يمسكها ، إنها قوة عظيمة لم يهتد لها بعد .

وبدأ الله ينير الطريق لخليله إبراهيم فهداه إليه وبعثه رسولا مبشرا ومنذرا فذهب إلى قومه يدعوهم الى الهدى والصراط المستقيم واسلمت سارة وذهب الى أبيه وأمه واخوته يدعوهم الى عبادة الرحمن ولا يشركوا به شيئا أخذ يدعوهم الى الاسلام لله وعبادته .... كان أهله يعتقدون أن الاوثان يقربونهم الى الله زلفى .

ولم يستطع هداية أبيه وأمه فقال له أبوه ... (**أراغب أنت عن آلهتي ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا**) مريم/ ٤٦ .

فما كان منه وهو الحليم إلا ان يترك اباه في الضلال المبين **قائلا له** : **« قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . واعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا »** . مريم/ ٤٧ ـ ٤٨ .

وأراد الله أن يجعل رسوله ابراهيم أمة مسلمة وأن يرفعه مكانا عاليا في الدنيا والآخرة ولكن شاءت ارادة الله أن يبتلى ابراهيم ليكون قلبه راسخا قويا لا يحيد عن دين الله .... فكان الابتلاء الأول نار قومه الموقدة .

عندما دعا إبراهيم عليه السلام قومه الى عبادة الله الواحد القهار كذبوه واتهموه بالسفه فكاد ابراهيم عليه السلام لهم كيدا .... فحطم أصنامهم وترك صنما ووضع الفأس على كتفه ، فجاء القوم وأصابهم الفزع والذعر حينما رأوا اصنامهم التي يقدسونها ويسجدون لها محطمة متناثرة الاشلاء ، فأمسكوا بخليل الله إبراهيم واتهموه بتحطيم آلهتهم فقال لهم : (**بل فعله كبيرهم هذا**

فاسألوهم إن كانوا ينطقون) الانبياء/٦٣ .... كانت حجة إبراهيم عليه السلام قوية فهو لا ينطق عن هوى ولكنه ينطق بالحق الذي هداه اليه ربه ، فقال القوم لقد صدق ان مردوخ رب الأرباب كره أن يعبد معه غيره ففعل ما فعل . فقال إبراهيم عليه السلام (**افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم)** . الانبياء / ٦٦ .

فأرسل النمروذ في طلبه فسار اليه خليل الله جليلا مهيبا ولم يخر ساجدا له . فسأله النمروذ : من ربك الذي تدعو اليه ؟

رد خليل الله قائلا : **(رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته »** /مريم/٦٥ .

فقال له النمروذ : ان كنت في ريبة من أني ربك فقل لي من ربك .

فقال ابراهيم عليه السلام : **ربي الذي يحيى ويميت** البقرة ٢٥٨ .

فقال النمروذ : **(أنا أحيى وأميت)** .

قال ابراهيم عليه السلام : **(فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر)** .... البقرة/ ٢٥٨ .

واتفق القوم على إحراق ابراهيم لينصروا آلهتهم واوقدوا له ناراً عظيمة وأرادوا إلقاءه فيها فصنعوا منجنيقا ليقذفوا إبراهيم عليه السلام في النار دون أن تمسهم حرارتها . كان هذا البلاء الأول لخليل الله فصبر عليه ، فلم يخف النار الموقدة ولم يتزحزح عن دينه فهو يعلم أن نار الله أشد حريقا من نار الناس ، فلم يتخل عنه الله عندما صبر على بلائه وأمر الله العلي العظيم النار « **يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم »** الانبياء/ ٦٩ .

واتهمه الناس بالسحر ولم يكن هذا سحرا ، فالنار كانت حقيقية ولم يكن إبراهيم من السحرة بل كان خليل الله ورسوله وأبا الانبياء .

ولكن الله اصطفى ابراهيم على العالمين وقربه خليلا صديقا ، فأراد الله أن يبتليه ليزيده مقاما وعزا في الدنيا والآخرة وما كان ابراهيم عليه السلام يرجع عن الحق بعد أن رآه واستقر في قلبه . إن الله هو الرحمن الرحيم لا يأخذ الناس بالعذاب قبل أن يبعث فيهم مبشرا ونذيرا منهم « فكيف سيتركه الله للنار تحرقه وهو خالق النار ، فلم يأبه ابراهيم بنار الكافرين الموقده ودخلها وهو متصل بقلبه بخالق السماء والارض وما بينهما وأبلى بلاء حسنا في أول اختبار له .

وكان خليل الله يعيش في زمن بعيد لم يكن هناك علوم تهديه الى قدرة الله في الخلق والبعث ، فكان يريد أن يطمئن الى ايمانه بأن الله يحيى الموتى ، فقد كان قوم إبراهيم عليه السلام يعتقدون أن الانسان يموت ولا يحيا بعد الموت ، كان يرى أباه يدعو الهه مردوخ رب الارباب بأن يمنحه حياة طويلة لأنه بعد الموت سينقطع عن الحياة . ويتلاشى ولا يبعث ثانية كانت عقولهم قاصرة فكيف يبعث

الجسد المتعفن المتحلل وقد اختفت معالمه وأعضاؤه كان قوم ابراهيم عليه السلام لا يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون بالحساب بعد الموت لأن الميت يذهب الى العالم السفلى الذي لا يعود منه أحد فدعا خليل الله ابراهيم ربه ليهديه الى الحق ...

فقال : (**رب أرني كيف تحيي الموتى** ؟) .

قال : (**أولم تؤمن**) ؟

قال : (**بلى ولكن ليطمئن قلبي**) . البقرة/ ٢٦٠ .

فأمره الله أن يأتي بأربعة طيور فيذبحها ويقطعها ، بعد أن يعرف شكلها تماما ، ويضع على كل جبل جزءا منها ففعل ابراهيم .

ثم قال له الله : (**ادعهن يأتينك سعيا**) . البقرة/ ٢٦٠ .

فدعاهن ابراهيم فاذا الطيور الاربعة تأتي اليه تمشي على أرجلها كما كانت من قبل حية .

قال ابراهيم : آمنت أن الله على كل شيء قدير .

هكذا كان رسول الله إبراهيم يهتدى الى الحق بدعاء ربه ليهديه لأنه نشأ على فطرة سليمة « ولم يسأل أحدا من البشر فيضلوه ضلالا بعيدا ولا يسأل نفسه فالنفس أمارة بالسوء » فيتخبطه الشيطان فلا يهديه الا للباطل والشر . إن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو على كل شيء قدير يحيى ويميت لا اله الا هو هكذا كان ايمان إبراهيم عليه السلام صافيا نقيا يسقى من نبع واحد ألا وهو نور الهدى من الله الذي يهدى من يشاء .

كان هذا **الابتلاء الثاني** الذي ابتلى الله به خليله ابراهيم ومرت السنون وابراهيم عليه السلام يدعو الناس الى عبادة الله وحده ويبشرهم بمغفرة منه وجنة عرضها السموات والارض ، دخل في دين خليل الله قوم كثيرون وزاد الله إبراهيم عليه السلام قوة ومالا ، فخافه جيرانه من الملوك والحكام وجعل له الارض مسجدا طهورا وكان يتوافد عليه قوافل التجارة من كل مكان ويستضيفهم بكرمه ويدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار ، استجاب له الكثيرون من التجار والرعاة وابتلى الله ابراهيم خليله وحبيبه **الابتلاء الثالث** : **ففي** إحدى الليالي الشديدة البرودة أشعل ابراهيم عليه السلام النار وانتظر على باب خيمته عسى أن يأتي اليه ضيف فيكرمه وينزله عنده ، ولمح شيخا عجوزا يتوكأ على عصا فخف اليه ليكرمه ويستضيفه ، كان عجوزا حنت السنون ظهره وامتلأ وجهه بالتجاعيد والاخاديد التي تنم على أنه جاوز التسعين وأتى خليل الله بالطعام للعجوز ومد العجوز يده الى الطعام دون أن يتفوه بكلمة .

فقال له ابراهيم عليه السلام : هلا ذكرت اسم الله ؟ فنظر العجوز الى ابراهيم عليه السلام في دهشة وقال له : اسم الله ؟ ومن هو الله ؟

قال خليل الله : ربي وربك ورب السموات والارض وما بينهما .

رد الشيخ : ليس لي رب اسمه الله .

فسأله خليل الله : وما تعبد ؟

قال : اعبد النار لانها تحرقني ، اني

اعبد من يقدر على احراقي وعلى تعذيبي .
ومد الشيخ يده الى النار التي تشتعل امام الخيمة وقال : أنني أستطيع ان المس النار واحس بلهيبها وحرها أما الله الذي تدعوني اليه فاني لا استطيع لمسه انى لا أؤمن بما لا أراه وسجد العجوز للنار .
فهب خليل الله فزعا وقال : لا يسجد في خيمتي الا لله ونهر العجوز وطرده من خيمته في الليلة الباردة فأوحى الله لابراهيم خليله ..
....ماذا فعلت بالضيف يا ابراهيم ان الله ربه حمله مائة سنة وهو يعبد النار من دونه وأنت لم تحتمله ساعة وماضرك بشيء ولا اساء اليك .
فقام ابراهيم خليل الله يبحث عن الشيخ العجوز حتى عثر عليه وعاد به الى خيمته ، اراد الله ان يُعلم خليله ابراهيم ان لا يهتم بمن كفر وأبى وأن ليس عليه الا ابلاغ رسالة ربه والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو القادر على عقاب الكافرين به .

أما الابتلاء الرابع : فهو شوق ابراهيم عليه السلام للذرية الصالحة كان خليل الله يدعو الله أن يرزقه بذرية صالحة وأن يهبه من الصالحين فقد أصبح مسنا وأصبحت سارة عجوزا عقيما .
ونحن نعلم أن البنين زينة الحياة الدنيا وأن الناس يتهافتون على الذرية وانجاب الأولاد ويكون تعسا شقيا من لا ينجب ولكن خليل الله لم تكن تلهيه زينة الحياة الدنيا ولكنه كان يدعو **(رب هب لي من الصالحين)** الصافات/١٠٠ ليرثوا منه الحكمة والكتاب وليكونوا هداة للناس وقدوة لهم .
كان خليل الله ابراهيم في شوق للذرية الصالحة ليسود دين الله الأرض وتدك معاقل الشرك والوثنية .
ها هو خليل الله ابراهيم يدعو كثيرا **(رب هب لي من الصالحين)** لم ييأس من رحمة الله رغم هرمه وزوجته عجوز عقيم . كان متيقنا ان الله على كل شيء قدير انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .
وكان لله الأمر والتدبير ، يعلم الغيب ولا يحيط أحد بعلمه الا بما شاء .
قدر الله تقديرا ، فأغارت الجنود على خيام خليله ابراهيم وأسرت زوجته سارة تلك التي كانت أول المؤمنين فذهب ليفتديها من ملك مصر فأكرمه الملك وأهدى له الهدايا وأهدى لسارة جارية لها ألا وهي (هاجر) ولم يهتد ابراهيم خليل الله الى حكمة الله في تقدير الأمور لأن الله جعل لكل شيء قدرا .
كان خليل الله ابراهيم يدعو دائما **(رب هب لي من الصالحين)** وسمعت سارة دعاءه فكانت تحزن لأنها عجوز عقيم لا تستطيع تحقيق أمنية زوجها في الذرية الصالحة .
فوهبت جاريتها هاجر الى ابراهيم الخليل لينجب منها ذرية صالحة وتصبح تلك الذرية آل ابراهيم .
وحملت هاجر من ابراهيم فتهلل وجه خليل الله ابراهيم بالفرح ، فقد صدق

الله وعده ووهب له على الكبر ما في بطن جاريته هاجر ، ورأت هاجر رؤية في نومها تبشرها باسماعيل أي المسموع من الله وأن الله سيباركه ويكثر نسله كثيرا ويلد اثنى عشر سبطا أمما ويجعله أمة عظيمة .

ثم أوحى الله الى خليله ابراهيم أن يأخذ هاجر واسماعيل ويذهب بهما الى الأرض المباركة .

ونزل خليل الله وهاجر واسماعيل بواد غير ذي زرع يطل عليه جبل قبيس ، لا ماء ولا شجر ولا ظل ولم يكن بالوادي أحد من البشر ، كان قحلا جافا .

ومكث خليل الله ابراهيم مع زوجته هاجر وابنه اسماعيل ثم تركهما وحيدين بلا معين غير الله وصبرت هاجر لأمر الله وبعد ذلك بارك الله في هذا الوادي القفر وأخرج فيه بئرا يسيل منه مياه عذبة فتجمع الناس والقبائل حول البئر وتحولت الصحراء القاحلة الى واحة تغص بالناس الذين أتوا اليها من كل فج بعيد .

وعاد خليل الله ابراهيم الى هاجر لزيارتها فوجد أن الله فتح على الوادي القحل بركات من السماء والأرض ورأى ابراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح اسماعيل فهب من نومه مفزوعا وراح يفكر في ذلك البلاء العظيم أنه رأى في المنام أنه يذبح ابنه ورؤيا الأنبياء صدق ووحي من الله وانطلق خليل الله بابنه اسماعيل الى جبل «ثبير» وقال له والحزن يملأ قلبه :

(يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى) . الصافات/١٠٢ .

قال اسماعيل :

(يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) . الصافات/١٠٢

كان هذا البلاء العظيم الذي لا يقوى عليه أب رحيم بابنه .

« **فلما اسلما وتله للجبين** » الصافات/١٠٣ ناداه ربه **(أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين)** الصافات/١٠٤ ـ١٠٦

«و فداه الله بذبح عظيم .

« **سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين ، انه من عبادنا المؤمنين** » الصافات/١٠٩ ـ١١١

ولنا أن نعتبر ونتذكر فضل الله علينا في البلاء لأنه رحمة ظاهرها عذاب ولو كان ابتلاء الله لعباده عقابا لهم وعذابا في الدنيا لما اقترفوه من آثام فلماذا يبتلي الله خليله الذي اصطفاه وطهره وجعله أبا للأنبياء ؟

والله لا يعجل عقوبته للناس لأنه أرحم الراحمين ، لأن الله يقول (أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فخير وان ظن شرا فشر) رواه الطبراني وابن حبان عن وائلة بن الأسقع .

انما يكون الابتلاء سلما للعروج الى الله والقرب منه والدعاء له وعبادته وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة » .

مكارم الأخلاق في القرآن الكريم

وفي شعر ما قبل الإسلام

للأستاذ / عمر الراكشي

للعرب في جاهليتهم خلق مستملح مقبول ، وآخر مستقبح مرذول ، ثم جاء القرآن الكريم فنهى عن الثاني ، وصادق على الأول صراحة أو ضمنا ، والأمثلة في هذا المضمار يكاد تكرارها يكون من نافلة القول .

لذلك رأينا أن نتناول الموضوع من زاوية جديدة هي زاوية الشعر ، ولا نقصد من وراء هذا البحث المقابلة بين القرآن الكريم وبين الشعر كمصدرين من مصادر الأخلاق ، وحصر أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ، ونبادر فننفي عن أنفسنا هذه الشبهة ، ونربأ بالقرآن أن يستوي في كفة ميزان مع مصدر آخر مهما كان .

ومن هنا فنحن نهدف بهذه الدراسة الى القاء الضوء على كل مصدر منهما ، ثم الى بيان مدى اتفاق المصدرين آخر الأمر ، كما نعرض لمثالين من إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه للجانب المقبول من خلق ما قبل الاسلام ، الذي سجله وامتدحه شعر هذه الحقبة من الزمان . وفي خاتمة البحث نتطرق بايجاز الى بيان وظيفة الشعر والشاعر كمصدر اخلاقي بعد الاسلام .

وكان من أهم مراجعنا في هذه الدراسة كتابي العقاد عن الفلسفة القرآنية واللغة الشاعرة .

ولعله كان من المنطقي التزاما بالترتيب الزمني ، أن نعرض بداءة لشعر ما

قبل الإسلام كمصدر خلقي ، ثم نتبعه بالدستور الخلقي الأمثل في القرآن الكريم لكننا رأينا - إعلاء لمنزلة القرآن - أن نبدأ به ، بغير أن يغيب عن فطنة القارئ اللبيب ذلك الترتيب الزمني الملحوظ .

تعليل نشأة الأخلاق :

قيل في تعليل نشأة الاخلاق انها مصلحة اجتماعية تتمثل في عادات الأفراد لتيسير العلاقات بينهم ، وهم متعاونون في جماعة واحدة ، وأيا كان مذهب القائلين في تعليل الأخلاق ، فمما لا مشاحنة عليه أن الاخلاق مصلحة اجتماعية ، وأن الجماعات تختلف بينها في العادات ، وأصول العرف على حسب اختلافها في أحوال الاجتماع .

مقياس الترجيح :

ويتساءل العقاد ما الترجيح اذا تعادل خلقان في النفع الاجتماعي ؟ ألا يوجد هنالك مقياس نرجع اليه في تفضيل أحدهما على الآخر ؟ أو بعبارة أخرى أليس لحاسة الجمال أو لنزوع الانسان الى الكمال شأن في تفضيل بعض الأخلاق على بعض ، أو في تمييز بعضها بالاستحسان والإيثار ، وبعضها بالمقت والاستنكار ؟

ويجيب على هذا التساؤل بقوله : أيا كان المقياس في ترجيح بعض الأخلاق على بعض فهناك مقياس لابد من الرجوع اليه في جميع الأحوال ، وهو صحة النفس ، وصحة الجسد على السواء ، فالنفس الصحيحة تصدر عنها أخلاق صحيحة . ومصدر الجمال في الأخلاق هو القوة النفسية ، وهو أن يشعر الانسان بالتبعة ، وأن يدين نفسه بها لأنه يأبى أن يشين نفسه ، ويعتبر (الشين) غاية ما يخشاه من عقاب .

ومصدر الأخلاق الجميلة هو : ((عزم الأمور)) كما سماه القرآن ، وهو مصدر كل خلق جميل حثت عليه شريعة القرآن .

أولا : القرآن كمصدر خلقي :

القرآن الكريم يقرر ((التبعة الفردية)) وينوط بها كل تكليف من تكاليف الدين ، وكل فضيلة من فضائل الاخلاق ، فالشخصية الانسانية في الجمال الأخلاقي كلما ارتقت في الاستعداد ((للتبعة)) ومحاسبة النفس على حدود الأخلاق اقتربت من النزوع الى الكمال الأخلاقي ، (**كل نفس بما كسبت رهينة**) ٣٨/ المدثر : (**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**) ٢٨٦/ البقرة (**ولا تزر وازرة وزر أخرى**) ١٥/ الاسراء و ١٨ /فاطر .

وما من خصلة حث عليها القرآن إلا كان تقدير جمالها بمقدار نصيبها من الوازع النفساني ، أو بمقدار ما يطلبه الانسان من نفسه ، ولا يضطره أحد الى طلبه ، فالحق الذي تعطيه ولا يضطرك أحد اليه ، هو أجمل الحقوق ، وأكرمها على الله ، وأخلقها بالفضيلة الانسانية .

فأنت عندما تحسن الى المسكين والى

اليتيم والى الأسير لا تنتظر المقابل ، انما هو خلق يحثك عليه القرآن وعلى البرّ بأمثال هؤلاء الضعفاء : **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)** الانسان/٨ ، **(فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر)** الضحى ٩/١٠ ، وكذلك الشأن في واجب البر بالوالدين حين يضعفان ، أو يعجزان عن التأديب والجزاء ، فهو أخلص البر وأكده : **(وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)** الاسراء/٢٣و٢٤.

وعزم الأمور يتضح في مجال ضبط النفس حتى في مقاتلة العدو . فيقول القرآن : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا)** البقرة/١٩٠ ، **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** البقرة/١٩٤.

الفضائل المثلى في القرآن :

ولا تسقط الضرورة ولا الغضب هذا الواجب عن كاهل انسان ينشد الكمال ويروض نفسه على الأفضل من الخصال ، فعلى الغاضب أن يغفر للمغضوب عليه ، وعلى المضطر أن يتجنب البغي والعدوان :

(وإذا ما غضبوا هم يغفرون) الشورى/٣٧ **(فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)** البقرة/١٧٣.

وغني عن التفصيل أن الفضائل المثلى التي يحض عليها القرآن الكريم هي الفضائل التي ترتفع الى هذا المستوى ، وتجري في نسقه ، وتجمل بمن يروض نفسه على هذا الوازع فيحاسب نفسه هذا الحساب .

فالصبر والصدق ، والعدل والإحسان ، والحلم والعفو ، كلها مثال الكمال الذي يطلبه لنفسه من يزع نفسه ، ويختار لها الأمثل فيأبى لها أن يهبط بها دون مكان الجميل الكامل من الخصال والفعال .

- **(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)** الشورى/٤٣
- **(وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق)** الاسراء/٨٠
- **(والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)** البقرة/١٧٧
- **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان)** النحل/٩٠
- **(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة/٨

من الدستور الخلقي في القرآن :

وهذا الأدب القراني عينه هو الذي يملي على الكبير أن يتواضع للصغير ، ويملي على الصغير أن يحفظ مكانة الكبير ، ويملي على الكبار والصغار

أجمعين أن يتجنبوا الاساءة ، ويتعمدوا المحاسنة ، ويأخذ بعضهم بعضا بالرفق والأدب ، وطيب العشرة واحسان المقال :

- (**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**) الشعراء/٢١٥

-

- (**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**) الفرقان/٦٣

- (**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**) البقرة/٢٦٣

- (**والله لا يحب كل مختال فخور**) الحديد/٢٣

- (**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**) الاعراف/٥٦

- (**والذين هم عن اللغو معرضون**) المؤمنون/٣

والقرآن الكريم يطلب من المسلم احسان القول في المغيب كما يحسنه في الحضور :

- (**ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**) الحجرات/١٢

ولا يخفى أن جماع هذه الأخلاق القرآنية كلها ، هو تلك الصفات التي اتصف بها الخالق نفسه في أسمائه الحسنى ، وكلها مما يحمد للانسان أن يروض نفسه عليه ، وأن يطلب منه أوفى نصيب يتاح للمخلوق المحدود ، فيما عدا الصفات التي اختص بها الخالق نفسه دون سواه .

المصدر الالهي :

وإن المسلم ليؤمن بمصدر هذه الأخلاق المثلى ، ويؤمن بأنها جميعا مفروضة عليه بأمر من الله .

ولكن المسلم وغير المسلم - في رأي العقاد - يستطيعان أن يقولا معا إنها صفات لا ترجع الى مصدر غير المصدر الالهي الذي تصدر منه جميع الأشياء ، لأن مناطها الأعلى لم يتعلق بمنفعة المجتمع ، ولا باستطاعة القوة ، ولا بالقانون والسلطان ، ولكنه تعلق بما في الانسان من حب للجمال ، وشوق للكمال ، وكلاهما نفحة من الخالق يهتدي بها الأحياء عامة في معارج الرفعة والارتقاء .

سورة الشعراء :

سميت احدى سور القرآن الكريم بسورة (الشعراء) وهي مكية ، وقد ختمت بالتنويه بشأن القرآن ، كما افتتحت به ، وانتهت آياتها بابطال أن يكون رسول الله من الشعراء وأن يكون القرآن شعرا . وجاء في ختامها هذه الآيات عن الشعراء : (**والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**) الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧ .

والمعنى « أن الشعراء يهيمون في كل وادٍ من أودية القول ، فلا يهتدون دائما الى الحق ، لكن الذين اهتدوا منهم بهدى الله يجعلون الشعر كالدواء يصيب الداء ، وينتصرون

لدينهم ولإقامة الحق ، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجاء الرسول ، أي مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون اليه » « المنتخب في تفسير القرآن الكريم للجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر » .

ثانيا : الشعر قبل الاسلام كمصدر خلقي :

كان الشعر العربي قبل الاسلام مستودع المناقب والمفاخر والأنساب ، والدستور الخلقي الذي يعرف منه الخلق الحميد والخلق الذميم .
وهو الذي استحسن النجدة والشهامة والمروءة والفروسية واكرام الضيف ، وذم الجبن والبخل والشح والخذلان وكل فعل يجري على خلاف ما تعارف عليه العرب قبل الاسلام من خلق حميد .
فالى الشاعر العربي كان يرجع العربي ليتعرف القيم الأخلاقية المفضلة ، ويستقصى المناقب التي تستحب من الانسان في حياته الخاصة أو حياته الاجتماعية .
يرجع العربي الى الشاعر ولا يرجع الى الفيلسوف أو الى الزعيم أو الباحث في مذاهب الأخلاق ، ويعلم كل قارئ عربي - كما نرى مع العقاد - أن الشاعر الحكيم أبا تمام إنما قرر حقيقة علمية حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر مادري
بناة العلا من أين تؤتي المكارم

ففي الشعر العربي تنويه بكل صفة من صفات المروءة والفتوة ، وإزراء بكل عيب من العيوب التي تشين صاحبها بين قومه ، وبيان واف للأخلاق التي تحكم الحياة فعلا أو ينبغي أن تحكمها وتتراءى فيها مرجحة مشرفة بين سائر الأخلاق .
ومن عجب أن العربي لا يرجع الى الشاعر ليسأله عن المذاهب الفلسفية ذات الشروح والحواشي وذات العلل والنتائج ، لأنه يجد عنده شيئا أقرب الى حسه وفهمه وعمله ، يجد (شخصيات حية) تتمثل في كل منها صورة من صور الحياة كما هي ، وكما يتمناها .
وإنه ليشعر بالمجاوبة بينه وبين هذه الشخصيات في جوانب كثيرة من ذات نفسه وذات ضميره .
يشعر بها حين يغتبط بحظه من الأخلاق ويعتقد أنه على شيء من تلك الصفات التي يحمدها الشعراء .
ويشعر بها حين يتعزى عن فقدان الأخلاق الفاضلة في المجتمع ، فيردد أبياتا من الشعر يستشهد بها لغيره .
ويجد في الشعر العربي شخصيات حية تناسب كل حالة وكل سن وكل مزاج :
يجد شخصية الشاب المغامر ، وشخصية الكهل الناضج ، وشخصية الشيخ الحكيم . وكلهم من الشعراء النابهين ، وكلهم نموذج صحيح من نماذج الشخصية الانسانية على سليقتها ، وصورة مستوفاة لحياة واقعية .
ففي شعر الجاهلية مثلا ، نموذج لشخصية الشاب طرفة بن العبد ، وشخصية الكهل حاتم بن عبد الله ،

وشخصية الشيخ زهير بن أبي سلمى ، وكل منهم موصوف في شعره على حقيقته ، بالإضافة الى أنه واصف صادق للقيم الأخلاقية كما تواضع عليها المجتمع في عصره ، وكما انه يتمنى أن تسود في الناس كافة .

شخصية طرفة بن العبد :

لم يعمر طرفة طويلا ، فلم يشرف على الثلاثين اذا أخذنا بقول أخته في رثائه ، ولد في بيت عريق لكنه فقد أباه فنشأ يتيما ، ولم ينل من أعمامه حقه وابتلى بالظلم ، فاستقل برأيه وذهب يغامر في الحياة ولا يبالي الموت إذا عاش عيشة النعيم ومات ميتة الكريم .

ألا أيهذا اللائمي أشهد الوغى
وأن أحضر اللذات هل انت مخلدي

فإن كنت لاتسطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وإذا خوفوه بالعمر القصير قال : (ما أقرب اليوم من غد) .

ولم يكن طرفة يبالي أن يسأل عن خبر مغيب عنه ، وكان يقول لمن يشغلون أنفسهم بالسؤال والاستطلاع :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهو في رأي العقاد نموذج للشاب النبيل الذي يرضي نفسه ولا يرضى عنها اذا تخلفت عن أنداده ونظرائه في مقام الشجاعة والندى . ولا يقبل من قومه اذا أعطاهم حقهم في ساعة الشدة أن يحولوا بينه وبين (ساعة المتعة) .

شخصية حاتم بن عبد الله :

هو مثل من أمثال الرجولة الناضجة وقدوة للسيد المسؤول عن قومه ، والى هذا اليوم يضرب المثل بالكرم (الحاتمي) في أحاديث الناس ، الذين يعرفون من هو حاتم هذا ، والذين لا يعرفون منه إلا اسما أصبح في عداد الصفات الدالة على النبل والكرم .

واتفق الرواة على أنه : (رجل يصدق قوله فعله ، اذا قاتل غلب ، واذا سئل وهب ، واذا سابق سبق ، واذا أسر أطلق) .

وقد شهدت ابنته البعثة الاسلامية وجيء بها مع أسرى قبيلتها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : (يارسول الله ! هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنن عليَّ منَّ الله عليك ، قالت : فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمَّلني ، وأعطاني نفقة) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٦ ط. بيروت . فان رأيت أن تخلي عني فلا تشمت بي أحياء العرب ، فاني بنت سيد قومي ، كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت (حاتم طيء) . وشهد السامعون بصدقها ، ولم يكن يخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة قولها .

وجملة ما يقال عن هذا النموذج أنه كان سيدا ينهض بأعباء قومه ويخجل من العيش الرغد اذا كان في قومه من يشقى بالفقر والأسر ، ويكرم نفسه مع

الحلم في ساعة الغضب ، قائلا وعاملا بما يقول :

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن
عليك فلن تلقى لك الدهر مكرما
تحلم على الأدنين واستبق ودهم
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما
وأغفر عوراء الكريم ادخاره
وأصفح عن شتم اللئيم تكرما
لحى الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش أن يلقي لبوسا ومطعما

ومن أجمل أقواله التي سبق بها القائلين قبل أربعة عشر قرنا أن المال عبد وليس بسيد :

اذا كان بعض المال ربًّا لأهله
فإني بحمد الله مالي مُعَبَّدُ
ولاأشتري مالا بغدر علمته
ألا كل مال خالط الغدر أنكد

فشريعة الرجولة في هذا النموذج الأخلاقي الحي ، أنها حلم مع قوة ، وعفة مع شجاعة ، وكرم مع وداعة وطيبة ، وأنها حقيقة عملية وليست أمنية من أماني المثل الأعلى .

شخصية زهير بن أبي سلمي :

يعرض لنا زهير قيم الحياة الفضلى كما يتمثلها قبل الاسلام شيخ واسع التجربة ، خبير بحوادث الأيام في زمانه وقبل زمانه ، فيقول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم
وأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم

والجدير بالحمد عنده من يحسم الحرب ويسعى في السلم ، فلا يهاب القتال ولكنه يدري كنهه فما هو بظن أو غيب فيعافه بعد خبرة :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو منها بالحديث المرجَّم

وقد جمع زهير في قصيدته (الميمية) هذه الصفات المثلى كلها في أبيات شهيرة ، يشيد فيها بحسن السياسة ، وبالفضل والوفاء ، وبالقيام بمطالب العشيرة ، كما يشيد فيها بالإقدام الذي لا يهاب صاحبه أسباب المنايا ، وبالصراحة التي تنبو عن النفاق ويأمر بالمعونة ، ولكنه ينهي عنها في غير موضعها ولغير أهلها :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة
يضرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه
وان يرق اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يهدَّم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده
وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولا يخفى أن هذه القصيدة أوفى قصائد الشعر الجاهلي في وصف قيم

الحياة و الأخلاق الفضلى ، كما يتمثلها شاعر جاوز الثمانين وقضي العمر في عراك العيش بين الحرب والسلم ، وبين الشدة والرخاء ، قام بتكاليف الحياة حتى سئمها ، لكنه أراد أن يمحصها خالصة لمن لا يسأمها ولا يزال يعانيها .

ولا يغيب عنك أيها القارئ الكريم أن زهير اهتدى الى معاني قصيدته وتمثلها وأداها بحس العربي المرهف ، وفطرته السوية وشاعريته المطبوعة . وليس أغنى من الشعر الجاهلي بهذه (المذاهب الأخلاقية) معروضة في شخصيات حية تستمد قيمتها من وحي المجتمع العربي وفي نطاقه ، ويتسع فيها المجال لتطور كل شخصية على حسب اختلاف السن والمزاج وتجارب الأيام .

الشعر كمصدر خلقي بعد الإسلام :

سأل عمر بن الخطاب الحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ فقال :

(كنا ألف حازم نطيع قيس بن زهير ولا نعصيه ، ونقدم إقدام عنترة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد).

ولا حاجة بعد هذا المثل للسؤال عن مصدر القيم الأخلاقية بين الشخصية المستقلة وبين العرف الذي يتواضع عليه المجتمع . فان الأمر ينتهي بالثائر والمسالم معا الى توكيد القيم الفضلى ، والزراية بمن يخرج عليها .

ولقد مضى على هذه النماذج المتمثلة في الشخصيات التي عرضناها ألف وخمسمائة سنة أو تزيد ، ولم يزل لها صوت مسموع في استحسان الحسن ، وانكار المنكر من الاخلاق .

ولم تتغير بعد الاسلام وظيفة الشاعر التي يرجع اليها في تسجيل القيم والأخلاق ، وإن كان قد تغير الشاعر كما تغير سامعوه وقراؤه ، وأصبح من اليسير على بعض الشعراء أن يعرضوا للناس صفات (الشخصية الحية) كأنها مذهب من مذاهب التفكير .

ويبقى هناك الضابط المهم الذي يوحد بين هذه الأنماط والصفات ، ويتحول بها الى اتجاه واحد كما تتحول الجداول الى مجرى النهر الكبير ، ذلك هو ضابط الدين بعد ظهور الاسلام .

ففي مجتمع الجاهلية كان نطاق المجتمع يحيط بالأنماط الشخصية فتتفق - مع تعددها - في النهاية على الايمان بآداب ذلك المجتمع الجاهلي .

وبعد ظهور الاسلام أحاطت آداب الدين بآداب المجتمع ، وجاءت بمادة التماسك التي تشمل الأنماط الكثيرة وتردها الى بنية واحدة .

وقد تتساءل معي يا قارئي الكريم هل يكون معنى ذلك أن الدين والشعر قد يتفقان كمصدرين من مصادر الأخلاق ؟ ويجيب العقاد بقوله : نعم يتفقان ، وفي الصدر سعة ، وعلى الثغر ابتسامة ، لأن القرآن الكريم يصف الشعراء بأنهم : (**في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون**).

فللشاعر أن يقول ما يشاء ، وللقارىء أن يستريح الى سماعه إذا شاء ، لأنه لا ينظر اليه نظرة المعارض المصادم للدين ، وإنما ينظر اليه كأنه يتفرج على منظر حسن من مناظر الفنون .





١ ـ مفهوم الايمان ـ الايمان هو تلك العقيدة الراسخة ، التي تغمر جوانب النفس ، ويتبعها آثارها من العمل الصالح ، والاخلاص لله « **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** » . الحجرات / ١٥

ولقد وصف الله المؤمنين الصادقين في الآية الكريمة ـ بأنهم الذين آمنوا بالله وبرسوله المصدقين بجميع الرسالات السابقة إيمانا لا يلحقه شك ولا تتطرق إليه ريبة ، إيمانا يحملهم على التضحية في سبيله بأعز ما يملكونه من أموال وأنفس .

لقد حرص الاسلام كل الحرص على أن ينشىء عقيدة التوحيد نقية صافية واضحة وأن يحوطها بكل الضمانات التي تحفظها من تطرق الشرك اليها « **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** » البينه/ ٥ .

أخرج البخاري في تاريخه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوما غرتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا ، لو أحسنوا الظن ، لأحسنوا العمل » ـ فلا ينهض بإيمان الانسان كلمة يقولها ـ كيف لا ـ وإن كثيرا من المنافقين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : آمنا فأراد الله عز وجل أن يبين لهم أن الأمر ليس كما ظنوا فأنزل قوله تعالى « **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم** » الحجرات/ ١٤ .

فصاحب القلب المفعم بالايمان ، المعتصم بالله هو الانسان الذي لا يستحوذ عليه الشيطان . يتفانى في حب الله ويهوى تعاليم دين الله .

إن نور الايمان .. يهدي الحائرين ويسلك بهم في دروب اليقين فيثبتون



للاستاذ / عبد الحميد عمار

على عقيدتهم ثبوت الرواسي فلا يتزعزعون ولا ينحرفون .

نور الايمان ـ وهذا التطلع الى الايمان الحق .. هو ما حدث لأحد شباب أمريكا عاش في هذا المجتمع المنحل ونهل من حضارته المادية الزائلة فما سعد وما استراح .. وله هذه الكلمة في شأن اسلامه وايمانه ـ

يقول : (ايفان جفرنور) ٢٧ سنة الذي اصبح (يرجو رحمة الله) بعد إسلامه : « اذا كان لي من حديث الى اخواني المسلمين ـ فانني أرجو لهم ان ينظروا الى ما في أيديهم من الدين الحق وأن يتمسكوا به ويحرصوا عليه دون ان ينظروا الى الحياة المادية والسعادة المادية الزائلة التي يبثها الشيطان .. وبدلا من أن يستمعوا الى موسيقى الجاز والروك أندرول عليهم أن يستمعوا الى صوت المؤذن وهو يناديهم « الله اكبر .. الله اكبر .. حي على الصلاة .. حي على الفلاح » .

إن نور الايمان يجلو الضمائر ، ويفتق الأذهان ، ويبصّر الانسان بحقائق الأشياء في عالم الواقع فجدير بنا ونحن في باب الايمان .. أن نسوق صورا وأمثلة من حياة السلف الصالح لتصور لنا مدى تأثير الايمان في نفس الانسان .

ـ روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنهما « أتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصابني الجهد فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ـ فقال أبو طلحة الأنصاري .. ضيفي يارسول الله ، فلما دخل على عياله .. قالت : والله ما عندي الا قوت الصبية ، فقال : إذا اراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ـ فهذا الحديث الشريف يعطينا صورة حية واضحة عن الايثار الصادر من قلب مفعم بالايمان .. وعن مدى تأثير هذا الايمان في نفس الصحابي الجليل حيث انه قدّم قوت صبيته طعاما لضيف رسول الله وبقيت جميع افراد العائلة تتلوى جوعا .. بينما نرى اليوم في عصر المدنية الزائفة أناسا يتناولون شتى ألوان الأطعمة وجارهم الى جنبهم يتلوى جوعا وخصاصة .

كما يذكر لنا التاريخ الاسلامي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. كان يعس بالليل ثم جلس تحت جدار فسمع صوت امرأة تقول لابنتها قومي يابنية الى اللبن وامزجيه بالماء استعدادا لبيعه في الصباح ! فأجابتها الفتاة ان امير المؤمنين أرسل مناديا ينادي ان لا نغش اللبن فقالت

لها أمها : ان أمير المؤمنين نائم فلا يبصرنا فأمني يابنية مما تخافين ! فقالت لها الفتاة : إن كان أمير المؤمنين بعيدا عنا فرّب أمير المؤمنين ليس عنا ببعيد ولئن نجونا من عذاب الدنيا فلن ننجو من عذاب الآخرة ، وإن عذاب ربك لشديد » كل ذلك وأمير المؤمنين يستمع فأعجب بأمانة الفتاة وبإيمانها وشجاعتها فاختارها زوجة لأعز أولاده وكان من ذريتها الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز - ياللعجب ابن الخليفة يتزوج بنت بائعة اللبن الفقيرة المعدمة !

ولكن أمانتها وايمانها رفعها إلى درجة رفيعة قد لا يتحصل عليها ذوات الجاه والمال .

وصف المؤمنين في محكم التنزيل

لقد بين الله تبارك وتعالى أوصاف المؤمنين في محكم التنزيل بقوله عز وجل - « **قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون** » المؤمنون/ ١ -٢ .

لقد ربح خيري الدنيا والآخرة ونال تجارة لن تبور يوم القيامة وفاز برضا رب العالمين يوم العرض والحساب كل من أدى صلاته بخشوع وتدبر وطرح وراءه شواغل الدنيا وآمالها « **والذين هم عن اللغو معرضون** » المؤمنون/ ٣ أي أن لسانهم لا ينطق بفحش الكلام والمنطق البذيء - بل لسانهم رطب بذكر الله - **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** - الرعد/ ٢٨ .

في الحديث القدسي

روى البيهقي عن أبي هريرة « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » « **والذين هم للزكاة فاعلون** » المؤمنون/ ٤ أي الذين يؤدون الحق المعلوم والمفروض في أموالهم للسائل والمحروم - ولقد شدد الله على تارك الزكاة بقوله في محكم التنزيل « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** » التوبة/ ٣٤ -٣٥ .

روى البخاري - في صحيحه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول : أنا مالك أن كنزك ثم تلا « **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله** ..» الآية/ ١٨٠ من سورة آل عمران . « **والذين هم لفروجهم حافظون** » المؤمنون/ ٥ - أي لا يتعاطون البغاء والزنا بل يحفظون فروجهم لقوله تعالى « **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** » لأن الزنا من أفظع الجرائم خطرا وأشدها ضررا على الأعراض والأنساب والأخلاق وما فشا الزنا في أمة من الأمم الا ضاع مجدها وذهب عزها وتفشت فيها الأمراض والأوبئة ، فجناية الزنا على الأعراض أشد خطرا بكثير من جناية الأموال فقد يفرط الانسان في ماله ولا

يفرط في عرضه ـ « **إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** » المؤمنون ٦ ـ ٧ .

ـ « **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** » المؤمنون/ ٨ لما كانت الأمانة لازمة من لوازم الايمان ودليلا على طهارة المسلم عظمها الشارع الحكيم وبالغ في تكريمها ورفع من منزلتها حتى قال : الرسول صلى الله عليه وسلم « لا ايمان لمنلاأمانة له ولا دين لمن لا عهد له»رواه البخاري ومسلم وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الخيانة من أخص صفات المنافقين الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا .

قال صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث ، اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان»رواه البخاري ومسلم ، فليست الأمانة خاصة بحفظ أموال الناس وودائعهم بل هي شاملة لكافة الحقوق ـ فالتكاليف الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمانة ـ والأولاد أمانة ـ فيجب على أبيهم حسن تربيتهم وتعليمهم .

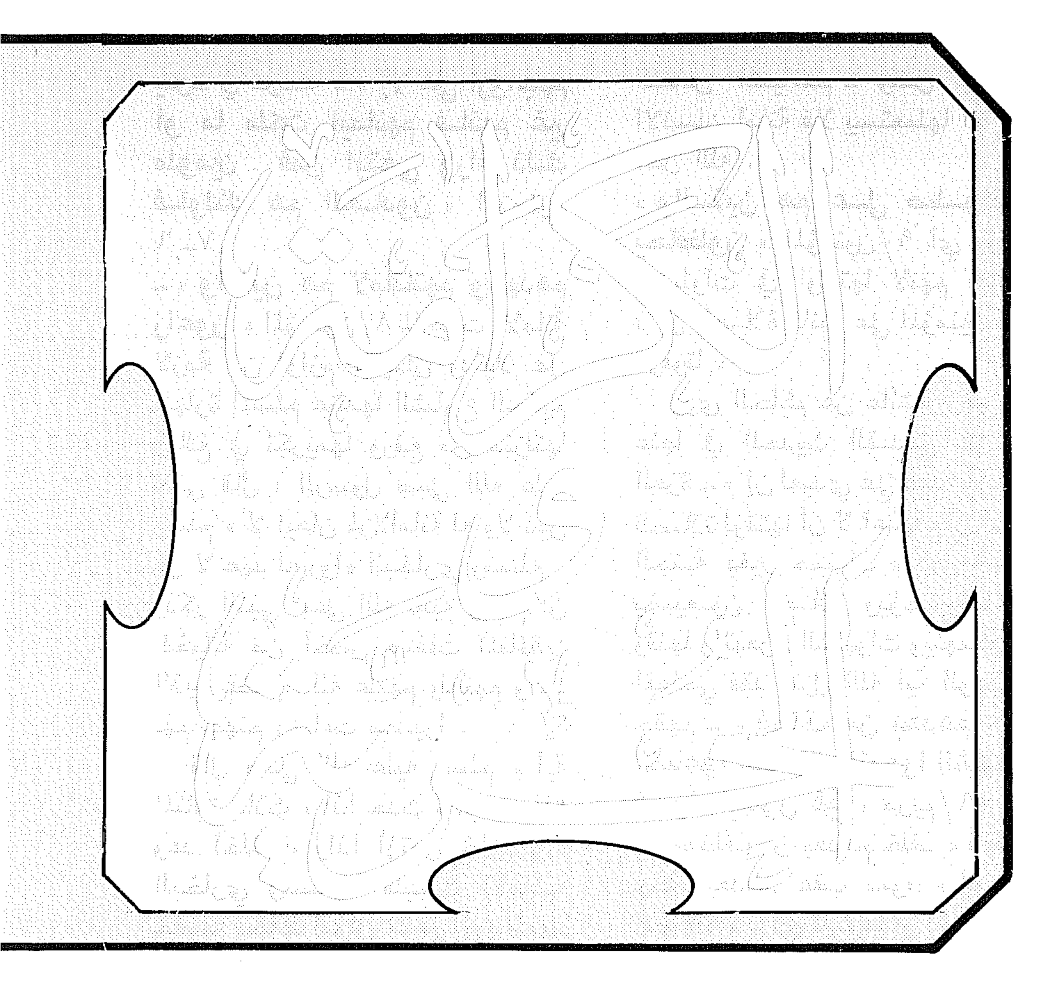
وفي الحديث « كلكم راع ومسؤول عن رعيته » رواه مسلم وأحمد فتعليم المسلمين أحكام دينهم أمانة حملها العلماء فهم يدعون الى سبيل الله بالحكمة والمعاملة في البيع والشراء أمانة فيجب على التجار ألا يحتكروا سلعة ولا يبيعوا بغبن فاحش ولا ينقصوا المكيال والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم ـ وكل جوارح الانسان أمانة فلا يستعملها الا فيما أحل الله .

« **والذين هم على صلواتهم يحافظون** » المؤمنون/ ٩ أي يؤدون الصلوات في أوقاتها لأنهم يعلمون « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها في الحديث القدسي عن ربّ العزة ـ « إن لعبدي عليّ عهدا إن أقام الصلاة لوقتها أن لا أعذبه وأن أدخله الجنة بغير حساب » أما الذين يضيعون الصلاة ويؤخرونها عن وقتها ويتبعون الشهوات وينهمكون في المعاصي فقد أنزل الله آية الوعيد في حقهم ـ « **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا** » مريم/ ٥٩ .

«فخلف من بعدهم خلف » فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء « أضاعوا الصلاة » ـ أي تركوها أو أخروها عن وقتها ـ « واتبعوا الشهوات » كشرب الخمر والانهماك في المعاصي « فسوف يلقون غيا» واد في جهنم نستعيذ منه بالله

وأما الذين يخشعون في صلاتهم ، ويعرضون عن اللغو ، ويؤدون زكاة أموالهم ، ويحفظون فروجهم ، ويؤدون أماناتهم ويراعون عهدهم ويحافظون على صلواتهم فقد بشرهم ربهم بالخلود في الفردوس في قوله عز وجل ـ « **أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** »المؤمنون/ ١٠ ، ١١



من الخير للشباب المسلم وهو يحيا في دنيا تتصارع فيها مختلف القوى ، وهو بذاته أهم ميادين صراعها ، الا يكون كالنعامة تخفى رأسها تحت جناحها حتى لا ترى صائدها وفي هذا صيدها ، بل الأجدر به ان يتعرف ارضية الميدان ، والاعداء والاصدقاء ، ومراكز القوة والضعف ، ليستغل مراكز القوة ويدعم نقط الضعف ، وهو في هذا وذاك يتسلح في الحياة بأسلحة الانتصار في مرحلته المصيرية للنضال .

وعليه ان يعلم ان الاعداء يحاربون ظاهرين ومستترين ، ويتسلحون بمختلف الاسلحة ويتشككون وينافقون ، ويظهرون النصح وهم غاشون ، ويدرسون نواحي الضعف في خصومهم ليستغلوها ، أما الاصدقاء فإنهم ينصحون مخلصين ، وينبهون للخطر ، ويملؤون النفس ثقة ويشجعون ويدلون



للاستاذ / محمد عبدالفتاح محمود علم الدين

الصديق على مراكز قوته واسلحته ليستعملها ، وكلما كان الصديق عليما ببواطن الامور كان اقدر على كشف قوى الاعداء وفضح اساليبهم .

هذا الصديق المخلص والناصح الامين ، والعليم ببواطن الامور والذي لا يبغى للمسلم الا الرشاد والانتصار **هو الدين الاسلامي** ، فاحرص عليه وعض عليه بالنواجذ تكن من الفائزين ولا نغالي اذا قلنا ان الكرامة والتقدير والحرية أهم أسلحة قدمها الاسلام للمسلم لينتصر على أعدائه : النفس الامارة بالسوء ، والعدو الخارجي البشري ، والعدو الخفي المستتر وهو الشيطان ، كل اولئك الاعداء يريدون أن يشعر المرء بالذلة والهوان ، وهم يعلمون ان هذا الشعور قاتل ، ويسهل على اصحابه ارتكاب كل انواع الدنايا والموبقات ، وقديما قال الشاعر :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام

وهنالك فرص كثيرة للاعداء يجدون فيها مدخلا كبيرا لغرس هذا الشعور القاتل في النفوس وعلى سبيل المثال هناك :
١ ـ الاوضاع الاجتماعية من الغني والفقير ، فالفقير يشعر بنقص ازاء الغني ، كذا الحسب والنسب ، فذو النسب الوضيع يشعر بنقص أمام ذي الحسب الرفيع .
٢ ـ وهناك التشويه الخلقي كالسمن المفرط ، والنحافة البارزة والطول ونقص عضو من الاعضاء .

٣ ـ وهناك الالوان وبخاصة السواد ، فالاسود يشعر بنقص أمام الابيض .
٤ ـ وهناك العسف والقهر والاضطهاد فانها كلها تشعر صاحبها بالهوان والذلة والسخط على المتسبب من الوالدين والمعلمين والرؤساء كما يغرس كره المجتمع والحياة .
٥ ـ وهناك ارتكاب الذنوب مع صحوة الضمير الذي يعذب صاحبها وانتظار العقاب .
٦ ـ وهناك الفشل في الامتحانات وفي القبول للأعمال والوظائف .
كل هذه فرص سانحة أمام الاعداء ليضخموها ويعمقوا الشعور بالنقص حتى تظهر اعراضه ومنها :
أ ـ الخجل في غير موجب ، والبعد عن الناس والسلبية .
ب ـ شدة الحساسية والحركات اللاشعورية والاحساس بالتفاهة .
جـ ـ نظرة التشاؤم ، وفقد الثقة بالنفس ، والانهيار العصبي .

ثم تأتي مرحلة التعويض ، وقد تكون بنقص آخر : كالكبر ، والتعالي ، وشرب الخمر والعدوان على المجتمع وكراهية الناس وهي اساس العدوان والإجرام ، والاسراف واخيرا الانتحار ، فانظر ما فعله الاسلام بابنائه ليخلصهم من هذه النقائص ويحل محلها الكرامة والثقة في التقدير بما حشده من وسائل التكريم ، حتى يشعر كل امرئ انه من عباد الله المكرمين :
١ ـ انه كرمهم في نطاق البشرية باسرها وخصهم بكرامات زائدة عنها جزاء اسلامهم فالله تعالى في محكم كتابه يقول : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء / ٧٠ .
فهذا التكريم شمل جميع البشر على اختلاف الوانهم وعقائدهم واحسابهم وانسابهم وهم جميعا داخلون فيه وفي قوله تعالى : (**ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون / ١٤ . كلهم يتمتعون بالسمع والبصر والفؤاد

والاستواء في الجسم والتناسب في الاعضاء ، وجمال الصورة ، وربما كان الكافر اجمل في الصورة من المؤمن كما جاء في قوله تعالى : (**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم**) المنافقون / ٤ وفي قوله تعالى : (**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم**) البقرة / ٢٢١ .
والانسان هو الوحيد الذي يمشي سويا على صراط مستقيم ، وسائر الحيوان يمشي مكبا على وجهه أو على بطنه أو على رجلين أو على أربع ـ أما الانسان فهو رافع الرأس موفور الكرامة محمول برا وبحرا .
٢ ـ ان الله تعالى أسجد الملائكة لأبي البشر آدم وفي هذا تكريم له ولنسله من بعده ، كما ان الله تعالى يرسل حفظة من الملائكة يحفظون الناس من أمر الله ، حتى اذا جاء أحدا الموت تخلت عنه ، حتى ينفذ اليقين .
٣ ـ كرم الله البشر بالرسل والرسالات والكتب السماوية لينقذهم من الظلمات الى النور وبخاصة القرآن الكريم وهو الكون المقروء والموجه للكون المنظور سمائه وارضه وما بينهما وما فيهما .
٤ ـ وكرمهم بالعقل الذي يعي الامور ، ويستخرج به صاحبه كنوز الارض وقواها وقد سخر الله للانسان ما في السموات وما في الارض جميعا وبذلك كان الانسان سيدا في الكون على النبات والحيوان والجماد .
٥ ـ وللمحافظة على كرامة الانسان حرم السخرية والاستهزاء والهمز واللمز والتنابز بالالقاب ، وحذر المسلم من ذلك فعسى ان يكون من يعيبه ويسخر منه خيرا منه .
٦ ـ والله تعالى أهدر التفاخر بالأحساب والأنساب والقوميات والعصبيات والالوان وجعل معيار التفاضل بالتقوى بقوله في محكم كتابه : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات / ١٣ . ان كل مظاهر الاختلاف بين الناس في الالوان والاشكال هو لسهولة التعارف ولو كان الناس نسخة واحدة لانعدم التعارف ولاختلط الامر حتى لا يفرق المرء بين زوجه واخته والحديث الشريف يقول : « لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » وقد غضب الرسول اشد الغضب على وصم غلام بأنه ابن السوداء وقال : طف الصاع طف الصاع لقد حكم الاسلام بالأخوة بين المسلمين أيا كان لونهم وشكلهم ، كلهم خلق الله والذي يعيب الخلقة يعيب الخالق .
٧ ـ وزيادة في التكريم يقول : (**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما**) الأحزاب / ٤٣ . فأي تكريم بعد هذا ؟ !
٨ ـ وقد خلق الله الانسان ليكون خليفة له في الأرض يعمرها بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى ويعطي كل ذي حق حقه ، ويبتعد عن الفحشاء والمنكر والبغي وهذا في حد ذاته تكريم من أبلغ انواع التكريم .
٩ ـ ثم كرمه بفتح بابه له ليتصل به متى شاء دون حجاب بالليل أو النهار ،

بالصلاة أو الدعاء والتوبة من الذنوب وهو غافر الذنب قابل التوب ، كما أنه شديد العقاب لمن غفل عنه وارتكب المعاصي ومات دون توبة ، والله تعالى ـ من فضله ـ اذا قبل التوبة أنسى الحفظة الذنوب وأنسى ذلك سائر معالم العبد حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنبه .

١٠ ـ والله تعالى جعل منزلة صالح المؤمنين بين جبريل أمين الوحي والملائكة في قوله تعالى : (**وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**) التحريم / ٤ .

١١ ـ والله تعالى يريد من المؤمن أن يكون على أعلى مستوى خلقي بصرف النظر عن الغنى والفقر وكل الفوارق التي أهدرها فجعله يحاكيه في العفو فيقول للمؤمنين : (**إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا**) النساء / ١٤٩ . كما يقول : (**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**) النور / ٢٢ . وجعلهم عند القول : (**قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن**) الأسراء / ٥٣ . وعند رد التحية : (**فحيوا بأحسن منها أوردوها**) النساء / ٨٦ . وعند الدفع : (**ادفع بالتي هي أحسن**) فصلت / ٣٤ . وعند المجادلة : (**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**) العنكبوت / ٤٦ . كل ذلك تكريم للقائل والمخاطب واشاعة للكرامة في جو المؤمنين .

١٢ ـ ومن أبلغ تكريم المؤمنين أن جعلهم الله تعالى يوم القيامة شهداء على الناس بالشروط التي ذكرها في قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم المصير**) سورة الحج ٧٧ ـ ٧٨ .

ان هذه الآية الكريمة تحتاج الى وقفة لمعرفة ما أعده الله للمؤمنين من تكريم اذا استوفوا الشروط ، ومن تكريمه في هذه الآية أنه اجتباهم واختارهم لنصرة دينه ، واختارهم ، وجعل أبا الانبياء أبا لهم ، وانه هو الذي سماهم المسلمين ، وانهم سيشهدون على الناس بتبليغ الانبياء اليهم ، وان الله تعالى هو مولاهم وهو نعم المولى ونعم النصير .

● أما الشروط فهي : اقامة الصلاة كاملة على الدوام بركوعها وسجودها وادعيتها ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وهي الجهاد الحق في سبيله : جهاد النفس وجهاد الاعداء والتفوق عليهم في العلم والقوة والوحدة ، وايتاء الزكاة والاعتصام بالله .

١٣ ـ ولكي يعين الانسان على ان يكون كريما يلفته الى سلاح فيه خلقه ليعينه على التقوى هو سلاح النفس اللوامة والضمير الحي ، التي اقسم بها جل شأنه في

قوله : (**ولا أقسم بالنفس اللوامة**) القيامة / ٢ . ان هذا السلاح يؤدي ما خلق من أجله اذا أستمع الانسان له ، وأستجاب لندائه ، أنه هو الذي يثنى على صاحبه إن عمل خيرا ، ويؤنبه إن عمل شرا ، وما على صاحبه إلا أن يستجيب له إذا أنبه ، فيرد الحقوق المغتصبة إلى أصحابها ، ويستسمح من أساءاليه حتى يصفح عنه .

وهذا هووسلاح النفس صنوان ، وهو أن يجعل المرء نفسه ميزانا فيما بينها وبين الناس فما أحبه لنفسه أحبه لهم ، وما كرهه لنفسه كرهه لهم ، وهو يحب أن يكون آمنا على نفسه وعرضه وماله وعقله ودينه ، فعليه أن يحب ذلك أيضا لسائر الناس فلا عدوان منه على نفس أو عرض أو مال أو عقل أو دين وبذلك تسود الرحمة والمودة ويسود الأمن والحب بين العالمين ويتحقق لكل إنسان كرامته وعزته .

أما الذين لا يستجيبون لنداء الضمير الحي ولا ميزان النفس فإن قلوبهم تقسو وكلما أغفلوا النداء ارتكبوا أسوأ أنواع الجرائم والمنكرات والفجور وهؤلاء هم حطب جهنم .

١٤ ـ والله سبحانه وتعالى يسلح الانسان بما يجعله كريما على نفسه وعلى قومه غرس فيه استعدادين فطريين هما : المشاركة الاجتماعية التي تحببه في الناس وتحبب الناس فيه والمحاكاة التي تجعله بطلا .

أ ـ أما المشاركة الاجتماعية : فإن كل انسان يحس من نفسه بأنه يتشارك وجدانيا مع مجتمعيه الصغير في الاسرة والكبير في الوطن : يفرح لفرحهم ويألم لما يحزنهم ويتشارك معهم ولا ينعزل عنهم فهو معهم في أفراحهم وأتراحهم ـ أما السلبي والانعزالي فلا خير فيه والدين الاسلامي جعل للوالدين حقوقا وللأقارب والجيران والاصدقاء والضعفاء من الفقراء والايتام والمساكين وابن السبيل حقوقا ، يواسيهم بماله وبجاهه ، ولا يبخل عليهم بعلمه وبصحته وكفاءته ودفاعه عن مصالحهم وصد اعدائهم ، ومن حقوق الجار مودته في حضوره والسؤال عنه اذا غاب ، وعيادته اذا مرض ، ومساعدة اسرته اذا غاب أو مات ، وقد أوصى الله تعالى في القرآن الكريم بالجار عدة مرات ، الجار القريب والجار الجنب والصاحب بالجنب في سفر أو علم ، كما أن الحديث الشريف ينزع الإيمان ممن بات شبعان وجاره طاو وهو يعلم .

ب ـ واما المحاكاة فإنها نزعة فطرية تجعل الصغير يحاكي أباه ومعلمه ومن يحبه ويحترمه من الابطال ، وهذه النزعة إذا وفقت لابوين على علم وخلق وحسن تربية ، ولمعلمين افاضل اجلاء واذا قدمت لها سير الابطال الحق كانت خيرا وبركة على الغلام يحاكيها ، اما اذا كان من حول الغلام عكس ذلك فقد ضل سواء السبيل .

ـ ولذلك كان من اوجب الواجبات على الوالدين والمعلمين ان يعرضوا على الناشيء أكرم الابطال ، على رأسهم خير البرية ثم كبار الصحابة وكبار قواد الاسلام ثم كبار المصلحين في العالم والمكتشفين ، والرواد في العلم والبحث والوصول الى ما يخدم الانسانية وينفعها ، ليتشوف أن يكون مثلهم ، ويا ويل من جعل أبطال

الخيالة والاذاعات المرئية من أبطال العنف والجرائم والشره للعرض والمال ، ومفاتن الدنيا ، ياويل من جعلهم مثله الأعلى .. إنه سينحدر ويكون نكبة على نفسه وقومه .

١٥ ـ وسنجد أن كرامة المؤمن ستكون في الآخرة أعظم من الأولى ، تبعا لما في قوله تعالى : (**أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**) الاسراء / ٢١ . هناك ما أعده الله لعباده المكرمين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم ، فنورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم : (**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**) الرعد / ٢٣ و ٢٤ . والملائكة تبشرهم بالجنة في الحياة الآخرة : (**يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم**) التوبة / ٢١ و ٢٢ .

بعد كل هذا ليس لامرىء عذر في أن يحس بأن الله وقد كرمه ليس لأحد أن يذله ، وليس عليه إلا أن يتخلق بأخلاق عباد الله المكرمين ، كي يكون كريما وعزيزا ، فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، وما عليه إلا أن يغشى الناس الذين يقدرون الناس بعلمهم وخلقهم ، ويبعد عمن يقدرون الناس بأموالهم وجاههم ، وعليه أن يرفع رأسه ولا ينكسها أمام مخلوق فلا سجود لغير الله ـ وعليه أن يطهر نفسه كل يوم فيستغفر من الذنوب ويرد المظالم ويستسمح من أساء إليه ، ولا يفعل في السر ما يستحي منه في العلانية .

ـ والعاقل من عرف قدره في هذا الوجود ، وأن الله يريد أن يراه في زمرة الصالحين من عباده ولا سيما أنه أراه رأي العين السموات والأرض وما بينهما ، ومتعه بجمال الكون وزينة الكواكب وينع الأزهار ، وعظمة المخلوقات من أضخم الكواكب إلى أصغر جرثومة ، وجعل له عقلا وإدراكا يتصل بهما بملك الله وآيات الله ، وقرآن الله . فكل ذلك يملوءه ثقة بنفسه واعتزازا بها ، ويعلم أنه مسئول عن أن يكون أهلا لهذا المستوى فلا ينزل بنفسه عنه .

ـ والذين يمدهم الله تعالى بكل أسلحة العزة والكرامة ثم يغفلون عنها ولا يستعملونها وينبههم الواعظون إليها فلا يستجيبون ، هؤلاء يمقتون أنفسهم وسيكون مقت الله لهم في الآخرة أشد من مقتهم أنفسهم إذ يدعون إلى العزة فيذلون .

ولعلهم يعون قول الشاعر الحكيم :

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن ... عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

ويعون قول الله تعالى وهو يعلمنا أجمل الأدعية : (**واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان / ٧٤ . وقول الرسول الكريم في دعائه : « اللهم إني أعوذ بك من الفقر الا اليك ومن الذل الا لك ومن الخوف الا منك واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

الحرية

الحرية في الاسلام ليست منحة من فرد ولا من هيئة الامم كما يظن البعض انما هى منحة من الله تعالى للناس ، ولذلك فهى حق للجميع ، لا ينبغي لاحد أن يدعى انه مانحها لأن الذي يمنح له أن يمنع ، ولوكانت الحرية من بشر لكان الناس عبيدا لعبيد أمثالهم .
وعلى رأس الحريات **حرية العقيدة** ، نص عليها الاسلام في قول الله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) البقرة / ٢٥٦ .
وقد بطل بهذا قول الاعداء إن الاسلام انتشر بالسيف والقهر ، وكفى بقول الله دليلا على البطلان ، إن الله يحب من عباده عبادة الأحرار لا عبادة العبيد ، وعبادة الاقتناع لا عبادة الاتباع للآباء والأجداد ، فلكل انسان عقل وهبه الله له ليميز به الخبيث من الطيب ، في كل الاشياء وعلى رأسها العقيدة والأديان ، والعاقل يوازن بين الصحيح وغير الصحيح والنور والظلام .
ـ والاسلام لحرصه على هذه الحرية الدينية عاتب الرسول الكريم على أنه كاد يبخع نفسه حرصا على إسلام الناس فقال تعالى : (**لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين . إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين**) الشعراء / ٣ و ٤ . وقال : (**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**) يونس / ٩٩ .
ومن أجل ذلك نزل القرآن سفرا ضخما مليئا بالآيات والسور ، وكلها أدلة وبراهين وأمثال وتشبيهات وقصص ومواعظ وحكم وأحكام وتشريعات ، وكلها تهدف إلى خير الانسان في عاجله وآجله ، وكلها منحة ربانية سائغة لم يتعب فيها بشر ، ونحن نعلم أن البشر أمام التشريعات عاجز عن تشريع واحد ليس به عيوب بل كلما سد عيبا بتشريع ظهر عيب جديد في التطبيق ، على حين أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد .
ـ ولا عذر لمخلوق لا يعرف أن الدين الاسلامي هو الختام وأن الله لا يقبل سواه وأنه دين لم يتغير فيه حرف واحد ، وأنه كامل وباق إلى يوم القيامة وموجه إلى جميع البشر ، ومهيمن على ما قبله من الاديان ومصحح لما شابها من محو وإثبات ، وأنه دين متحدّ مضى عليه أربعة عشر قرنا عجز البشر عن الإتيان فيها بمثل سورة من كتابه (القرآن الكريم) ، وهذه الحرية الدينية المقررة هى تمهيد للمسئولية ، من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .
ـ ومانح حرية العقيدة هو مانح **حرية الرقاب** وهو الله تعالى الذي اختط في تشريع العتق اجمل خطة تقضي عليه في الاسلام دون هزة عنيفة في سوق المال ، فقد كان الرقيق مالا وكان دولاب عمل ، وتحرير الرقاب دفعة واحدة يهز سوق المال ويربك العبيد والأسياد ، فجعل الله تعالى أسباب الرق في أضيق الحدود ، وهى الحرب

المشروعة إذا استرق العدو الاسرى معاملة بالمثل ، وجعل غير ذلك المن والفداء ، ووسع حدود العتق ، فجعل العتق كفارة القتل الخطأ والظهار وكفارة لليمين والفطر العمد في رمضان ، وجعل للمكاتب حقا في الزكاة يحرر به رقبته من سيده ، وجعل العتق بدون سبب وهو اقتحام العقبة وجعل أم الولد تعتق عقب وفاة سيدها ، وبهذا وغيره تحرير الرقاب يتم في جيل أو جيلين دون هزة أو ارتباك .

ومانح حرية العقيدة والرقبة وهو الله تعالى هو مانح **حرية المنح والسكن والرأى وموجب الشورى** وجاعل أفضل الأعمال كلمة حق أمام سلطان جائر وجعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا على كل قادر عليه .

- إن الاسلام لم يحرم إلا قول السوء وما يشيع الفاحشة بين المؤمنين ، وما يخدش العرض والحياء وإجمالا كل ما فيه أذى للغير ، أما ما فيه خير فيدعو إليه ولا حرج ..

ولكن ليس معنى الحرية تجاوز الحدود دون مساءلة فاذا كان من كرامة المرء أن يكون حرا ولا يؤذيه أحد فكذلك كرامات الغير ، حرية دون ايذاء .

واذا كان الاسلام قد ضمن للمرء حريته السياسية والمدنية فليس معنى ذلك أن يحرم الناس منهما اذا هو ملك أمرهم ، فيسن تشريعات بإبطال الانتخاب والحرمان من مناصب الدولة مع استحقاق المواطن لها أو بحرمان المواطن من ملكه والحجر عليه إلا لسفه ولا حجر على إبداء الرأي إلا إذا كان به إضرار بالبلاد .

- إن حرية الرأي واجبة لكل ذي رأي فخير الآراء لا يعرف إلا باستعراضها جميعا والمقارنة بينها وعندئذ يتميز الخبيث من الطيب ويشعر كل ذي رأي بقيمته وكرامته وهذا ما نرجوه جميعا ، وكذلك الصحافة حرة في حدود القانون العادل .

- إن توفر جو الحرية في الأمة يضمن لها عدم استبداد الحاكم ويضمن لها أفضل الآراء وأعلى المنازل بين الأمم وظهور الملكات ، والحق والواجب لا وجود لهما إلا في ظل الحرية والكرامة ، أما في ظل الاستبداد فلا حرية ولا كرامة ولا حق ولا واجب .

وبعد : فاذا كان الاسلام قد وفر وضمن لكل فرد كرامته وحريته ، فما عليه إلا أن يحرص عليهما ويؤهل نفسه للانتفاع بهما ، وهذا أمر ليس سهلا بل يحتاج إلى معاناة . وقد ورد في الأثر : « من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فقد كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته » .

وإن حمل النفس على هذا حتى تنقاد ويصير لها طبعا ، فيه مشقة ولكنها محمودة العاقبة .

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ ... الجود يفقر والإقدام قتال

فكن عالي الهمة شريف النفس ، مرتفعا عن النقائص ، مستنكرا للمهانة والذل تسهل عليك المعاناة ، وليكن شعارك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إن الله يحب لكم أعالي الأمور ويكره لكم دنيها وسفسافها » والله ولي التوفيق ..

مع الصحافة

○ التدهور الاقتصادي في الدول النامية

نشر في لندن تقرير حول الشمال والجنوب اعدته لجنة (برانت) ، تناول عددا من قضايا العالم الثالث ـ ومنه العالم الاسلامي طبعا ـ كأوضاع السوق ، والصناعة المحلية ، والكساد والبطالة ، وعجز ميزانيات هذه الدول النامية ، الذي يراه التقرير ناجما عن توسع هذه الدول في الانفاق على التسليح والادارة . جاء في التقرير :

ان ظاهرة الزيادة المستمرة في عجز ميزانيات الدول النامية ليست مشكلة مؤقتة ناجمة عن ظاهرة مؤقتة كالتغير في اسعار السلع او عن القحط والمجاعات التي تجتاح دول العالم الثالث ، على الرغم من ان هذه الظاهرة او تلك قد تؤكد المصاعب التي تواجهها بعض الدول . بل ان هذه الزيادة المستمرة نجمت اولا عن التوسع في الاتفاق الحكومي على الاسلحة والادارة ومشاريع التنمية التي تتجه اليها هذه الدول بعد الاستقلال مباشرة لتعويض مراحل الاستعمار السابقة ، لذلك فهي تندفع اليها وبعضها بشكل مكثف .

ونجمت هذه الزيادة المستمرة ثانيا كناتج متناقض لسياسات التصنيع التي كان هدفها احلال السلع المحلية الوطنية محل البضائع الاجنبية المستوردة والمصنعة في الدول « الغربية اساسا » . وكان من نتيجة هذه السياسات عموما ان عززت اعتماد معظم دول العالم الثالث على الواردات من المنتجات الرأسمالية ، والبترول ، والمواد الخام ، والتكنولوجيا ، والادارة ، هذا بالاضافة الى انها قد ألقت على هذه الدول بعبء تسديد ارباح القروض وغيرها وهي باهظة في حد ذاتها .

ان الانتعاش « الحاد » الذي حدث عام ١٩٧٤ في اسعار البترول العالمية ، وكذا ارتفاع تكلفة منتجات الواردات الصناعية ، قد ضاعفا من حدة مشكلة الدول المستوردة للبترول من الدول النامية ، وبالتالي فان كثيرا من الدول التي لم تحصل على اسعار افضل ببضائعها ومنتجاتها المصدرة ، لا تستطيع ببساطة دفع ثمن وارداتها الحالية ، دون ان تصبح مدينة ، وبالتالي فان عليها ان تستدين قروضا اكثر لتسديد ما عليها من ديون .

لقد استخدم كثير من القروض لتسديد الديون ، وسيزداد هذا الاتجاه في المستقبل ، ومعنى هذا ان تقل الموارد التي يمكن توظيفها في الاستيراد . وليس واضحا حتى الان كيف ستقوم معظم هذه الدول بتسديد ديونها المتراكمة والتي تتراكم عاما بعد عام .

وتخشى الدول والوكالات التي اقرضت دول العالم الثالث ، أن تعلن الاخيرة عن عجزها وبالتالي ترفض الاعتراف بالديون ، من جانب واحد ، وستكون هذه سابقة خطيرة ، تهدد مسار عمليات « الاقراض الدولي » .

وعن التدهور الاقتصادي في الدول

النامية ايضا نشرت مجلة التايم في الاسبوع الأول من شوال مقالا مستفيضا تقصت فيه عددا من كوارث العالم الثالث جاء في المقال :

دون مطر ، لا يمكن ان تكون هناك محاصيل .. ودون محاصيل لا يوجد اي طعام .. ولا مال .. وفي اخر المطاف .. لا امل .

بالنسبة لملايين الناس في اربع قارات . لا امل لهم في هذا الصيف .

من الهند الى جنوب افريقيا ، ومن البرازيل الى الفلبين ، فان دورة الجفاف المشؤومة ذات تأثير مفجع .. كما ان حرائق الادغال قد التهمت الأراضي الزراعية في غانا وليبيريا ، والرياح الساخنة التي هبت على البرازيل من الشرق قد جعلت الأرض الجافة اكثر جفافا .

وهنالك حوالي مليوني شخص يعانون من سوء التغذية الفظيع في جنوب افريقيا ، ويعتمد ثلاثة ملايين انسان في اثيوبيا اعتمادا كليا على معونات الطوارىء .

وفي الهند حيث تلفت المحاصيل الزراعية في ٧٥ بالمئة من الأرض نتيجة الرياح الجافة التي استمرت في اقليم واحد لمدة خمس سنوات ، فان على رئيسة الوزراء انديرا غاندي ان تنفق ٦٠٠ مليون دولار من احتياطي العملة الصعبة الثمينة لتستورد الطعام في هذه السنة وحدها .

اما اندونيسيا ، التي حققت اخيرا الاكتفاء الذاتي في الأرز ، في العام الماضي ، فانها ستحتاج الى استيراد مليوني طن من الأرز في هذه السنة بكلفة ٧٠٠ مليون دولار .

ان كل الاقطار المنكوبة تواجه نفس النمط المحزن ، فعلى جانب « شارع المرضي » في مدينة ايراكوبا ، في شمال البرازيل ، يوجد اسرة من اثنى عشر شخصا في سقيفة من غرفتين ، يأملون في البقاء على قيد الحياة بمبلغ الاثنين والعشرين دولارا الذي يتلقونه من الحكومة شهريا . والسبب انه لم يعد هنالك اي خضرة تاكلها المواشي فقد تهاوت ميتة على ارجلها ، كما ان بعض القرويين لا يجدون ما ياكلونه سوى الاعشاب يمضغونها او يمصون جذور الاعشاب البرية او يترنحون الى جانب الحيوانات ليلحسوا الماء الذي يتناثر من اقدام هذه الحيوانات !

وفي المناطق التي نكبها الجفاف في الفلبين التي شهدت قدوم الجراد ، فان هذه الحشرات تباع الآن من أجل الطعام .

ان اللاجئين في كل انحاء هذه المناطق المنكوبة يزدحمون في مخيمات ينتشر فيها المرض المعدي بسرعة وبصورة قاتلة ، حيث ان مرض « كواشيوركور » وهو مرض فقر البروتينات ، يجتاح الأطفال في المناطق الريفية السوداء في افريقيا الجنوبية ، غير ان كثيرا من الناس لا يستطيعون ان يؤمنوا رسم المستشفى البالغ ٣,٥ دولار .

○ الحرب في تشاد

الصراع في تشاد ليس محصورا في النطاق المحلي لتشاد ، بل له بعد افريقي وآخر دولي . عن هذا الجانب من الحرب نشرت مجلة الوطن العربي في العدد ٣٣٥ للسنة السابعة مقالا جاء فيه :

للمرة الخامسة سقطت فايا لارجو خلال خمس سنوات من الصراع التشادي . لكن هذه المدينة الرئيسية في شمال تشاد لم تكن الهدف الرئيسي لغوكوني عويدي الذي اكد ان حربه الجديدة تحمل شعار « الطريق الى نجامينا » والفريق الذي يستولي على العاصمة يستولي في الوقت نفسه على

السلطة ، في اقتناع الرئيس الليبي .. وفايا لارجو ليست الهدف الوحيد ، لان مدنا اخرى مهددة بالسقوط .

لكن هل تسقط نجامينا ؟

وبسقوط فايا لارجو حقق غوكوني عويدي نصرا مثلثا . من الناحية الاستراتيجية لانها تعتبر المدينة الرئيسية واهم موقع في الشمال ، والسيطرة عليها هي في الوقت ذاته سيطرة على الشمال التشادي كله . ومن الناحية النفسية لأن هذه المدينة كانت تعتبر معقلا لحسين حبري الذي سبق ان سيطر عليها في هجومي ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ من دون مقاومة تذكر . ومن الناحية السياسية يعتبر سقوط فايا لارجو كسبا شعبيا لعويدي وتأكيدا على احتمال عودته الى الساحة التشادية بعد سنة من رحيله القسري عنها . ولا شك في ان هذا الكسب سيضمن له ولاء عدد من الجنود الحكوميين الذين يأسرهم .

صحيح ان قوات حسين حبري هي الأضعف على الصعيد العسكري وهي بعتادها الحالي غير قادرة على مجابهة او وقف تقدم قوات عويدي . لكن حبري ليس وحيدا في الساحة . فقد تكرس خلال قمم منظمة الوحدة الافريقية رئيسا شرعيا لدولة تشاد وهو يتمتع بتأييد كل الدول الافريقية المعتدلة .

وامام ضروة هجوم قوات عويدي وسلاحها المتطور كان واضحا ان نظام حبري في حاجة الى اكثر من التأييد الدبلوماسي والمعنوي ، لذلك وجه الرئيس التشادي نداء عاجلا الى « حلفائه » جميعا يدعو الى مساعدته عسكريا ، حتى انه طلب من الحكومة الفرنسية التدخل مباشرة لدعمه . ومن المعروف ان فرنسا مرتبطة بمستعمراتها السابقة عبر اتفاق تعاون عسكري جرى توقيعه في العام ١٩٧٦ . لكن تجربة التدخل المباشر علمت الفرنسيين خطورة الغوص في الرمال المتحركة التشادية .

بالاضافة الى ذلك سبق للحكم الاشتراكي ان ركز لسياسته الافريقية على مبدأ الدعم من دون التدخل المباشر . وانطلاقا من هذا المبدأ عقد ميتران مجلسا حربيا في قصر الاليزيه قرر على اثره في اول تموز (يوليو) ارسال دفعة من ٥٠ طنا من الاسلحة والمعدات الى نجامينا ، شملت رشاشات « سات ٤٩ » و « سيغ » السويسرية الصنع ، ومدافع من عيار ١٢٠ مليمترا ، وقذائف صاروخية مضادة للدبابات ومدرعات من طراز ا . م . ل بانهارد ، وناقلات جنود .

وقد الحقت هذه المساعدة الفرنسية بمساعدات اخرى مازالت تتوارد حتى الان على نجامينا ، من خلال جسر جوي تقوم بها طائرات ترانسال « وهرقل ١٢٠ » و « دي . سي ٨ » بين باريس والعاصمة التشادية ، بالاضافة الى مجموعة من الخبراء المدنيين والعسكريين .

ومع استمرار تقدم قوات عويدي السريع من الشمال والشرق في اتجاه العاصمة نجامينا تبدو هذه المساعدات غير كافية لدرء الخطر عن نظام حبري . والمائتان والخمسون مظليا الذين أرسلتهم زائير الى نجامينا لم يطمئنوا التشاديين ولا حبري الذي يعيش هاجس سقوط العاصمة في حال عدم وصول مساعدات جديدة .

والمساعدات الجديدة التي يطلبها حبري واضحة جدا ، وهي تتركز على تدخل فرنسي مباشر وارسال طائرات « جاكوار » فرنسية للدفاع عن نظامه . لكن هذا الأمر يشكل احراجا لفرنسا ، فهي من جهة مبدئية لا تقر التدخل العسكري المباشر خارج الاراضي الفرنسية ، ومن جهة ثانية لا تستطيع التخلي عن شركائها الافارقة الذين يطلبون منها هذا التدخل لحماية تشاد . فالشركاء يخشون اذا هي تخلت عن حبري ان يواجهوا وضعا صعبا في المرحلة المقبلة .

○ أزمة الشرق الأوسط

نشرت الواشنطن بوست في عدد ٨ شوال (٧/١٨) مقالا تناول التنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط ، والعلاقة الامريكية الاسرائيلية بعد الغزو الصهيوني الأخير للبنان . جاء في المقال :

ليس هناك من حل في الشرق الأوسط بدون مشاركة الاتحاد السوفييتي .

والى جانب ذلك ، فان استمرار اسرائيل في تكديس الاسلحة النووية ، ورفضها التوقيع على اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية ، التي قبلتها جميع دول الشرق الأوسط ، ينميان الشكوك السوفيتية ، ويساعدان في استمرار الدعم العسكر السوفيتي لسوريا .

وفي الوقت نفسه ، فان استمرار الدعم الاميركي غير المشروط لاسرائيل ، يجعل الدول العربية تتجه الى الاتحاد السوفيتي طلبا للمساعدة .

ولا تزال الولايات المتحدة مستمرة في دعم العدوانية الاسرائيلية بحسب الشروط التي تمليها اسرائيل . والحكومة الاسرائيلية بدورها مستمرة في الادعاء بأنها تمثل رأس الحربة الاميركية في الشرق الأوسط المعادي للولايات المتحدة . وعلى اساس هذا التصور لا تزال الولايات المتحدة تسمح لاسرائيل بممارسة النشاطات العدوانية على الدول المجاورة لها .

وتتمثل هذه النشاطات في سياسة اسرائيل التوسعية في الأراضي العربية المجاورة مصعدة بذلك من حدة النزاع العربي ـ الاسرائيلي بحيث بات يهدد بوقوع مجابهة بين الدولتين العظميين . ومن المفارقات ان المتطرفين الاسرائيليين يزعمون انهم يمثلون المصالح الاميركية .

وكما قال السفير الاسرائيلي السابق في واشنطن ، فان اسرائيل بغزوها للبنان كانما « رفست الاتحاد السوفييت على فم معدته » . ومن الواضح انها مستعدة لتكرار ذلك .

ورد فعل واشنطن على تصرفات اسرائيل كان الموافقة الضمنية ، التي تمثلت في استمرار المساعدات العسكرية والاقتصادية والدعم الدبلوماسي . وفهمت طبيعة هذه « العلاقة الخاصة » حين اعلن الرئيس ريغان في مؤتمر صحفي عقده اخيرا ان الاتحاد السوفييتي « ليس له شأن بالشرق الأوسط » ، بينما الولايات المتحدة لها شأنها بالطبع . ومضمون هذا الكلام لا يحتمل اللبس ، فالتواطؤ الاميركي ـ الاسرائيلي على لبنان ، الذي اسيء فهمه على انه تحالف ، انما يجيء في اطار ما دعاه الكسندر هيغ وزير الخارجية الاميركية السابق « الاجماع الاستراتيجي » ، اي انه موجه اساسا ضد التدخل السوفييتي في المنطقة ، وليس كوسيلة لتسوية عادلة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي . ومن المتوقع ان تقبل موسكو ابعادها عن الشرق الأوسط ، اذا حدث ذلك بشكل لا يمس كرامتها .

ولا يمكن تحقيق السلام العالمي بدون التخلص من نفوذ الدولتين العظميين في منطقة الشرق الأوسط . وهذا يفترض مسبقا تحييد الشرق الأدنى (لبنان، اسرائيل ، وفلسطين الجديدة ، والأردن ، وسوريا) . وحياد هذه الدول يجب ان تضمنه الدولتان العظميان على غرار ما حصل مع النمسا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . ومن الواضح ان ذلك سيكون في مصلحة كل منهما . ويجب ان يستثنى الخيار النووي من وسائل التسلح الدفاعي المشروع الذي هو حق لكل دولة من دول المنطقة .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	: القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	: الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	: الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	: الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	: الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	: بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	: عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية	: جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
	الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
	الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	: مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء	: دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين	: دار الهلال
قطر	: دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي	: المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي	: دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	: الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

مجلة الوعي الاسلامي ـ ص ب (٢٣٦٦٧) دولة الكويت

KUWAIT

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ